كتاب أبيات الاستشهاد

للعلامة أحمد بن فارس اللغوي

المتوفى عام ٣٩٥هـ

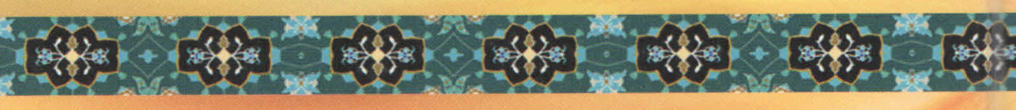
دراسة وشرح

يليه

ذيل أبيات الاستشهاد

بقلم

د. محمد بن ابراهيم الحمد



دار ابن خزيمة

كتاب أبيات الاستشهاد

للعلامة أحمد بن فارس اللغوي

ح) محمد بن إبراهيم الحمد ، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحمد، محمد إبراهيم

كتاب أبيات الاستشهاد للعلامة أحمد بن فارس اللغوي ت ٣٩٥هـ

يليه ذيل أبيات الاستشهاد./محمد ابراهيم الحمد الرياض،١٤٣٢هـ

٣٤٠ ص ، ١٤ x ٢٠ سم

ردمك ١-٧٨٥٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الشعر العربي – نقد　　أ- العنوان

ديوي ٨١١،٠٠٩　　١٤٣٢/٦٦١٢

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٦٦١٢

ردمك: ١-٧٨٥٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

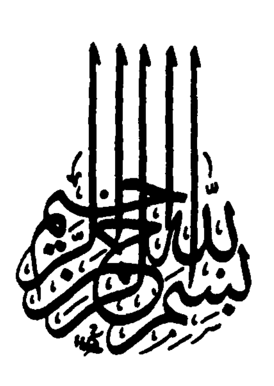
دار ابن خزيمة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

الملز - شارع الاحساء - غرب حديقة الحيوان

هاتف: ٤٧٣٠٧٨٨ - ٤٧٦٩٩٣٢ - فاكس: ٤٧٦٠٧٩٥



المقـــدمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن للشعر سلطاناً على القلوب، وسطوةً على النفوس، وأثراً في نجاح البغية، وبلوغ المأرب.

كما أن له تأثيراً في تغيير الطباع، وإنهاض النفوس، وهَزِّها إلى المكارم.

فالشعر أحد الفنون الجميلة التي يتذوقها الناس، ويستشهدون بها، ويتروَّونها، ويكون لها الأثر البالغ في نفوسهم، وإن كانوا يتفاوتون في ذلك على قدر تفاوتهم في صفاء الذوق، وتقدير ما في المعاني من حكمة، وغرابة، وحسن التئام، أو تقدير ما في الألفاظ من رونق، وحسن سبك، وشدةِ أَسْرٍ، وجودة تركيب.

ولقد أجمع العلماء على أن الشعر كلامٌ حَسَنُهُ حَسَنٌ، وقبيحه قبيح.

ثم إنهم لا يحبذون التمحُّض للشعر، بحيث يغلب على الإنسان، ويأخذ بمجامع قلبه.

وإنما يستحسنون الإحماض فيه، والاستشهاد به، وأن يكون الاهتمام به ثانوياً لا أولياً.

وكانوا يرتاحون لسماع جيده، ويصرفون شيئاً من أوقاتهم في صناعته، أو تذوق بلاغته.

وما ذلك إلا لشدة تأثيره، وتَضَمُّنِه للحُكْمِ والحكمة.

جاء في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «إن من الشعر حِكْمَة»[1].

---

(١) البخاري (٦١٤٥).

ويروى: «لَحُكْماً» كما في سنن أبي داود[1].

أي إن من الشعر كلاماً نافعاً يَحْمِلُ على الحلم، والعلم، والعدل، والكرم، ويمنع من الجهل، والسفه، والظلم، والشح، والبخل، والهلع.

وقيل: أراد بها المواعظ، والأمثال التي ينتفع بها الناس[2].

ولقد خرج النبي ﷺ في بيئة عربية تتنافس في نظم القصيد، والرَّجَزِ؛ فكان من دواعي إعجابها، واغتباطها ما كان يفيض من قرائح شعرائها، وخطبائها في المفاخرات، والمنافرات، والحَمَالات، والمهادنات.

وما كان لكل عربي أن ينفتق لسانه بقول الجيد من الشعر أو النثر؛ فقد يأتي الجيل والجيلان والقبيلة العظيمة لا يظهر فيها شاعر أو خطيب يعلي صوتها، ويعدد من عام إلى عام مآثرها، ويرفع -بما ينشؤه- الضيم عن أهلها، ويُرهب -بسلطان بلاغته- عدوَّها.

ولقد كان الشعر آنذاك أشبه بوسائل الإعلام في عصرنا الحاضر؛ فكان له صولةٌ وجولةٌ، ونفوذٌ ووقعٌ في النفوس؛ فكان يخلد المآثر، ويبين المروءات والمكارم.

ولقد أدرك النبي ﷺ هذه الحقيقة؛ فكان للشعراء نصيب عنده -عليه الصلاة والسلام- وذلك من خلال توجيهه إياهم، واستماعه لهم، واستنشادهم شِعْرَهم، وحَضِّهم على نصرة الإسلام، والدفاعِ عنه، وبيانِ محاسنه؛ فكان يشجعهم، ويسددهم، ويدعو لهم، ويكافؤهم، ويستشهد بشعرهم، وربما استوقفهم وناقشهم.

وله في حواراته مع الشعراء أخبار يطول ذكرها.

وربما تمثَّل بالشعر في مجلسه؛ ففي الصحيحين عن جندب بن عبدالله ﷺ قال: أصابت أصبعُ النبي ﷺ شيئاً، فدَمِيت.

(١) سنن أبي داود (٥٠١١ و ٥٠١٢).

(٢) انظر سنن أبي داود (٥٠١٢)، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/ ١٠٢٣.

وفي لفظ: بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ في بعض المشاهد إذ أصابه حجر، فعثر، فدميت أصبعه فقال:

هل أنت إلا أَصْبُعٌ دَمِيت وفي سبيل الله ما لقيت[1]

وعن عكرمة قال: سألت عائشة -رضي الله عنها-: هل سمعت رسول الله ﷺ يتمثل شعراً قط؟

فقالت: أحياناً إذا دخل بيته يقول: «ويأتيك بالأخبار من لم تزودِ».[2]

وقوله: «ويأتيك بالأخبار من لم تزود» هذا عَجُزَ بيتٍ لطرفة ابن العبد في معلقته المشهورة، وصدره:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ....

وهكذا كان شأن كثير من السلف -رضي الله عنهم- قال ابن عباس -رضي الله عنهما- كان أبو بكر كثيراً ما ينشد:

إذا أردت شريف الناس كلِّهم فانظر إلى ملك في زي مسكين

ذاك الذي حَسُنت في الناس قالتُه وذاك يصلح للدنيا وللدين[3]

أما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلقد كان نَقَّادة بصيراً بالشعر، له فيه الآراء الفاحصة، والنظرات الثاقبة، والأحكام الصائبة.

قال محمد بن سلام عن بعض أشياخه قال: «كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر».[4]

---

(١) البخاري (٥٧٩٤) ومسلم (١٧٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٩٢) وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد (٦٠٨): «صحيح».

(٣) انظر غُرَر الخصائص للوطواط ص ٣٦.

(٤) البيان والتبيين ١/ ٢٤١.

وكان ﷺ يُعْجَبُ بزهير، ويفضله على غيره، وكان يتمثل بقوله:

فــــإن الحـــق مقطعـــه ثـــلاثٌ يمـــــين أو نفـــــارٌ أو جـــــلاء

يريد ثلاث خصال؛ فمنها نفار: أي تنافرٌ إلى رجل يتبيَّن حجج الخصوم، ويحكم بينهم، ومنها يمين، ومنها جلاء: وهو أن ينكشف الأمر، ويتجلى، فَتُعْلَمَ حقيقته، فَيُقْضَى به لصاحبه دون خصام ولا يمين.

فكان عمر ﷺ يتعجب من معرفته بمقاطع الحقوق -كما يقول النويري-.[1]

وقال ابن هشام ﷺ : «لما سمع عمر ﷺ قول زهير:

فــــإن الحـــق مقطعـــه ثـــلاثٌ يمـــــين أو نفـــــارٌ أو جـــــلاء

قال: «لو أدركته لولَّيته القضاء؛ لمعرفته ما تثبت به الحقوق»[2].

قال ابن رشيق القيرواني: «وسمي زهير قاضيَ الشعراء بهذا البيت»[3].

وبعد فهذه توطئة، ومدخل بين يدي هذا الكتاب الصغير في حجمه، الكبير في مضمونه، الفريد في بابه، النادر في موضوعه.

ذلك الكتاب الذي رقمته يراعة العلامة اللغوي الكبير أحمد بن فارس ﷺ.

وهو يدور حول الاستشهاد بالشعر، وذلك بذكر الأبيات التي تصلح للتمثل بها في مقامات مختلفة.

وقد ساقه ابن فارس في معرض حسن خلاب، وأسلوب أدبي جذاب.

والباعث إلى العناية بهذا الكتاب، والحرص على نشره أمور منها ما يلي:

١ - لفت الأنظار إلى كتاب (أبيات الاستشهاد)، والرغبة في أن يأخذ حظه من

---

(١) انظر نوادر في الأدب لمحمد المكي بن الحسين ص١٧٧.

(٢) انظر شرح (بانت سعاد) لابن هشام ص ١٦، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٣٤٢.

(٣) العمدة لابن رشيق ١/ ٥٤.

الذيوع والانتشار.

٢- الرغبة في شرح ما قد يشكل مما ورد في ذلك الكتاب.

٣- إضافة ما يتيسر إضافته مما يناسب الاستشهاد به؛ ذلك أن ابن فارس لم يقصد بكتابه الاستقصاء، وإنما قصد التمثيل؛ فالذي تركه أكثر بكثير مما أورده.

ثم إنه مِن علماء القرن الرابع الهجري، وقد جدَّت بَعْدَه ثقافاتٌ وآداب؛ فكان فيها الكثير مما يصلح لمزيد من الاستشهاد لما ورد ذكره من المضارب في تلك الرسالة اللطيفة الماتعة.

٤- أن الاستشهاد بالشعر مَهْيَعٌ مسلوك؛ حيث كان أفاضل الناس وأكابرهم قديماً وحديثاً يأخذون به إذا عرض لهم ما يعرض.

وقد مرَّ قبل قليل نماذج من ذلك.

ومما يذكر -أيضاً- في هذا السياق أن عمرو بن العاص قال لمعاوية -رضي الله عنهما- لقد أعياني يا أمير المؤمنين أشجاع أنت أم جبان، فقال معاوية:

شجاع إذا ما أمكنتني فرصةٌ ... وإلا تكن لي فرصة فجبان

وكان معاوية ﷺ كثيراً ما ينشد:

إنَّا إذا مالتْ دواعي الهوى ... وأنصت السامع للقائل

واعتلج الناس بألبابهم ... نقضي بحكم عادل فاصل

نخاف أن تَسْفَهَ أحلامنا ... فنخملَ الدهرَ مع الخامل[1]

وأراد المأمون يوماً الخروج للغزو، فوقفت له جارية من جواريه بالباب، وقالت: قتلتني يا سيدي؛ تريد ثَنْيَهُ عن الغزو؛ فأنشد قول الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بأطهار

---

(١) انظر أسرار الملوك للطرطوشي ص ٧٦.

ثم تولى عن الجارية، وسار إلى الغزو[1].

ومر الشعبي رحمه الله بقوم يشتمونه، فتمثل بقول كثير عزة:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلتِ

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلَّتِ[2]

وأذن يزيد بن عمر بن هبيرة للناس، فدخلوا عليه في يوم شديد الحرِّ، وعليه قميص خلق مرقوع الجيب؛ فجعلوا ينظرون إليه، ويعجبون منه؛ ففطن لهم، فأنشد:

قد يُدْرك الشرفَ الفتى ورداؤه خَلِقٌ وجيب قميصه مرقوع[3]

ودخل الشيخ عبدالرزاق الشيبي -سادن بيت الله الحرام- على الحسن بن أبي نمي -شريف مكة- يستأذنه في السفر، وركوب البحر، فأنشده الشريف قول الطغرائي من لاميته:

فِيمَ اقتحامُك لُجَّ البحر تركبه وأنت تكفيك منه مَصَّةُ الوشل

فأنشده الشيخ عبدالرزاق الشيبي على البديهة:

أريد بَسْطَةَ كفٍّ استعين بها على قضاء حقوق للعلا قبلي

فأمر له الشريف بقضاء دينه، وأمر له بألف أحمر، وترك الشيخ السفر.[4]

٥- أن مادة هذا الكتاب مما يحتاج إليه الكاتب، والخطيب، والمتكلم، وغيرهم

---

(١) انظر القصة بتمامها في الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي لأبي الفرج المعافى الجريري ١/ ٤٢٥-٤٢٧.

(٢) بهجة المجالس لابن عبدالبر ٢/ ٢٣٦ .

(٣) وفيات الأعيان لابن خَلّكان ٦/ ٣٢٠ .

(٤) انظر هكذا علمتني الكتب لمحمد بن سعود الحمد، ص ٩٠-٩١ .

ممن يريد الارتقاء بقلمه، ومَنْطِقِه، وخلقه.

٦- أن هذا الكتاب نوع من التأليف لطيف، ولم يسبق -فيما أعلم- أن أفرده أحد من أهل العلم أو الأدب قبل ابن فارس.

ولا يعني ذلك أن هذه المادة لا توجد البتة، بل إنها مبثوثة متناثرة في غضون كتب الأدب، والتواريخ، والسير، غير أن جمعها على نحو ما جاء في رسالة ابن فارس لم يكن معروفاً.

٧- أن الاطلاع على مثل هذا الكتاب مما يقوي العارضة، ويثبت الحجة، ويوسع المدارك، ويعين على حسن الاستشهاد، وإيقاع الكلام في أحسن مواقعه.

٨- أن الذي يُحسن الاستدلال والاستشهاد يَكْبُر في عيون ذوي الفضل، قال ابن فارس رحمه الله في ختام هذا الكتاب: «وهذه جمعية لم أظفر بمثلها؛ فرحم الله من فهمها وحفظها، وأورد كل بيت في محله؛ ليجِلَّ عند خِلِّه».[1]

٩- أنه صدر من إمام عالم لغوي أديب نَقَّادة، وذلك مما يضفي على الكتاب قوة وقبولاً.

١٠- أن هذه المضارب، والشواهد التي أوردها ابن فارس تحتوي على تجارب نافعة، ولفتات تربوية بارعة، سواء في الصداقة، أو في تقلب الأحوال، أو في تدبير المعيشة، أو في حسن التعامل مع الناس، أو الترغيب في مكارم الأخلاق، أو التحذير من مساوئها، أو نحو ذلك؛ فهي مما يمكن إدراجه ضمن الشعر التعليمي، أو التعليم والتربية بالشعر، أو التدرب على تنزيل الشعر منازله.

١١- أن للشعر أثره البالغ في النفوس -كما مر- فكثيراً ما ينهض الرجل للعمل الصالح يكون في غفلة عنه، وما ينبهه إلا بيت شعر يحتوي على حكمة، ويستشهد به في حينه.

---

(١) نوادر المخطوطات ١/ ١٧٧.

قال ابن جريج ﷺ: «ما ظننت أن الله -عز وجل- ينفع أحداً بشعر عمر ابن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشداً ينشد قوله:

بالله قولي له في غير مَعْتَبَةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكْثِ في اليمن

إن كنتَ حاولت دنيا أو نَعِمْتَ بها ... فما أخذتَ بترك الحج من ثمن

فحركني ذلك على الرجوع إلى مكة، فخرجت مع الحاج وحججت»[1].

وجاء هذا الخبر في وفيات الأعيان أن ابن جريج قال: «كنت مع معن بن زائدة باليمن فحضر وقت الحج، ولم تحضرني نية، فخطر ببالي قول عمر ابن أبي ربيعة المخزومي:

بالله قولي له في غير مَعْتَبَةٍ ... ماذا أردت بطول المكث في اليمن

إن كنتَ حاولتَ دنيا أو نَعِمْتَ بها ... فما أخذتَ بترك الحج من ثمن

قال: فدخلت على معن، فأخبرته أني قد عزمت على الحج، فقال لي: ما يدعوك إليه ولم تكن تذكره؟

فقلت: ذكرت بيتين لعمر بن أبي ربيعة، أنشدته إياها، فجهزني، وانطلقت»[2].

ويقول الدكتور عبدالوهاب عزام ﷺ: «كان لي صديق أيام الشباب؛ فصلينا معاً مرة، فاقتصر على الفرض، ولم يصلِّ السنة، فأنشدته بيت المتنبي:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً ... كنقص القادرين على التمام

فكان يقول لي مِنْ بَعْد: كلما هممت بترك السنة تذكرت بيت صاحبك؛ فصليتها»[3].

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١/ ١١١-١١٢.

(٢) وفيات الأعيان لابن خَلِّكان ١/ ٥١٢.

(٣) الشوارد د. عبد الوهاب عزام ص٢٨٤.

فلهذه الأسباب وغيرها انبعثت الرغبة إلى العناية بهذا الكتاب.

أما خُطة هذا الكتاب فقد اشتملت على هذه المقدمة، وقسمين، وخاتمة، وذلك كما يلي:

المقدمة: وقد اشتملت على ما يلي:

- مكانة الشعر، وأثره.
- بيان شيءٍ مما ورد في السيرة النبوية، وسيرة السلف بشأن الشعر.
- تعريف موجز بكتاب أبيات الاستشهاد.
- الباعث على نشر كتاب (أبيات الاستشهاد).
- عمل الباحث في إخراج هذا الكتاب.

القسم الأول: دارسة لابن فارس وكتابه (أبيات الاستشهاد) وتحته فصلان:

الفصل الأول: ترجمة لابن فارس، وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: حياة ابن فارس، وسيرته.

المبحث الثاني: علوم ابن فارس وتلاميذه.

المبحث الثالث: آثار ابن فارس.

المبحث الرابع: شعر ابن فارس، ونظراته في النقد والأدب.

الفصل الثاني: دراسة لكتاب (أبيات الاستشهاد).

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف بكتاب (أبيات الاستشهاد).

المبحث الثاني: مجمل ما احتوى عليه كتاب (أبيات الاستشهاد).

المبحث الثالث: متن كتاب (أبيات الاستشهاد).

القسم الثاني: شرح كتاب (أبيات الاستشهاد).

الخاتمة: وتتضمن ذيلاً لأبيات الاستشهاد، حيث ذُكِرَ فيها مضارب كثيرة،

وشواهد عليها على نحو ما ذكره ابن فارس؛ تتميماً للفائدة.

هذه -بإجمال- هي الخطة التي سيسير عليها هذا الكتاب.

أما عملي في الشرح فيتلخص فيما يلي:

١- اعتمدت على النسخة التي حققها العلامة عبدالسلام هارون رحمه الله فهي -كما يقول- نسخة فذة في العالم، وسيأتي الحديث عنها عند التعريف بالكتاب.

٢- إثبات متن الكتاب مجرداً، وذلك في الفصل الثاني من القسم الأول؛ لتسهل قراءته مجردة لمن أراد ذلك، ثم كتابتُه مرة أخرى في الفصل الثاني؛ لأجل الشرح؛ حيث يُكْتَبُ المتن في أعلى الصفحة، ثم توضع عليه الحواشي والتعليقات في أسفل الصفحة.

٣- ترقيم المضارب التي اسْتشهد عليها ابن فارس بالأبيات، مثال ذلك قوله: «وكان إذا رأى ذا مَودةٍ قد حال عما عهدُه، أنشدَه:

لـيس الخليـلُ عـلى مـا كنـتَ تَعهـدُه ... قــد بَــدَّل الله ذاكَ الخِــلَّ ألوانــا»[1]

يوضع قبل هذا المضرب رقم (١) هكذا: ١- وكان إذا رأى ذا مودة... الخ

وهكذا البواقي؛ لأن أصل الكتاب جاء بدون ترقيم، والترقيم ييسر فهم المقصود، ويَفْصِلُ كُلَّ مضربٍ عن غيره.

وهذا الترقيم خاص بالمتن المشروح دون المتن المجرد.

٤- الإفادة من تعليقات العلامة عبدالسلام هارون على أصل الكتاب، وتمييز ما ينقل عنه بتذييله بحرف (هـ).

٥- عزو أبيات الأصل إلى قائليها في الحاشية، وقد عزوت أكثرها إلى قائليها، أو مصادرها بحسب ما تيسر لي من البحث والاطلاع.

---

(١) نوادر المخطوطات ١/ ١٥٥.

وأما الباقي فلم أجده بحسب ما اطلعت عليه من المصادر.

وقد تكون موجودة في مصادر أخرى لم أطلع عليها، ولا يبعد أن تكون تلك الأبيات من مَقُول بعض معاصري ابن فارس الذين لم يكن لهم حظٌّ من الشهرة.

وقد تكون من مقول ابن فارس نفسه، فهو -كما سيأتي- أديب وشاعر.

٦- شرح أبيات الأصل، وذلك بذكر بحورها الشعرية، وتحليل ألفاظها، ثم التعرض لبيان معنى البيت، ومناسبته، وتَعَلّقه بالمضرب.

٧- زيادة أبيات تصلح للاستشهاد لما ذكره ابن فارس في الأصل، وعزوها لقائليها ما أمكن، وإلا ستورد بدون عزو؛ لأن أكثرها مما يَمُرُّ بي، أو مما أحفظه دون أن أعرف قائله.

كذلك لن تعزى تلك الشواهد إلى مصادرها، للسبب ذاته، ولأجل ألا يكبر حجم الكتاب؛ إذ الأبيات التي أُوْرِدَتْ شواهدَ على الأصل كثيرة؛ لذا لن يعزى منها إلا ما كانت له مناسبة، أو يدور حوله تعليق، أو إشكال، أو خلاف، أو قصة.

ثم إن الأبيات التي ستورد تكاد تكون مما جرى مجرى الأمثال؛ فكانت العبرة بعموم لفظها، لا بخصوص سببه.

٨- إيرادُ بعض اللطائف والملح التي تتعلق ببعض المضارب والشواهد.

ورغبةً في ألا يثقل الكتاب كثيراً لم أشأ الإطالة في الشرح؛ لئلا يخرج الكتابُ عن مساقه، وإلا فإن الاستطراد، والإطالة لا يخلوان من فائدة -كما هو صنيع بعض الشرَّاح-.

غير أن هذه الطريقة قد تَخْرج بالموضوع عن أصله، وقد تُوصِل إلى حدِّ الإملال.

وإنما كان الحرص على إيراد الشواهد؛ ليتسنى فهم المقصود، ولأجل أن تُلحق بنظائرها، وتنزل منازلها.

فهذا -تقريباً- هو مجمل ما سيسير عليه العمل في إخراج هذا الكتاب، والله المستعان، وعليه التكلان.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أشكر الله -عز وجل- على تيسيره، وإعانته، وأسأله القبول، والإخلاص في القول والعمل، كما أسأله -جلت قدرته- أن يغفر لابن فارس، ويرفع درجاته، ويجزيه عن العلم وأهله خير الجزاء.

كما أسأله -تبارك وتعالى- أن يجزي خير الجزاء كلَّ من أعان على إخراج هذا الكتاب مراجعة، أو تصحيحاً، أو مشورة؛ والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

د. محمد بن إبراهيم الحمد
الزلفي: ص.ب: ٤٦٠
١٤٣١/٨/١٩هـ
جامعة القصيم - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
www.toislam.net
alhamad@toislam.net

القسم الأول

دراسة لابن فارس وكتابه

(أبيات الاستشهاد)

وتحته فصلان:

الفصل الأول: ترجمة ابن فارس

الفصل الثاني: دراسة لكتاب (أبيات الاستشهاد)

الفصل الأول

ترجمة ابن فارس

وتحته:

المبحث الأول: حياة ابن فارس، وسيرته

المبحث الثاني: علوم ابن فارس، وتلاميذه

المبحث الثالث: آثار ابن فارس

المبحث الرابع: شعر ابن فارس، ونظراته في النقد والأدب

المبحث الأول: حياة ابن فارس، وسيرته

أولاً: مولد ابن فارس ونشأته: هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد ابن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، والمشهور بابن فارس.

ولد في أوائل القرن الرابع الهجري، ولم يذكر أحد من أصحاب التراجم الأقدمين تاريخاً محدداً لميلاده، لكنه -كما ذكر بعض الباحثين المحدثين- يدور حول عام ٣١٢هـ.

وقد ولد بقزوين، ونشأ بَهَمَذَانَ، وكان أكثر مقامه في الري، لكنه رحل إلى بلاد كثيرة؛ لتلقي العلم.

وكان أبوه فقيهاً شافعياً لغوياً، روى عنه ابنه أبو الحسين في مقاييس اللغة، وفي الصاحبي، ومتخير الألفاظ، واللامات.

والرازي نسبة إلى الري، والزاي زائدة فيها كما زادوها في المروزي عند النسبة إلى مرو الشاهجان[1].

ويؤكد بعض الباحثين أنه من أصل عربي، وينفي أن يكون أعجمياً، يقول الأستاذ هلال ناجي في مقدمة تحقيقه لكتاب متخير الألفاظ لابن فارس: «وقد زعم بعضهم أنه من أصل أعجمي، وهو وَهْمٌ لا دليل عليه، غير ما قيل من أنه كان يتكلم بلسان القزاونة، والواقع أن إيران في القرون الإسلامية الأولى كانت تزخر بالقبائل العربية التي رحلت أيام الفتوح واستوطنتها، وليس في سلسلة

---

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤/ ٨٢ و ٣٨ و ٢١٨، والعبر للذهبي ٢/ ٣٣٢ و٣٦٧، وبغية الوعاة ١/ ٣٥٢، وإنباه الرواة للقفطي ١ . ٩٥، وانظر مقدمة متخير الألفاظ لابن فارس حققه وقدم له الأستاذ هلال ناجي ص ١٤ـ١٥.

نسب ابن فارس، اسم غير عربي، فإذا أضفنا لذلك أن تَكَلُّمه بلسان القزاونة أمر طبعي تمليه ظروف المجاورة للسكان الأصليين اتضح أن لا دليل يدعم زعم الزاعمين أنه غير عربي، بل العكس هو الصحيح؛ ذلك أن ابن فارس كان شديد العصبية للعربية في عصر استفحلت فيه دعاوى الشعوبيين، يكشف عن ذلك كتابه الصاحبي في فقه اللغة، وهو تعصب يمليه الانتساب إليهم على الأغلب.

وبالإجمال فإن انتسابه للعرب أقرب للصواب في رأينا»[1].

وعلى كل حال فأيّاً كان انتسابه فذلك لا يضير؛ فحبه للعربية، وعصبيته لها نابع من حبه للإسلام، ولغته، وأهله.

والإسلام دين الناس كافة، ومن خالطت بشاشتُه قلبه - أحبه، وأحب لغته، ورسوله ﷺ.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً من أحوال أئمة الإسلام والعربية من غير العرب.

ثانياً: شيوخ ابن فارس: أخذ ابن فارس العلم عن كثيرين منهم:

١- والده فارس بن زكريا ت٣٦٩هـ وقد مرَّ الحديث عنه.

٢- علي بن إبراهيم بن سلمة القطان ٢٥٤-٣٤٥هـ.

٣- سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ت ٣٦٠هـ.

وغيرهم كعلي بن عبدالعزيز المكي، وأحمد بن الحسن بن الخطيب.

وممن سمع منهم أبو أحمد بن أبي الثيار، وعبدالرحمن بن حمدان، وأحمد بن محمد بن بُندار، وعلي بن محمد بن مهرويه، وغيرهم كثير[2].

---

(١) مقدمة كتاب متخير الألفاظ لابن فارس ص٩-١٠.

(٢) انظر معجم الأدباء ٤/ ٨٢ و ٣٨ و ٢١٨ ، والعبر للذهبي ٢/ ٣٣٢ و ٣٦٧، وبغية الوعاة للسيوطي ١/ ٣٥٢، وإنباه الرواة ١ . ٩٥، وانظر مقدمة متخير الألفاظ ص ١٤-١٥.

ثالثاً: وفاة ابن فارس: أما وفاته فكانت سنة ٣٩٥هـ على الرأي الصحيح كما رَجَّحَ ذلك العلامةُ عبدُالسلام هارون ﷺ وغيره.

وروى أكثر من ترجم له أنه قال قبل وفاته بيومين:

يا رب إن ذنوبي قد أحَطتَ بها علماً وبي وبإعلاني وإسراري

أنا الموحد لكنيْ المُقِرُّ بها فهب ذنوبي لتوحيدي وإقراري[1]

رابعاً: أخلاق ابن فارس: امتاز ابن فارس بأخلاق العلماء حقاً، فقد كان ﷺ ورعاً تقياً شديد التواضع، وفياً لأساتذته، براً بهم، أميناً في النقل عنهم.

وتتضح هذه الخصلة الطيبة حين يقول في كتابه (الصاحبي): «والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مُفَرَّقٌ في أصناف مؤلفات المتقدمين -رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء-.

وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسط مختصر، أو شرح مشكل، أو جمع متفرق»[2].

يقول هذا مع أن كتاب (الصاحبي) من أعظم ما أُلِّف في بابه، بل هو البداية الحقيقية لعلم فقه اللغة -كما سيأتي بيانه-.

وكان جواداً كريماً لا يكاد يرد سائلاً، حتى إنه كان يهب ثياب جسمه، وفرش بيته.

قال ابن الأنباري: «وكان له صاحب يقال له أبو العباس أحمد بن محمد الرازي

---

(١) انظر معجم الأدباء ٤/ ٨٠، والمزهر للسيوطي ١/ ٤١٤، وبغية الوعاة، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١٠٠، ومقدمة معجم المقاييس تحقيق عبدالسلام هارون ١ / ١٠ .

(٢) الصاحبي ص٢٠ .

المعروف بالغضبان، وسبب تسميته بذلك أنه كان يخدمه ويتصرف في بعض أموره، قال: فكنت ربما دخلت فأجد فرش البيت أو بعضه قد وهبه، فأعاتبه على ذلك، وأضجر منه؛ فيضحك من ذلك، ولا يزول عن عادته.

فكنت متى دخلت عليه ووجدت شيئاً من البيت قد ذهب علمت أنه قد وهبه؛ فأعبس، وتظهر الكآبة في وجهي؛ فيبسطني ويقول: ما شأن الغضبان؟ حتى لحق بي هذا اللقب منه، وإنما كان يمازحني به»[1].

(١) نزهة الألباب للأنباري ص ٣٢١-٣٣٢، وانظر مقدمة معجم مقاييس اللغة ١/ ٨-٩.

المبحث الثاني: علوم ابن فارس، وتلاميذه

أولاً: علوم ابن فارس: أما علومه فكانت متنوعة شاملة لا سيما اللغة التي أتقنها، وأكثر من التأليف في فروعها، وشهر بها؛ ودعي بـ: اللغوي.

ويرجع ذلك إلى مؤلفاته القيمة التي كان لها أثر كبير في الدراسات اللغوية.

وكان صاحبَ عقلية جبارة، وموهبة فذة مُبْتَكِرَةٍ، وقد شهد له بذلك الكثير من القدامى والمُحْدَثين، كالثعالبي، وابن خلكان، والصاحب بن عباد، وعبدالسلام هارون، وغيرهم.

وكان فقيهاً شافعياً، ويناصر مذهب مالك بن أنس.

ومن أخباره في ذلك: «أنه كان يناظر في الفقه، فإذا وجد فقيهاً أو متكلماً أو نحوياً كان يأمر أصحابه بسؤالهم إياه، ويناظره في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه، فإن وجده بارعاً جره في المجادلة إلى اللغة؛ فيغلبه بها.

وكان يحث الفقهاء دائماً على معرفة اللغة، ويلقي عليهم مسائل ذكرها في كتابه (فتيا فقيه العرب) ويخجلهم بذلك؛ ليكون خجلهم داعياً إلى حفظ اللغة، ويقول: «من قصر علمه عن اللغة وغولط غلط».[1]

ومن عجائب أخباره أنه كان شافعي المذهب، ثم صار مالكياً في سنواته الأخيرة، قال: دخلتني الحمية لهذا البلد -يعني الري- كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل المقبول على جميع الألسنة.[2]

---

(١) إنباه الرواة ١/ ٩٤.

(٢) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤/ ٨٣-٨٤.

وفي نزهة الألباء أنه قال حين غير مذهبه: «وصلتني الحمية لهذا الإمام المقبول القول على جميع الألسنة أن يخلو مثل هذا البلد -يعني الري- عن مذهبه فعمرت مشهد الانتساب إليه، حتى يكمل لهذا البلد فخره؛ فإن الريَّ أجمع البلاد للمقالات والاختلافات في تضادها وكثرتها».[1]

أما طريقته في النحو فطريقة الكوفيين؛ فقد أجمع الذين ترجموا له على ذلك.

ويؤيد ذلك أنه يرجع إلى أحمد بن يحيى ثعلب إمام نحاة الكوفة، وسواه من أئمة الكوفة كالفراء، والمفضل الضبي، والكسائي، وأبي عبيد القاسم بن سلام.

كما كان يستخدم مصطلحات الكوفيين النحوية كالخفض، والنَّسَق، والنعت مكانَ الجر، والعطف، والوصف عند البصريين.

وكما كان كوفياً في منهجه النحوي فهو كذلك كوفي في منهجه اللغوي، ويقول بما قال به الكوفيون في ذلك.

وبالرغم من كونه كوفيَّ المذهب في النحو واللغة فإنه لم يكن متعصباً للكوفيين، بل كان سمحاً يستشهد بكلام البصريين، ورواياتهم؛ فهو كثير الرواية عن الخليل، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة، وكلهم بصريون.

ومما يدل على ذلك -أيضاً- أن أكثر العلماء تأثيراً في بعض مؤلفاته ثلاثة:

أولهم بغدادي، وهو ابن السكيت، وتأثير كتابه (الألفاظ) ظاهر في كتاب (متخير الألفاظ لابن فارس).

وثانيهم كوفي، وهو ثعلب، ويبدو تأثيره في كتاب (الصاحبي) لابن فارس.

وثالثهم بصري، وهو ابن دريد، ويبدو تأثير كتابه (الملاحن) في كتاب فتيا

(١) انظر نزهة الألباء للأنباري ص٣٢١.

فقيه العرب لابن فارس"[1].

ثم إن ابن فارس لم يكن من العلماء المنزوين على أنفسهم، المكتفين بمجالس العلم والتعليم، بل كان مُتَّصلاً بالحياة أكمل اتصال، ماداً بسبب إلى نواحٍ شتى.

وسيتضح شيء من تبحره في العلم، وتفنُّنه في شتى ضروبه عند الحديث عن آثاره.

ثانياً: تلاميذ ابن فارس: تتلمذ على يد ابن فارس خلقٌ كثير ومن أبرز هؤلاء التلاميذ الذين تذكرهم المصادر: بديع الزمان الهمذاني ت ٣٩٨هـ والصاحب بن عباد ت ٣٨٥هـ وهو القائل عن ابن فارس: «شيخنا أبو الحسين ممن رُزق حسن التأليف، وأمن فيه من التصحيف».

ومن تلاميذه أبو طالب مجد الدولة بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي، وعلي بن القاسم المقري، وأبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالغضبان، وأبو محمد نوح بن أحمد الأديب اللوباسي، وأبو الفتح سليم ابن أيوب الرازي ت٤٤٧هـ وأبو زرعة روح بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق الرازي ت٤٢٣هـ وغيرهم كثير[2].

---

(١) انظر مقدمة كتاب متخير الألفاظ ص ٣٩-٤٣ .

(٢) انظر مقدمة كتاب متخير الألفاظ ص ١٥-١٦ .

المبحث الثالث: آثار ابن فارس

أولاً: معالم بارزة في آثار ابن فارس: ضرب ابن فارس بسهم وافر في حركة التأليف في عصره، وكان لتآليفه الأثر البالغ فيمن جاء بعده.

وهذه التآليف منها المطبوع، ومنها المخطوط، ومنها المفقود.

والذي يتأمل في مؤلفات ابن فارس يلحظ ما يلي:

١- جمال العرض، وحسن الاستشهاد والتعليل.

٢- التنوع والتفنن؛ فلقد ألف في فنون شتى من العلم وإن كان أبرز تأليفه في اللغة؛ فلقد ألف في التفسير، والفقه، وأصوله، والسيرة، والأدب، وغير ذلك من فنون العلم.

٣- الذوق العالي، والأدب الرفيع، ويتجلى ذلك في إيراده الحجج، ومناقشته للآراء، وبعده عن لغة التعالي والاستفزاز.

كما يتجلى ذوقه في عنوانات مؤلفاته؛ فالمطلع عليها يَعْجب من حسن اختياره للموضوعات، والعنوانات -كما سيتبين عند العرض لمؤلفاته-.

٤- الأمانة العلمية، وتتجلى هذه الميزة بعزوه الكلامَ إلى قائليه، ودقته في النقل دون تزيُّدٍ، أو تحيز.

٥- نزوعه إلى التجديد؛ فهو وإن كان يفيد كثيراً عن ممن سبقه، ويعترف لهم بالفضل، ويقول: «وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسط مختصر، أو شرح مشكل، أو جمع متفرق» هو مع ذلك كله قد ترك بصماتِهِ الواضحةَ، وتجديده البارز، وابتكاره، واختراعه الذي يعدُّ مَعْلَماً من معالم تأليفه.

ولا أدل على ذلك من كتابيه (الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها) و (معجم مقاييس اللغة).

فهو أول من أطلق اصطلاح فقه اللغة، وأول من ابتكر فكرة الأصول والمقاييس -كما سيتبين ذلك عند استعراض آثاره-.

٦- بعده عن التعصب سواء لمذهبه الكوفي في النحو واللغة، أو مذهبه الفقهي الشافعي -كما مر- أو في نظرته للقديم والحديث -كما في رسالته لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب -التي سيرد ذكرها-.

فهذه بعض المعالم البارزة في آثار ابن فارس رحمه الله.

وسيتضح ما يؤكد تلك المعالم وغيرها عند استعراض آثاره في الفقرة التالية.

ثانياً: آثار ابن فارس المطبوعة: من آثار ابن فارس المطبوعة ما يلي:

١- **(الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها)**؛ فهذا الكتاب يعد مع كتابي ابن جني (الخصائص) و (سر صناعة الإعراب) البداية الحقيقية لفقه اللغة، وظهوره بصفته عِلْماً مستقلاً.

وترجع أهمية كتاب (الصاحبي) إلى أمور عديدة لعل أهمها كونه أول كتاب في العربية يحمل اصطلاح (فقه اللغة).

وبه تأثر المؤلفون من بعده، واتخذوا هذا الاصطلاح فناً لغوياً مستقلاً.

وقد عالج ابن فارس رحمه الله في كتابه (الصاحبي) عدداً من الموضوعات التي تعد من صميم فقه اللغة، وجمع في كتابه ما تفرق في كتب من سبقه.

قال رحمه الله في مقدمة كتابه: «والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف العلماء المتقدمين -رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء-.

وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسط مختصر، أو شرح مشكل، أو جمع متفرق»[1].

ثم بعد ذلك شرع رحمه الله في أبواب الكتاب التي تعد النواة الأولى في فقه اللغة، وذلك كحديثه عن نشأة اللغة، والخط العربي، وعن خصائص اللغة، ومزاياها.

وكحديثه عن اختلاف اللغات، وأقسام الكلام، ومعاني الحروف.

وكحديثه عن الخطاب المطلق والمقيد، وعن الحقيقة والمجاز، والقلب، والإبدال، والعموم، والخصوص، والحذف والاختصار، والاتباع، والنحت، والإشباع، وغيرها.

وبالجملة فإن الكتاب يحتوي على ٢٠٧ من الأبواب، ويقع في مجلد واحد.

وقد طبع عدة طبعات، ومن أحسن تلك الطبعات طبعة البابي الحلبي، تحقيق السيد أحمد صقر، وتقع في ٦٣٧ صفحة.

ولعل من آخرها طبعة دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

وقد علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، وتقع في ٢٣٨ صفحة.

٢- **معجم مجمل اللغة**: وقد اتبع ابن فارس في تنظيمه لمواد المجمل، وكذلك معجم المقاييس -كما سيأتي- طريقة لم يُسبق إليها.

يقول الأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله في مقدمة كتاب معجم مقاييس اللغة مبيناً نظام ابن فارس في معجميه المجمل والمقاييس[2]: «جرى ابن فارس على طريقة فاذة بين مؤلفي المعاجم، في وضع معجميه: المجمل والمقاييس.

---

(١) الصاحبي ص١٢.

(٢) وقد نقلت هذا الكلام على طوله؛ لقلة من يتفطن أو ينبه على طريقة ابن فارس في معجميه المذكورين.

فهو لم يرتب موادهما على أوائل الحروف وتقليباتها كما صنع ابن دريد في الجمهرة، ولم يطردها على أبواب أواخر الكلمات كما ابتدع الجوهري في الصحاح، وكما فعل ابن منظور والفيروز أبادي في معجميهما، ولم يَنْسُقها على أوائل الحروف فقط كما صنع الزمخشري في أساس البلاغة، والفيومي في المصباح المنير.

ولكنه سلك طريقاً خاصاً به لم يفطن إليه أحد من العلماء، ولا نبه عليه.

وكنت قد ظننت أنه لم يلتزم نظاماً في إيراد المواد على أوائل الحروف، وأنه ساقها في أبوابها هملاً على غير نظام، ولكني بتتبع المجمل والمقاييس ألفيته يلتزم النظام الدقيق التالي:

١- فهو قد قسم مواد اللغة أولاً إلى كتب، تبدأ بكتاب الهمزة، وتنتهي بكتاب الياء.

٢- ثم قسم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة أولها باب الثنائي المضاعف والمطابق، وثانيها أبواب الثلاثي الأصول من المواد، وثالثها باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية.

٣- والأمر الدقيق في هذا التقسيم أن كل قسم من القسمين الأولين قد التُزم فيه ترتيب خاص، وهو ألا يبدأ بعد الحرف الأول إلا بالذي يليه؛ ولذا جاء باب المضاعف في كتاب الهمزة، وباب الثلاثي مما أوله همزة وباء ترتيباً طبيعياً على نسق حروف الهجاء.

ولكن في (باب الهمزة والتاء وما يثلثهما) يتوقع القارئ أن يأتي المؤلف بالمواد على هذا الترتيب: (أتب، أتل، أتم، أتن، أته، أتو، أتى)، ولكن الباء في (أتب) لا تلي التاء بل تسبقها، ولذلك أخرها في الترتيب إلى آخر الباب فجعلها بعد مادة (أتى).

وفي باب التاء من المضاعف يذكر أولاً (تخ) ثم (تر) إلى أن تنتهي الحروف، ثم يرجع إلى التاء والباء (تب) لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الخاء.

وفي أبواب الثلاثي من التاء لا يذكر أولاً التاء والهمزة وما يثلثهما، بل يؤخر هذا إلى أواخر الأبواب، ويبدأ بباب التاء والجيم وما يثلثهما، ثم باب التاء والحاء وما يثلثهما، وهكذا إلى أن ينتهي من الحروف، ثم يرجع أدراجه ويستأنف الترتيب من باب التاء والهمزة وما يثلثهما.

وذلك لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الجيم.

وتجد -أيضاً- أن الحرف الثالث يراعى فيه هذا الترتيب، ففي باب التاء والواو وما يثلثهما يبدأ بـ (توى) ثم (توب) ثم (توت) إلى آخره، وذلك لأن أقرب الحروف التي تلي الواو هو الياء.

وفي باب الثاء من المضاعف لا يبدأ بالثاء والهمزة ثم بالثاء والباء، بل يرجئ ذلك إلى أواخر الأبواب، ويبدأ بالثاء والجيم (ثج) ثم بالثاء والراء (ثر) إلى أن تنتهي الحروف، ثم يستأنف الترتيب بالثاء والهمزة (ثا) ثم بالثاء والباء (ثب).

وفي أبواب الثلاثي من الثاء لا يبدأ بالثاء والهمزة وما يثلثهما ثم يعقب بالثاء والباء وما يثلثهما، بل يدع ذلك إلى أواخر الأبواب، فيبدأ بالثاء والجيم وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يرجع إلى الأبواب التي تركها.

وتجد -أيضاً- أن الحرف الثالث يراعى فيه الترتيب.

ففي باب الثاء واللام وما يثلثهما يكون هذا الترتيب (ثلم، ثلب، ثلث، ثلج)... إلخ.

وفي باب الجيم من المضاعف يبدأ بالجيم والحاء (جح) إلى أن تنتهي الحروف

(جو) ثم ينسق بعد ذلك (جأ، جب).

وفي أبواب الثلاثي من الجيم يبدأ بباب الجيم والحاء وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يذكر باب الجيم والهمزة وما يثلثهما، ثم باب الجيم والباء، ثم الجيم والثاء، مع مراعاة الترتيب في الحرف الثالث، ففي الجيم والنون وما يثلثهما يبدأ أولاً بـ (جنه) ثم (جنى) ويعود بعد ذلك إلى (جنأ، جنب، جنث) إلخ.

هذا هو الترتيب الذي التزمه ابن فارس في كتابيه (المجمل) و (المقاييس) وهو بِدْع كما ترى»[1].

٣- معجم مقاييس اللغة: وهذا الكتاب يكاد يكون أعظم كتب ابن فارس إن لم يكن أعظمها، بل يكاد يكون أعظم معجم ألف في اللغة العربية.

وهو منهج جديد في التأليف المعجمي يشبه إلى حدٍّ ما منهجه في كتاب المجمل، ولكن المقاييس يحمل أفكاراً جديدة على المعجم العربي كله، ولذلك قال عنه ياقوت الحموي رحمه الله: «كتاب جليل لم يصنف مثله»[2].

وقال عنه الأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله: «فإنَّ كِتَابَنا هذا لا يختلف اثنان بعد النظر فيه أنه فذ في بابه، وأنه مفخرة من مفاخر التأليف العربي، ولا إخال لغةً في العالم ظفرت بمثل هذا الضرب من التأليف.

ولقد أضفى ابن فارس عليه من جمال العبارة وحسن الذوق، وروح الأديب، ما يبعد به عن جفوة المؤلفات اللغوية، وعنف ممارستها.

فأنت تستطيع أن تتخذ من هذا الكتاب متاعاً لك إذْ تبغي المتاع، وسنداً حين تطلب التحقق والوثوق.

---

(١) ١/ ٤٢-٤٤.

(٢) معجم الأدباء ١/ ٥٣٦، وانظر دراسات في المعاجم العربية د. أمين فاخر ص٩٩.

والكتاب بعد كل أولئك يضم في أعطافه وثناياه ما يَهَب القارئ ملكة التفهم لهذه اللغة الكريمة، والظهور على أسرارها»[1].

وقال في موضع آخر عن الكتاب: «مفخرة من مفاخر التأليف العربي، بل يكاد يكون الفذَّ من نوعه من بين المؤلفات اللغوية في المحيط العربي، إن لم يكن المحيط اللغوي العالمي؛ فنحن لم نعلم إلى الآن أن مؤلفاً لغوياً آخر حاول أن يدرس مواد اللغة في ظل القياس المطرد في تلك المواد.

ولا غرو؛ فإن مؤلِّفَه أحمدَ بنَ فارس يعد في طليعة العلماء الذين أخذوا من كل فن بسهم وافر»[2].

ولعل من توفيق الله لابن فارس ولكتابه المقاييس أن قيض الله لتحقيقه وضبطه العلامة المحقق البحاثة عبدالسلام هارون رحمه الله؛ حيث قام بهذا العمل الجليل خير قيام، وصدَّره بمقدمة أورد فيها حياة ابن فارس، وتحدث عن سيرته وخلقه، وتلقيه العلم، وتعليمه إياه، وعن أبرز شيوخه وطلابه، كما تحدث عن الجانب الأدبي، والجانب اللغوي عند ابن فارس.

كما أنه رحمه الله وازن بين كتاب المقاييس والمجمل، وتوصَّل من خلال ذلك إلى أن المقاييس من أواخر مؤلفات ابن فارس، وأن النضج اللغوي الذي يتجلى فيه من دلائل ذلك[3].

ولقد تميز معجم مقاييس اللغة زيادة على ما مضى بميزات عظيمة، وأهم تلك

---

(١) مقدمة كتاب معجم مقاييس اللغة ١/ ٤٥.

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ١٥/ ١٠ من بحث معجم مقاييس اللغة للأستاذ عبدالسلام هارون.

(٣) انظر مقدمة المقاييس ١/ ٤١.

الميزات فكرتان أساسيتان اتبعهما ابن فارس في تأليفه للمعجم، وتكاد تكون باقي الميزات ترجع إلى هاتيك الفكرتين:

الأولى: فكرة الأصول والمقاييس: ويقصد بهما: البناء الذي يدل على معنى واحد، بحيث يجمع كلمات تشترك معه في الحروف الأصلية التي هي حروف المادة.

ومثال ذلك قوله في مادة: (أله): الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد؛ فالإله: الله -تعالى- وسمي بذلك؛ لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل إذا تعبد، قال رؤبة:

لله درُّ الغانيات المُدَّه(١) سبحن واسترجعن من تألهي

والإلَهَة: الشمس سميت بذلك؛ لأن قوماً كانوا يعبدونها.

وحين تتشابه هذه الكلمات المتفرعة عن الأصل، ويمكن إرجاعها إليه فإنه يسمى هذا التشابه قياساً.

وفكرة الأصول والمقاييس هي ما يسميه بعض اللغويين: (الاشتقاق الكبير) الذي يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معانٍ تشترك فيها هذه المفردات(٢).

الفكرة الثانية: فكرة النحت التي اشتهر بها ابن فارس، والنحت هو أن يؤخذ من كلمتين فأكثر كلمة واحدة.

أو هو استخراج كلمة واحدة من كلمتين فأكثر.

ومعنى ذلك أن يُعْمَدَ إلى كلمتين فأكثر، فيجعل منهما كلمةً واحدة تُعَبِّر عن الكلمتين.

---

(١) المده: وهو المدح لغة فيه، وقيل: المُدَّه في نعت الهيئة والجمال، والمدح في كل شيء.

(٢) انظر مقدمة معجم المقاييس ١/ ٣٩، ودراسات في المعاجم ص١٠١.

مثال ذلك: عبشمي: نسبة إلى عبد شمس، وحيعل نسبة إلى حي على الفلاح.

ولابن فارس طريقة فريدة في المنحوت، حيث أرجع كثيراً من الكلمات الرباعية والخماسية إلى النحت.

والمقام لا يتسع لإيضاح تينك الفكرتين[1].

٤- **أبيات الاستشهاد**: وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

٥- **الإتباع والمزاوجة**: وهو يبحث فيما ورد في كلام العرب مزدوجاً.

٦- تمام فصيح الكلام. ٧- خلق الإنسان. ٨- ذم الخطأ في الشعر ٩- سيرة النبي ﷺ ١٠- فتيا فقيه العرب ١١- اللامات ١٢- متخير الألفاظ ١٣- مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله.

١٤- رسالته إلى أبي عمر محمد بن سعيد الكاتب، وسيأتي الحديث عنها.

١٥- النيروز.

فهذا شيءٌ من آثاره المطبوعة[2].

ثالثاً: آثار ابن فارس المخطوطة، والمفقودة: أما آثاره المخطوطة فمنها:

١- أخلاق النبي ﷺ.

٢- الليل والنهار. ٣- مختصر في المذكر والمؤنث ٤- اليشكريات.

ولا أدري أطبعت هذه الكتب أمْ لم تطبع[3].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب: فقه اللغة، مفهومه، موضوعاته قضاياه للمؤلف ص ٢٥٧-٢٦٨ و٣٦٦-٣٧٢.

(٢) انظر مقدمة الأستاذ هلال ناجي على كتاب متخير الألفاظ ص ٢٤-٣١ ففيها تفصيل لتلك المؤلفات.

(٣) انظر مقدمة كتاب متخير الألفاظ ص٣٢ .

وأما آثاره المفقودة التي لم يعثر عليها -كما يقول الأستاذ هلال ناجي- فمنها:
١- أصول الفقه ٢- الأضداد ٣- الأفراد ٤- الأمالي ٥-أمثال الأسجاع ٦- الانتصار لثعلب ٧- تفسير أسماء النبي ﷺ ٨-الثياب والحلي ٩- جامع التأويل في تفسير القرآن ١٠- الحبير المذهب ١١- الحجر ١٢- حلية الفقهاء ١٣- الحماسة المُحْدَثة ١٤-ذخائر الكلمات ١٥- شرح رسالة الزهري إلى عبدالملك بن مروان ١٦-العم والخال ١٧- فضل الصلاة على النبي -عليه الصلاة والسلام- ١٨- كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين ١٩- المعاش والكسب ٢٠- ما جاء في أخلاق المؤمنين ٢١- ذم الغيبة ٢٢-خضارة: وهو كتاب نعت الشعر ٢٣- دارات العرب ٢٤- الفرق ٢٥- الميرة ٢٦-مأخذ العلم ٢٧- مقدمة في الفرائض ٢٨- مقدمة في النحو ٣٠-شرح مختصر المزني ٣١-الجوابات: وقد ذكره في كتابه الصاحبي في خاتمة باب (ما يكون بيانه منفصلاً منه، ويجيء في السورة معها، أو في غيرها) إذ قال ما نصه: «وهذا في القرآن كثير أفردنا له كتاباً، وهو الذي يسمى الجوابات».

فهذه بعض آثاره المفقودة، والمقام لا يسمح باستعراض ما قيل عن تلك المؤلفات[1].

ولعلك وقفت من خلال ذلك على شيء من عبقرية ذلك العالم الكبير، وتفننه في العلوم، وحسن اختياره لعنوانات الكتب، وَطَرْقِهِ لموضوعات مهمة، أو جديدة.

---

(١) انظر بيان ذلك في مقدمة الأستاذ هلال ناجي على كتاب متخير الألفاظ لابن فارس ص٣٢-٣٩ حيث تعرض لتلك المؤلفات بشيء من البسط.

المبحث الرابع: شعر ابن فارس ونظراته في النقد والأدب

أولاً: شعر ابن فارس: لقد أحسن ابن فارس صنعة الشعر، وكان نقادةً فيه، وله شعره الذي ينم عن ظرف، ورقة، وحسن تأتٍّ.

وهو مُلِحٌّ في التهكم والسخرية، ومن شعره في ذلك قوله:

مـــرت بنـــا هيفـــاءُ مقـــدودةٌ تركيــــةٌ تُنْمــــى لتركــــيِّ
ترنـــو بطـــرفٍ فـــاتن فـــاتر كأنـــــه حُجَّـــــةُ نحـــــويِّ

فيجعل من حجة النحوي في ضعفها -على ما يراه- شبهاً للطرف الفاتن الفاتر.

وهو يتبرم بَهَمَذَانَ والعيشِ فيها؛ فيرسم حياته فيها على هذا النحو البديع، فيقول:

سـقى همـذان الغيـثُ لسـتُ بقائـل سـوى ذا وفي الأحـشاءِ نـارٌ تَـضَرَّمُ
ومـاليَ لا أصـفيْ الـدعاءَ لبلـدة أَفَـدْتُ بهـا نـسيانَ مـا كنـتُ أعلـم
نـسيتُ الـذي أَحْـسَنْتُهُ غـير أننـي مَـدِينٌ ومـا في جـوفِ بيتـيَ درهـمُ

وهو صاحب حملة على من يزهّدون في الدينار والدرهم؛ بحجة أنهم يطلبون المجد في العلم والأدب، فيقول على سبيل التهكم:

قــد قــال في مــا مــضى حكــيم: مـــــا المـــــرء إلا بأصـــــغريه
فقلــــتُ قــــولَ امــــرئٍ لبيــــبٍ: مـــــا المـــــرء إلا بدرهميـــــه
مـــن لم يكـــن مَعْـــهُ دِرْهمـــاه لم تلتفـــــت عِرْسُـــــه إليـــــه[1]
وكـــان مـــن ذُلِّـــه حقـــيراً تبـــــول سَـــــنّوره عليـــــه

(١) العرس: الزوجة.

ولابن فارس التفاتٌ عجيب إلى السَّنور، وقد سجل في غير هذا الموضع من شعره أنه كان يصطفي لنفسه هِرَّةً تلازمه، وتنفي عنه هموم قلبه، ووساوس نفسه، فقال:

وقالوا: كيف أنت فقلت: خيرٌ تَقَضَّى حاجةٌ وتفوت حاجُ
إذا ازدحمت هموم القلب قلنا عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمي هرتي وسرورُ قلبي دفاتِرُ لِيْ ومعشوقيْ السراج

وهو بصير ذو خبرة بطبائع الناس، واستئثارهم بالمال، وخضوعهم له، يقول في ذلك:

إذا كنت في حاجة مُرْسِلاً وأنت بها كَلِفٌ مغرمُ
فأرسل حكيماً ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم

ويقول:

عتبتُ عليه حين ساءَ صنيعُهُ وآليتُ[1] لا أمسيتُ طوعَ يديه
فلما خبرتُ الناس خُبْرَ مُجَرِّبٍ ولم أرَ خيراً منه عُدتُ إليه

ويقول لمن يتكاسل في طِلاب العلم:

إذا كان يؤذيك حرُّ المصيف ويُبْسُ الخريف وبردُ الشتا
ويلهيك حسنُ زمانِ الربيع فأخذُكَ للعلم قل لي: متى؟[2]

ولعل ابن فارس من أقدم من استعمل أسلوب الشعر في تقييد مسائل اللغة والعربية.

---

(١) آليت: حلفت.

(٢) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ص١٠٠-١٠١، وبغية الوعاة للسيوطي ص٣٥٢-٣٥٣، ومقدمة معجم المقاييس١ / ١١ - ١٣، ومقدمة متخير الألفاظ ص١٩-٢٤.

يقول ياقوت الحموي: «قرأت بخط الشيخ أبي الحسن علي بن عبدالرحيم السلمي: وجدت بخط ابن فارس على وجه المجمل، والأبيات له، ثم قرأتها على سعد الخير الأنصاري، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا، عن سليمان بن أيوب، عن ابن فارس:

يا دارَ سُعدى بذات الضَّالِ[1] من إضَمٍ   سقاكِ صوبُ حَياً من واكف العينِ

العين: سحاب ينشأ من قِبَل القبلة.

إني لأذكر أياماً بِها ولنا   في كل إصباح يومٍ قرَّةُ العينِ

العين ههنا: عين الإنسان وغيره.

تُدني مُعَشَّقَة منَّا معتَّقة   تَشُجُّها عذبة من نابع العين

إذا تَمَزَّزَها شيخٌ به طَرَقٌ   سرت بقُوَّتها في الساق والعينِ

العين ههنا: عين الركبة، والطرق: ضعف الركبتين.

والزِّقُّ ملآنُ من ماء السرور فلا   تخشى تولُّهَ ما فيه من العينِ

العين ههنا: ثقب يكون في المزادة، وتولُّه الماءِ: أن يتسرب.

وغاب عُذَّالنا عنا فلا كدرٌ   في عيشنا من رقيب السوء والعينِ

العين ههنا: الرقيب.

يقسِّم الودَّ فيما بيننا قِسَماً   ميزانُ صدقٍ بلا بَخْسٍ ولا عينِ

العين ههنا: العين في الميزان.

وفائض المال يغنينا بحاضره   فنكتفي من ثقيل الدَّين بالعينِ

العين ههنا: المال الناضّ[2]».

---

(١) الضال: نبت كالسَّلَم.

(٢) الدراهم والدنانير.

والمجمـل المجتبـى تغنـي فوائـده حفاظَـه عـن كتـاب الجـيم والعـينِ[1]

ثانياً: نظرات ابن فارس في النقد والأدب: لابن فارس نظرات في النقد والأدب، ولم يكن كأمثالِ مَنْ ينصرفون عن إنتاج معاصريهم، أو ممن يحتقر الفائدة، أو التأليف، أو الشعر إذا صدر من معاصر.

ولم يكن من اللغويين الجامدين الذين لا يقيمون لمعاصريهم وزناً، بل هو يُصْغي إلى شعر معاصريه، ويروي لكثير منهم، وينتصر للمحسن، وينتصف من المتعصبين.

وإليك شيئاً من رسالة له كتبها لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب؛ لتستبين مذهبه في ذلك، وتَلْمَسَ أسلوبه الأدبي، تلك الرسالة التي يتناقلها بعض المؤلفين إلى يومنا هذا، ويرون فيها رداً على من لا يَقْدُرُون الإنتاجَ العلمي والأدبي قَدْرَهُ، ولا يرون التَمَيُّزَ إلا للقديم؛ فابن فارس يُبَيِّن فيها أن الحَسَنَ الجيدَ لا يختص به أحد دون أحد، أو زمان دون زمان، وينكر تلك المقولة التي وقفت سداً منيعاً أمام كثير من المبدعين، ألا وهي قولهم: (ما ترك الأول للآخر شيئاً).

ويرشد إلى أن يوضع مكانها: (كم ترك الأول للآخر).

يقول رحمه الله في رسالته: «ألهمك الله الرشاد، وأصحبك السداد، وجنبك الخلاف، وحبَّب إليك الإنصاف.

وسبب دعائي بهذا لك إنكارُك على أبي الحسن محمد بن علي العِجْلي تأليفه كتاباً في الحماسة، وإعظامك ذلك.

---

(١) معجم الأدباء ١/ ٥٤٠ـ٥٤١، ولا يخفى أنه رحمه الله أراد أن يشير في هذه الأبيات إلى مبحث الاشتراك أو المشترك في اللغة؛ فكلمة العين واحدة، ومعانيها مختلفة ـ كما ترى ـ.

ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريده، وَيَرِد المنهل الذي يؤمه- لاستدرك من جيد الشعر وَنقِيِّه، ومختاره ورضيِّه كثيراً مما فات المؤلف الأول؛ فلماذا الإنكار؟ ولمه هذا الاعتراض؟ ومن ذا حظر على المتأخر مضادةَ المتقدم؟ ولمه تأخذ بقول من قال: ما ترك الأول للآخر شيئاً، وتدع قول الآخر:

كم ترك الأول للآخر؟

وهل الدنيا إلا أزمان، ولكل زمان رجال؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام، ونتائج العقول؟!

ومَنْ قَصَر الآداب على زمانٍ معلوم، ووقفها على وقت محدود؟ ولمه لا ينظر الآخر مثلما نظر الأول؛ حتى يؤلف مثل تأليفه، ويجمع مثل جمعه، ويرى في كل مثل رأيه.

وما تقول الفقهاء في زماننا إذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم؟ أوَ ما علمت أن لكل قلب خاطراً، ولكل خاطر نتيجةً؟ ولِمَهْ جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعره، ولم يَجُزْ أن يؤلف مثل تأليفه؟

ولمه حجَّرت واسعاً، وَحَظَرتَ مباحاً، وحَرَّمت حلالاً، وسددت طريقاً مسلوكاً؟

وهل حبيبٌ[1] إلا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم؟ ولمه جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم، وأهل النحو في مصنفاتهم، والنُّظَّار في موضوعاتهم، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم، ولم يجز معارضة أبي تمام في كتاب شذَّ عنه في الأبواب التي شرعها فيه أمر لا يُدْرَكُ ولا يدرى قدره؟

ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير، ولذهب أدب غزير،

---

(١) يعني به: أبا تمام: حبيب بن أوس الطائي.

ولضلت أفهام ثاقبة، ولَكَلَّت أَلْسُنٌ لسِنَةٌ، ولما توشَّى أحد بالخطابة، ولا سلك شِعْباً من شعاب البلاغة، وَلَمَجَّتِ الأسماع كل مردود مكرر، ولَلَفظت القلوب كل مُرَجَّع مُمَضَّغ، وحتَّام لا يُسْأَم:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي[1]

وإلى متى: صَفَحْنا عن بني ذهل[2]

ولِمَ أنكرت على العِجْلِيِّ معروفاً؟ واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره على أبي تمام في زعمه أن في كتابه تكريراً وتصحيفاً، وإيطاءً وإقواءً[3]، ونقلاً لأبيات عن أبوابها إلى أبوابٍ لا تليق بها، ولا تصلح لها إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة، وأمور عليلة؟ ولم رضيت لنا بغير الرضى؟ وهلا حثثت على إثارةِ ما غَيَّبَتْهُ الدهور، وتجديد ما أخلقته الأيام، وتدوين ما نَتَجَتْهُ خواطرُ هذا الدهر، وأفكار هذا العصر، على أن

---

(١) يشير إلى قول قريط بن أنيف: لو كنت.... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

(٢) يشير إلى قول الفِنْد الزماني:

صفحنا عن بني ذُهْلِ	وقلنا القوم إخوان
فلما صرَّح الشرُّ	وأمسى وهو عريانُ
ولم يبقَ سوى العدوا	نِ دناهم كما دانوا
وفي الشر نجاة حيـ	ـن لا ينجيك إحسان

(٣) الإيطاء والإقواء: مصطلحان عروضيان يعدان من عيوب القافية؛ فالإيطاء: هو إعادة كلمة الرَّوي بلفظها ومعناها بعد بيتين أو ثلاثة إلى سبعة أبيات؛ وهذا مما يدل على قلة إلمام الشاعر بمفردات اللغة؛ إذ عليه ألا يكرر ألفاظ القافية.

والإقواء: هو اختلاف حركة الروي المطلق من الضم إلى الكسر، كقول النابغة الذبياني:

زعم البوارحُ أن رِحْلَتنا غداً	وبذاك خبرنا الغرابُ الأسودُ
لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً به	إن كان تفريق الأحبة في غدِ

ولهذا يذكر أن النابغة لما نبه على هذا غيّر البيت إلى قوله:

....	وبذاك تنعاب الغراب الأسودِ

ذلك لو رامه رائمٌ لأتعبه، ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن درجة مَنْ قَبْلَه: مِنْ جدٌ يروعك، وهزل يروقك، واستنباط يعجبك، ومزاحٍ يلهيك.

وكان بقزوين رجل معروف بأبي حامد الضرير القزويني، حضر طعاماً وإلى جنبه رجل أكول، فأحس أبو حامد بجودة أكله فقال:

وصـــاحب لي بطنـــه كالهاويـــة كـــأن في أمعائـــه معاويـــة[1]

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ، وجودة وقوع الأمعاء إلى جنب معاوية، وهل ضر ذلك أن لم يقله حماد عَجْرَد وأبو الشمقمق؟ وهل في إثبات ذلك عارٌ على مثبته، وفي تدوينه وصمة على مدوِّنه؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني، نظر إلى حاكم من حكامها من أهل طبرستان مقبلاً، عليه عمامةٌ سوداءُ وطيلسان أزرقُ، وقميصٌ شديدُ البياض، وخفٌّ أحمرُ، وهو مع ذلك كله قصير على بِرَذَون أبلقَ هزيلِ الخَلْق، طويل الحلق، فقال حين نظر إليه:

وحـــاكم جـــاء عـــلى أبلـــق كعقعـــقٍ جـــاء عـــلى لقلـــقِ

فلو شهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه، وجودة التمثيل، ولعلمت أنه لم يَقْصُرْ عن قول بشار:

---

(١) المُعاوِية: الكَلْبَةُ التي تعاوي الكلاب وتنابحها، وبها سمي الرجل، وربما أراد بذلك الخليفة معاوية ابن أبي سفيان ﷺ فقد كان رجلاً أكولاً وقد قال فيه النبي ﷺ: «لا أشبع الله بطنك» رواه مسلم (٢٦٠٤).

وقد عدَّ الإمام مسلم هذه الدعوة من جملة مناقبه ﷺ لأن النبي ﷺ قال: «اللهم إنما أنا بشر؛ فأيُّما رجلٍ من المسلمين سببته، أو لعنته، أو جلدته - اجعلها له زكاة ورحمة» رواه مسلم (٢٦٠١)، ثم أعقبه بحديث معاوية «لا أشبع الله بطنك».

كـأن مثـار النقـع فـوق رؤوسـهم وأسـيافنا ليـل تهـاوى كواكبـه

فما تقول لهذا، وهل يحسن ظلمه في إنكار إحسانه، وجحود تجويده؟

وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل، لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني وهو اليوم حي يرزق، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاماً مرض منه:

وُقِيـتَ الـردى وصروفَ العلـل ولا عَرَفَـتْ قـدماك العلـل

شـكا المـرض المجـد لَمـاَّ مَرِضْـتَ فلـما نهـضت سـليماً أبـلّ

لـك الـذنب لا عتـب إلا عليـك لمـاذا أكلـت طعـام الـسّفل

وأنشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الأسدي، وقد رأيته فرأيت صفة وافقت الموصوف:

وأصـفر اللـون أزرق الحدقـة في كـل مـا يدعيـه غـير ثقـةْ

كأنـه مالـك الحـزين إذا هـمَّ بـزرق وقـد لـوى عنقـهْ

إن قمـت في هجـوه بقافيـةٍ فكـل شـعر أقولـه صـدقةْ

وأنشدني عبدالله بن شاذان القاري، ليوسف بن حمويه من أهل قزوين؛ ويعرف بابن المنادى:

إذا مـا جئـت أحمـد مُـستميحاً فـلا يَغْـرُرْكَ منظـرُه الأنيـقُ

لـه لطـفٌ ولـيس لديـه عـرفٌ كبَارقـةٍ تـروقُ ولا تُريـق

فـما يَخْـشى العـدوُّ لـه وعيـداً كـما بالوعـد لا يَثِـقُ الـصديقُ

ومدح رجلٌ بعض أمراء البصرة، ثم قال بعد ذلك -وقد رأى توانياً في أمره- قصيدةً يقول فيها كأنه يجيب سائلاً:

جـوَّدت شـعرَك في الأميـ ـرِ فكيـفَ أمْـرُك قلـتُ: فـاترْ

فكيفَ تقول لهذا؟ ومن أي وجه تأتي فتظلمه؟ وبأي شيء تعانده فتدفعه عن

الإيجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظٍ وأوجز كلام؟ وأنت الذي أنشدتني:

سَدَّ الطريق على الزمان وقام في وجه القطوب

كما أنشدتني لبعض شُعراء الموصل:

فدَيتك ما شِبْتُ عن كُبرةٍ وهذي سِنيَّ وهذا الحسابُ

ولكن هُجِرتُ فحَلَّ المشيبُ ولو قد وُصِلتُ لعاد الشبابُ

فلِمَ لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتهما فحولة الشعراء، وشياطين الإنس، ومَرَدة العالمِ في الشعر؟

وأنشدني أبو عبدالله المغلسي المراغي لنفسه:

غداةَ تولت عِيسُهم فترحلوا بكيت على ترحالهم فعميتُ

فلا مُقلتِي أدّت حقوقَ وِدادهم ولا أنا عن عيني بذاك رضيتُ

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول: كان عندنا طبيب يسمى النعمان، ويكنى أبا المنذر، فقال فيه صديقٌ لي:

أقول لنعمانٍ وقد ساق طبُّه نفوساً نفيساتٍ إلى باطن الأرضِ

أبا منذر أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا حنانيك بعضُ الشرِّ أهون من بعضِ[1]

إلى آخر ما قاله ابن فارس في رسالته الماتعة[2]؛ فرحمه الله، وأجزل مثوبته، وجزاه خير الجزاء كِفاءَ ما قدم للعلم والعربية.

وهكذا يتبين لنا بطلان المقولة المثبطة: «ما ترك الأول للآخر شيئاً».

وصحة المقولة المُنهضة: «كم ترك الأول للآخر».

ويتبين -أيضاً- شيء من براعة ابن فارس في الأدب والنقد.

---

(١) البيت لطرفة في ديوانه ٤٨.

(٢) انظر يتيمة الدهر للثعالبي ٢/ ٢١٤-٤١٨، ومقدمة المقاييس ١/ ١٥ - ٢٠.

الفصل الثاني:

دراسة لكتاب (أبيات الاستشهاد)

وتحته:

المبحث الأول: تعريف بكتاب (أبيات الاستشهاد).

المبحث الثاني: مجمل ما احتوى عليه كتاب (أبيات الاستشهاد).

المبحث الثالث: متن كتاب (أبيات الاستشهاد).

المبحث الأول: تعريف بكتاب (أبيات الاستشهاد)

أولاً عنوان الكتاب، وموضوعه: عنوان هذا الكتاب «أبيات الاستشهاد».

وهو مخطوطة نادرة عثر عليها العلامة المحقق الأستاذ عبدالسلام هارون ﷺ وجعلها ضمن كتابه المشهور «نوادر المخطوطات» الذي يقع في جزأين.

حيث جاءت ضمن المجموعة الثانية من الجزء الأول وذلك من ص١٥١-١٧٧ أي أنها وقعت مع مقدمة الأستاذ عبدالسلام هارون في سبع وعشرين صفحة.

يقول الأستاذ هارون في مقدمة ذلك الكتاب: «وقد أوردت في مقدمة مقاييس اللغة طائفة من مختار شعره تنبئ عن رقة وشاعرية ممتازة، كما أوردت له نحو أربعين مصنفاً تدل عنواناتُ كثيرٍ منها على ابتكاره وتجديده في التصنيف والتأليف، ولكني لم أذكر بينها «أبيات الاستشهاد» إذ لم أكن قد عثرت عليها بعد، ولم يذكرها أحد من مؤلفي التراجم، ولا واضعي فهارس المصنفات قديمها وحديثها، وقد يكون هو كتاب «ذخائر الكلمات» الذي ورد في مقدمة مقاييس اللغة ص٢٩.

ومهما يكن فإن موضوع هذا الكتاب واضح، وهو ذكر الأبيات التي تصلح للتمثل بها في مضارب مختلفة، أو هو الأمثال الشعرية مع ذكر مضاربها، وقد ساق ذلك في أسلوب أدبي.

ويبدو أنه كان لابن فارس عناية خاصة بالأمثال؛ إذ وضع كتاباً آخر سماه «أمثلة الأسجاع».

وأصل أبيات الاستشهاد نسخة فذةٌ في العالم، مُوْدَعَةٌ في الخزانة التيمورية

بدار الكتب المصرية برقم ٤٤٥ أدب، وهي رديئة الخط تقع في نحو اثنتي عشرة صفحة، عانيت كثيراً في قراءتها وفي نسبة أبياتها التي قضى الذوق الأدبي لابن فارس أن يجردها من نسبتها، فوفقت في أكثر ذلك، وغاب عني نسبة القليل».[1]

فهذا الكتاب -إذاً- يدور حول الاستشهاد بأبيات الشعر في مضاربها؛ بحيث إذا عرض للإنسان عارض، أو مَرَّ به أمرٌ من الأمور، أو موقف من المواقف استشهد عليه بشيء من الشعر يناسب ذلك المقام.

وقد ساقه ابن فارس رحمه الله مساق الرواية عن رجل من الناس، حيث قال ابن فارس في مقدمته: «بلغنا أن رجلاً من حَمَلَة الحُجَّة، ذا رأي سديد، وهمة بعيدة، وضِرس قاطع، قد أعد للأمور أقرانها، بلسانٍ فصيح، ونَهْج مليح...»[2].

ولا يبعد أن يكون ذلك الرجلُ هو ابنَ فارسٍ نَفْسَه؛ لأن هذا الكتاب يحمل نَفَسَ ابن فارس، وذوقَه الأدبيَّ الرفيعَ؛ فيكون جَرَّدَ من نَفْسه ذاتاً أخرى؛ ليسلم من مَعَرَّة نسبة ذلك الفضل لنفسه مباشرة.

ولكن هذا الزعم يبقى ظناً لا يصل إلى حد اليقين، والأمر يَسيرٌ فيه.

ويبقى -مع ذلك كله- الفضلُ لابن فارس في تأليف هذا الكتاب، وإخراجه بتلك الحلة الجميلة الرائعة.

ثانياً: عدد المضارب، والأبيات: بلغ عدد المضارب التي أوردها ابن فارس في كتابه هذا مائة واثنين وثلاثين مضرباً.

أما الأبيات التي استشهد بها ابن فارس فيزيد على ما أورده من مضارب؛ لأنه ربما استشهد بأكثر من بيت، وأورد أكثر من شاهد على المضرب الواحد.

---

(١) نوادر المخطوطات تحقيق عبدالسلام هارون ١/ ١٥٣.

(٢) نوادر المخطوطات ١/ ١٥٥.

وقد بلغ عدد الأبيات التي استشهد بها على ما أورده من مضارب مائة وثمانية وأربعين بيتاً.

ثالثاً: ملحوظات على كتاب (أبيات الاستشهاد): ومما يلحظ على هذا الكتاب ما يلي:

١- أن مضاربَه وشواهدَه - لم تسر على نظام واحد؛ من جهة وضعِ كلِّ مضربٍ قُرْبَ نظيرِه في المعنى، وإنما جاءت تلك المضارب على أنحاء شتى؛ وفي مواطن متفرقة؛ فقد تجد مضرباً يدور حول أمرٍ ما، ثم تجد ما يقاربه في موطن بعيد عنه، وقد تجده -أحياناً- قريباً منه -كما سيتضح في المبحث الآتي عند الحديث عن مجمل ما احتوى عليه الكتاب-.

كما أن بعض المضارب والشواهد قريب جداً من بعض في المعنى، ويحتاج إلى شيء من التمعن؛ للفصل بينها.

٢- أن بعضَ المضارب يصلح لأن يستشهد عليه بأكثر من شاهد مما أورده في عدد من المواطن، وبعض الشواهد يصلح شاهداً لعدد من المضارب التي أوردها -كما سيتبين ذلك في الشرح-.

ولعل سبب ذلك أن ابن فارسٍ رحمه الله كتبها عفو الخاطر، منطلقاً على سجيته دون تكلف، أو مراعاة للترتيب؛ لأن الأمر يسير في هذا.

وإلا فهو المعروف بالدقة، وحسن التأليف، وجودة التبويب.

بل قد يكون إيرادها على هذا النحو أحسن؛ حتى يطرد الملل عن القارئ، ولأجل أن ينتقل به من معنى إلى آخر، ثم يعود إلى ذلك المعنى مرة أخرى؛ ليؤكد عليه، وهكذا...

٣- أن بعض المضارب قد يكون بينها وبين الشواهد مناسبة بعيدة، أو قد

يكون بعض الشواهد مما لم يورِدْه أولى مما أورده -كما سيتبين ذلك في الشرح-.

وعلى كل حال فإن ذلك قليل، والأصل والأغلب أن كل ما أورده من الشواهد مناسب للمضارب، ملائم لها؛ مما يدل على ذوقٍ رفيع، وحسٍّ أدبيٍّ عالٍ.

وليس ذلك بغريب على الإمام ابن فارس رحمه الله.

٤- أن ابن فارس نوَّع في الشواهد، ولم يقتصر على شعراء معينين في عصر واحد، بل استشهد بأبيات من الشعر الجاهلي فما بعده إلى حين عصر ابن فارس؛ إذ كان همه إيراد الشاهد في موضعه، بغض النظر عن قائله سواء كان جاهلياً، أو في عصر صدر الإسلام، أو كان من المولَّدين، أو من جاء بعدهم إلى حين عصره، فابن فارس -كما تبين من منهجه الأدبي- لا يَقْصُرُ الإبداع على قديم أو جديد، بل يراه مشاعاً.

٥- أن الأغلب على هذا الكتاب أن ابن فارس يقتصر فيه على بيت أو بيتين من كل شاعر ممن استشهد بشعرهم.

وقلما استشهد على شعر أحدٍ من الشعراء بأكثر من ذلك.

٦- أن أكثر الذين استشهد بأبيات من شعرهم ثلاثة شعراء، وهم الشاعر والكاتب إبراهيم بن العباس الصولي؛ حيث استشهد بسبعة من أبياته على سبعة من المضارب التي أوردها، والغريب أنها جاءت متتالية خلف بعض عدا واحدٍ منها على نحو ما في المضارب (٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤).

ويليه الفرزدق وجرير، حيث استشهد بشعر كلٍّ منهما بخمسة شواهد في المضارب (٥٦ و٦٦ و٩٣ و٩٤ و١٢٤) والمضارب (٥٣ و٧٩ و٨٦ و١٠١ و١٢١).

وأما الذي استشهد ببيتين من شعرهم فأكثر من هؤلاء، مثل امرئ القيس (٥١ و ٩٩) وزهير (٥٢ و ١١٩) والنابغة الذبياني (٣٦ و ٦٥) وحسان (٥٧ و٩٧)

والحارث بن عباد (٥٨ و ٦٣) وكثيِّر عزة (٧٣ و ٩٨) والأحوص (١٠٩ و ١٠٠) والعباس بن الأحنف (١٠٠ و ١٢٥) وبشار بن برد(٧٣ و ١٢٦).

فهذه ملحوظات عامة على كتاب (أبيات الاستشهاد).

المبحث الثاني: مجمل ما احتوى عليه كتاب (أبيات الاستشهاد)

احتوى كتاب (أبيات الاستشهاد) على مضارب شتى، وموضوعات متنوعة.

وقد يكون بعضها داخلاً في بعض، وقد يشتمل الشاهد الواحد على أكثر من معنى أو موضوع، وإن كان مسوقاً في الأصل على مَضْرَبٍ مُعَيَّن.

ويمكن إجمال ما اشتمل عليه من المضارب والشواهد فيما يلي مع بيان رقم المضرب الذي سيق له الشاهد:

١- الحديث عن الصداقة والصديق: وما يدور في ذلك الفلك من الشوق للأحبة، وتذكرهم، والحنين إليهم، والزيارة والوفاء لهم، وأداء حقوقهم، والحزن على فقدهم

وما يكون بين الأصدقاء من الإخلال بحق الصداقة، وما يجري بينهم من التلون، والهجر، والقطيعة، والتجني، والعتاب.

وهذا الباب - أعني باب الصداقة والصديق - هو أكثر موضوع دارت حوله هذه الرسالة كما في المضارب (١) و(١٣) و(٢٣) و(٢٤) و(٢٥) و(٢٨) و(٣١) و(٣٢) و(٣٨) و(٤٥) و(٥٠) و(٥١) و(٥٣) و(٧٥) و(٧٧) و(٧٩) و(٨٨) و(٩٠) و(٩٨) و(١٠٠) و(١١١) و(١١٦) و(١٢١) و(١٣٠).

٢- الإشادة ببعض خصال الحمد: كالرضا والقناعة وعزة النفس(٤ و ٧٢) والبشاشة للأضياف(٦) والسخاء مع قلة ذات اليد(٧) والبذل (٢٧و٦٧) والحث على الإحسان (٤٠) والتنويه بالأسخياء (٦٧) والجود والسماحة (١١٨) والمساعفة (١٢٠) والعفة (١٠١) و (١١٨) والإعراض والمسالمة (٤٨) والإقرار بالفضل

لأهله (٥٥) وعلو الهمة (٢٢) وأصالة الرأي (٤٩) وبعد الغور(٨٠) والوفاء (١٢١) والحلم (٧٩ و ٩٤) والصبر (٤٥).

٣- التعرض لبعض الأخلاق المرذولة والتحذير والتنفير منها: كالتلون(١) والعبوس (٢) واللؤم(٣) والجفاء(٥) وقطيعة الرحم(١٤) وإخلاف الوعد(١٥) والمطل(٩٦ و٩٨ و١٠٦) والتقصير في رعاية الأمانة(١٨ و٢١) والجزعِ على ما فات(٢٦) وأذية الجار(٣٣) وانتقاصِ الأفاضل(٥٦) ورمي الآخرين بما هم منه براء(٦٩) والشح(٧١) ونقضِ العهد(٧٥) والملقِ والرياء(٧٨) والجهلِ والسفهِ(٨٧ و٩٣ و٩٤) وسقوط الهمة والأثرة والأنانية (١٠٧) واللجاج (١٠٨) والثقل والثقلاء (١٣١) وقلة الحمية(١٢٨).

٤- الولاية والعزل وتغير الأحوال: كما في المضارب (١٨ و٢١ و٤٣ و ٥٧ و٨٣ و١٠٣).

٥- مدح الرؤساء والأكابر: كما في المضارب (٤٣ و٥٢ و٦٥ و٦٦ و٩٥ و١٠٣ و١٠٥).

٦- كبر السن وصغره: كما في المضارب (١٩ و ٣٧ و ١٢٣).

٧- تذكر الماضي والحنين إليه: كما في المضارب (٣٤ و٤٦ و ٩٠).

٨- العداوة والأعداء: كما في المضارب (٧٤ و٧٦ و٨٧ و١١٥ و ١٢٤).

٩- العتاب والشكوى: كما في المضارب (١٤ و١٥ و٢٦ و٢٧ و٣٠ و٣٣ و٣٦ و٤٤ و٥٣ و٥٩ و٧٧ و١٢٦ و١٢٩).

١٠- التعرض لذكر المحادثة، والخصومة، والمناظرة: وما ينبغي لتلك الأحوال من آداب، وما يعرض لها من عوارض، وذلك كما في المضارب (٢ و٨ و١٠ و١١ و٢٩ و٤٧ و٥٥ و٦٠ و٦١ و٦٢ و٦٣ و٧٠ و١٠٤ و١٠٨ و١٢٢ و١٢٣ و ١٢٤).

١١- المرض وعيادة المريض: كما في المضارب(٢٥ و٧٣ و١٢٧).

١٢- الآباء والأولاد: كما في المضارب (٩) (٣٩) (٨٤) (٩١) (١١٩).

١٣- الموت والتعزية: كما في المضارب (٣٩) (٦٤) (٨١) (٨٤) (٨٦) (٨٨) (٩١) (٩٥) (١٠٥) (١١٣).

١٤- الوعد والوعيد: كما في المضارب (١٢ و١٥ و٧٦ و٩٦ و٩٨ و١٠٦ و١١٢).

١٥- متفرقات: كما إذا شم رائحة كريهة من جليسه(٨) وإذا رأى ناساً لا خير فيهم(٩) وإذا لم يعجبه إنسان(١٦) وإذا أعار أحداً دفتراً فأبطأ عليه بِرَدِّه (٢٤) وإذا قيل له: إن أمثالك قليل(١٠٢) وإذا رأى رجلاً اتهم بغير نسبه إلى أبيه(١١٤).

فهذا هو مجمل ما اشتمل عليه كتاب أبيات الاستشهاد من موضوعات.

المبحث الثالث: متن كتاب أبيات الاستشهاد

قال الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس النحوي اللغوي:

بلغنا أن رجلاً من حَمَلة الحُجَّة، ذا رأيٍ سديدٍ، وهمة بعيدة، وضِرسٍ قاطعٍ، قد أعد للأمور أقرانَها، بلسانٍ فصيح، ونَهْج مليح.

وكان إذا رأى ذا مَودةٍ قد حال عما عَهِدَه، أنشدَه:

ليس الخليلُ على ما كنتَ تَعهدُه ... قد بَدَّل الله ذاكَ الخِلَّ ألوانا

وإذا رأى محدِّثَه عابساً أنشد:

يا عابساً كلَّما طالعتُ مجلسَه ... كأنّ عَبستَه من ذَرْقِ حَمَّاءِ

وإذا رأى واحداً يُحسِن عند الإحسان عليه، ويسيء القول إذا شُغل عن الإحسان إليه أنشد:

هو كالكلب إذا أشبعتَه ... طاب نفساً وإذا ما جاع هَرْ

وإذا رأى رجلاً راضياً بقليلٍ يصونُ وجهَه عن السؤال أنشد:

وإنَّ قليلاً يستر الوجه أن يُرى ... إلى الناس مبذولاً لَغَيْرُ قليلِ

وإذا حُجِب عن باب دار قد أحسن إليه صاحبُها أنشد:

إني رأيت بباب دارك جفوةً ... فيها لِحُسنِ فَعالكم تكديرُ

وإذا رأى بشاشةً في وجه مُضِيف أنشد:

يُسَرُّ بالضَّيف إذا رآه ... سُرور صادٍ وَرَدَ الماء

وإذا رأى رجلاً مُقِلاً سخياً أنشد:

وليس الفتى المُعطي على اليُسرِ وحدَه ... ولكنّه المعطِي على اليسر والعسرِ

وأبلغ منه قوله:

لـيس العطـاءُ مـن الكـريم سـماحةً ... حتـــى يجـــودَ ومـــا لديـــه قليـــلُ

وإذا شم رائحةً كريهةً من جليسه أنشد:

لَقَـوسُ سـليمٍ حـين يُرسِـلُ سـهمَه ... أشدُّ عـلى الآنـاف مـن قَـوس حاجـبِ

وإذا رأى أناساً لا خير فيهم أنشد:

لا تَلُـــمِ الأبنـــاءَ في فِعلهـــمْ ... لـــو ســـادَ آبـــاؤهُمُ ســـادوا

وإذا عارضه في كلامه أحدٌ أنشد:

ويعـترضُ الكـلامَ ولـيس يـدري ... أسَـــعدُ الله أكثـــرُ أم جُـــذامُ

وإذا جالس قوماً ليلَهُ مجالسةَ أهلِ الأدب ثم جاء الفَجر أنشد:

بِتْنَـــا بـــأنعمِ ليلـــةٍ وألـــذِّها ... لـــو لم تَـــنغَّصْ بـــالفراق مـــن الغـــدِ

وإذا وَعَدَهُ رفيقٌ له بالسفر في غدٍ أنشد:

لا مرحبـــاً بغـــدٍ ولا أهـــلاً بـــه ... إن كـــان تَرحـــالُ الأحِبَّـــة في غـــدِ

وإذا تألم من عَشيرِهِ وصديقه أنشد:

ولي صـــاحب مـــرُّ المـــذاق كـــأنّما ... أضـــمُّ إلى نحـــري بـــه حـــدَّ مُنـــصُلِ

وإذا عاتب ذا قرابةٍ له أنشد:

بم استجَزت اطِّراحي والـصَّريمةَ لي ... وأنـــت لَحمِـــيْ وإن لم تُـــدْعَ لي ودَمِـــي

وإذا عاتب مَن أَخْلَف وَعْدَهُ أنشد:

ســـألتُك حاجـــةً فوعـــدتَ فيهـــا ... جميلَـــك ثـــم نِمـــتَ عـــن الجميـــلِ

وإذا لم يعجبه إنسانٌ أنشد:

قـــد رأينـــاك فـــما أعجبتنـــا ... وبلونـــاك فلـــم نَـــرْضَ الخُـــبرْ

وإذا هجاه أحدٌ أنشد:

ومـا كـلُّ كلـبٍ نـابحٍ يـستفزُّني ... ولا كلَّمـا طَـنَّ الـذباب أُراعُ

وإذا أحسَّ بتقصيرٍ في سياسةِ أميرٍ لرعيته نَسَبَ الأمْرَ لوزيره، وأنشد:

إذا غَفَـلَ الأمـير عـن الرعايـا ... فـإن العتْـبَ أولى بـالوزيرِ

وإذا ذُكِر له كبرُ سنِّه أنشد:

إنَّ الحـسام وإنْ رثَّـتْ مـضارِبُه ... إذا ضربـتَ بـه مكروهـةً فَـصَلا

وإذا أثنى على محسن أنشد:

فعـاجُوا فـأثنَوا بالـذي أنـت أهلُـه ... ولـو سـكتوا أَثْنـتْ عليـك الحقائـب

وإذا رأى من والٍ إساءةً على من وَلِيَ عليه أنشد:

وكنـا نـستطبُّ إذا مَرِضـنا ... فـصار سَـقامُنَا بيـد الطبيـبِ

وإذا حضَر أناسٌ على أمرٍ ذي بال أنشد:

أقـول لفتيـانٍ كـرام تروَّحـوا ... عـلى الجُـرد في أفـواههن الـشكائم

قَعُـوا وَقعـةً مَـنْ يَحْـيَ لم يَخْـزَ بعـدها ... ومـن يُخْـتَرَمْ لم تتَّبعـه المَـلاومُ

وإذا سُرَّ بُلقيا صديقٍ له أنشد:

يـا خَـلاصَ الأسـيرِ يـا فرحـةَ الأو ... بـة يـا زورةً عـلى غـير وعـدِ

وإذا أعار أخاً له دفتراً فأبطأ عليه ردَّه أنشد:

تعجيـل ردِّ الكُتْـبِ مـما بـه ... يَـستكثِرُ العلـمَ أخـو العلـمِ

وحبـسُها يمنـع مِـن بَـذْلِها ... مـع الـذي فيـه مـن الظُّلـمِ

وإذا عاد مريضاً ذا مودّةٍ صادقة أنشده:

نفسي ونفسُك إن أَبْلَلْـتَ مـن سـقم ... أبللـتُ منـه وإن أضـناكَ أضـناني

وإن امرؤ جزعَ على فائتٍ أنشده:

فلا تكثِرنْ في إثرِ شيءٍ ندامةً ... إذا نَزَعَتْهُ من يديك النّوازعُ

وإذا عُوتِب على إهانته للمال وكثرةِ بذلِهِ أنشد:

كيف يَسْطِيع حِفظَ ماجمعت كفّـ ... ـاهُ مَنْ ذاق لذةَ الإنفاقِ

وإذا مشى لأخ في قضاء حاجة ووفى بحقه أنشد:

حقوق لإخواني أريد قضاءها ... كأنيَ ما لم أقضهن مريض

وإذا أثنى على إنسان، ورأى منه شروداً ونُفْرَةً أنشد:

بطيءٌ عنك ما استغنيتَ عنه ... وطلاعٌ عليك مع الخطوب

وإذا أراد شيئا عاناه ليلاً أنشد:

والليل يقظانُ والكواكبُ في الـ ... آفاق حيرى كاللؤلؤ البَدَدِ

وإذا استبطأ صديقاً له، وعاتبه على قعوده عنه أنشد:

وإنيْ إذا أدعوك عند مُلَمَّةٍ ... كداعيةٍ بين القبور نصيرَها

وإذا ذم أخاً له في إساءته إلى إخوانه أنشد:

أصبح أعداؤه على ثقةٍ ... منه وإخوانُه على وَجَلِ

وإذا شكا من جارٍ له هَجره أنشد:

دنت بأناسٍ عن تناءٍ زيارةٌ ... وشط ببكرٍ عن دنو مزارُها

وإن مقيمات بمنقطع الثرى ... لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

وإذا تذكر أياماً مضت وكان يشكوها، وهو اليوم يتمناها أنشد:

سقيا ورعياً لأيام مضت سلفا ... بكيت منها فصرت اليوم أبكيها

كذاك أيامُنا لاشك نَنْدِبُها ... إذا تَقَضَّتْ ونحنُ اليومَ نشكوها

وإذا عاتب أخاً له على هجره أنشد:

تَلِجِّين حتى يذهبَ الهجرُ بالهوى وحتى تكاد النفسُ عنك تطيب

وإذا عوتب في خَصْلةٍ أو بادرةٍ بَدَرَتْ منه أنشد:

وَلَسْتَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّهُ على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبُ

وإذا قيل له قد أَسَنَّ فلانٌ وَكَبِرَ أنشد:

لم ينتقصْ مني المشيبُ قُلامَةً الآن حين بدا أَلَبُّ وأكيس

وإذا فسد عند أخٍ له صحةَ ودِّه إياه أنشد :

قل ما تشاء ليؤتى وما كرهت لِيُكْرَهْ

فإن ذلك أولى بما تشاء وأشبهْ

وإذا مات له ولد أنشد :

كَلَّ لِساني عن وَصْفِ ما أَجِدُ وذقتُ ثكْلاً ما ذاقه أحد

ما عالج الحُزْنَ والحرارةَ في الأحشاء مَنْ لم يَمُتْ له ولدُ

وإذا حثَّ إنساناً على الإحسان وخوَّفه صروفَ الدهر أنشد:

بيننا حُرمةٌ وعَهْدٌ وثيقُ وعلى بعضنا لبعض حقوقُ

فاغتنم لَذَّةَ الحفاظِ فما يدري مُطيقٌ لها متى لا يطيق

وإذا رأى خليلا له قد حَفَّتْ به أربابُ الحاجاتِ، وكان أمره في الأول أقرب أنشد :

حَيَّاك مَنْ لم تكن تُرْجَى تحيتُه لولا الحوائجُ ما حَيَّاك إنسانُ

وإذا رأى أحداً غَضِبَ من أمرٍ، ولم ينفعْه غضبُه أنشد :

غَضِبَتْ تمِيمٌ أن تُقَتَّلَ عامرٌ يومَ النسار فأعتبوا بالصيلم

وإذا رأى السلطانَ عزم على الغزو، ونهض إلى العدو أنشد:

يومان: يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ويومُ سيرٍ إلى الأعدا وتأويبِ

وإذا رأى أمراً مُعْضِلاً، وصبر عليه، وعوتِبَ في ذلك أنشد:

ومِنْ خِيرِ ما فينا من الأمر أننا متى نَلْقَ يوماً موطنَ الصبر نَصْبِرِ

وإذا قال له أخٌ إنه اشتاق له اشتياقاً شديداً أنشد:

فلما تواقفنا عرفت الذي به كمثل الذي بي حذْوَكَ النعلَ بالنعلِ

وإذا مر بأطلال خَلَتْ من سكانها، وعَفَتْ، وبقي أثرُها أنشد:

لخولةَ أطلالٌ ببرقة ثَهْمَدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وإذا حضر مجلساً لمناظرة، وسئل عن حاله فيه بعده أنشد:

ولو شَهِدَتْ أُمُّ القديدِ طعانَنا بِمَرْعَش خَيْلَ الأرمنيِّ أَرَنَّتِ

وإذا قيل له: رأيناك أعرضت عن فلان إعراضَ مسالمةٍ أنشد:

ولقد أجمع رجلي بها حذرَ الموتِ وإني لَفَرورْ

وإذا استشير في أمر ذي لَبْسٍ أَيُقْدِمُ عليه أم يحجم عنه أنشد:

مكانَكِ حتى تنظري عَمَّ تنجلي عمايةُ هذا العارضِ المتألقِ

وإذا أكثر من ذكر أخٍ له غائب، وقيل له في ذلك أنشد:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تَمَثَّلُ لِيْ ليلى بكل سبيلِ

وإذا قال له صديق تناسيتني كأنك لم تَعْرِفْني أنشد:

تسلت عماياتُ الرجالِ عن الصِّبا وليس فؤادي عن هواها بمنسلي

وإذا حضر رئيسٌ من الرؤساء، وأراد مَدْحَه أنشد:

لو نال حيٌّ من الدنيا بمكرمة أُفُقَ السماء لنالت كَفُّه الأفقا

وإذا عاتب أخاً له على هجرانه إياه أنشد:

طوى البينُ أسبابَ الوصالِ بِكُنْهِكَ أسبابُ الهوى أن تَجَذَّما

وينشد أيضاً في مثل ذلك:

وكان يزورني منه خيالٌ فلما أن جفا منع الخيالا

وإذا رأى رجلاً يثنى على أخيه، ويُحْضِرُ له محضراً جميلاً أنشد:

قَوْمٌ لهم عرفت مَعَدٌّ بفضلها والحقُّ يعرفه ذوو الألباب

وإذا قيل له قد أقررت لمناظرك أنشد:

أحس بالفضل في غيري فأنكره ما ينكر الفضل إلا كلُّ منقوص

وإذا رأى رجلاً يَنتَقِصُ فاضلاً أنشد:

ما ضرَّ تَغْلِبَ وائلٍ أهجوتَها أم بُلْتَ حيث تناطَحَ البحران

وإذا أقصاه رئيسٌ بعد إنابته أنشد:

يا أفضل الناس إني كنتُ في نَهَرٍ أصبحتُ منه كمثل المفرد الصادي

وإذا كلَّفه امرؤٌ شيئاً لم يكن عنده بالمرضي أنشد:

لم أكن من جُناتها علم اللّـ ـه وإني بِحَرِّها اليوم صالي

وإذا رأى أمراً فظيعاً تَقَضَّى، ثم تجدد مثله أنشد:

إذا هب من جانب باخ شَرُّهُ ذكا هبٌّ من جانب فَتَضَرَّما

وإذا حضر مَحْفِلاً من محافل النظر، وكَلَّمه خصمٌ، فدفعه، وانبرى له خصم آخر أنشد:

إذا ما دفعنا هؤلا جاء هؤلا إلينا فكل بالعداوة مُوْلَعُ

وإذا كثر الصياح في المحفل أنشد:

يا أيها الراكبُ المُزْجِيْ مَطِيَّته ... سائل بني أسد ما هذه الصوتُ

وإذا قيل له كثر أخصامُك أنشد:

تفور علينا قِدْرُهم فَنديمُها ... ونَفْثؤها عنا إذا حَمْوُها غلى

وإذا بدأه سائلٌ بالسؤال مناظراً له أنشد:

قَرِّبا مربطَ النعامةِ مِنِّي ... لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حيال

وإذا نعي له حميمٌ أو ذو مودةٍ أنشد:

ليس عَدْمُ الأموال عَدْماً ولكن ... فقد من قد رُزِئْتَهُ الإعدام

وإذا حضر حَضْرَةَ ملكٍ، وبالغ في الثناء عليه أنشد:

وأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وإذا فخر بمن تقدم من العلماء والكبراء أنشد:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وَقَّفوا

وإذا أثنى على رجلٍ معطاءٍ أنشد:

ليس يعطيك للرجاء وللخو ... فِ ولكنْ يَلَذُّ طعمَ العطاء

وإذا قصد امرأ في حاجة، وكرر الزيارةَ له، ولم يَرَ ما يحبه أنشد:

كفى طلباً لحاجة كلِّ حرٍّ ... مداومةُ الزيارةِ والسلام

وإذا أخذ إنسان يتَّهم أحداً غيره أنشد:

رأيت الحرب يجنيها رجال ... ويَصْلى حَرَّها قومٌ براءُ

قلت: وينشد في ذلك -أيضاً- قول القائل:

لم أكن من جُناتها ... .(البيت المتقدم)

وينشد في ذلك -أيضاً-:

وحملتني ذنبَ امرئٍ وتركتَهُ كذي العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهو راتع

وإذا عارضه معارض في علة بلا علم أنشد:

أخو عديٍّ أمسى يساجلني ما لعديٍّ وما لذا العملِ

وإذا ذكر قوماً أشحاءَ أنشد:

دراهمهم لا تستطاع كأنها فريسةُ ليثٍ أحرزتْها مخالبُه

وإذا قيل له أرضيت بكذا وأنت أعلى منزلة منه أنشد:

وما كنت أخشى أن أرى العير مَرْكبي ولكنَّ مَنْ يمشي سيرضى بما ركبْ

وإذا زار مريضاً أنشد:

ونعود سيِّدَنا وسيد غيرنا ليت التَّشَكِّيَ كان بالعُوَّاد

وإذا حذَّر ناساً عدواً غفلوا عنه أنشد:

بنى أمية إنى ناصح لكم فلا يبيتن فيكم آمناً زُفَرُ

وإذا ذكر صديقاً له بِنَقْضِهِ العهدَ أنشد:

ألم تَرَ ما بيني وبين ابنِ خالدٍ من العهد قد بالت عليه الثعالب

وإذا هدده عدوٌّ أو توعَّده أنشد:

فإن قناتَنا يا عمرو أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا

وإذا شُكِيَ أَخٌ له جنى عليه أنشد:

بل جناها أَخٌ عليّ كريم وعلى أهلها بَراقِشُ تجني

وإذا رأى ذا بشاشةٍ وظاهره يبدى خلافه أنشد:

يبدي البشاشة حين تبصره وله إليك عقارب تسري

وإذا أساء إليه صديقٌ، وحَلُم هو عنه أنشد:

فلا تويسوا بيني وبينكم الثرى   فإن الذي بيني وبينكم مُثْرِي

وإذا ذُكِرَ رجلٌ ببعد الغور أنشد:

ولم يخشوا مصالتَهُ عليهم   وتحتَ الرُّغوةِ اللبنُ الصريحُ

وإذا عزى إنساناً وآساه أنشد:

لكل همٍّ من الهموم سَعَةْ   والمَسْيُ والصبحُ لا بقاءَ معهْ

وإذا كاتم إنساناً، وأضمر له ما يعرفه من التلون أنشد:

فإن الله لا يخفى عليه   علانيةٌ تُرادُ ولا سِرار

وإذا رأى إنساناً تغيرت عن غِنىً حالُه أنشد:

إن الفتى يُقْتِرُ بعد الغنى   ويَغتني مِنْ بَعْدِ ما يَفْتَقِرْ

وإذا قيل له مضى فلانٌ وَوَرِثَ وارثُه مالَه أنشد:

قد يجمع المالَ غيرُ آكلِه   ويأكل المالَ غيرُ مَنْ جَمَعَهْ

وإذا رأى رجلاً أثنى على آخرَ وهو لا يعرفه أنشد:

لا تَحْمَدَنَّ امرأ حتى تُجَرِّبَهُ   ولا تذمنه من غير تجريب

وإذا نُعِيَ له رجلٌ عظيمُ الشأنِ أنشد:

لما أتى خَبَرُ الزبيرِ تواضعت   سورُ المدينةِ والجبالُ الخشع

وإذا جهل عليه جاهلٌ وللجاهلِ عدوٌّ حاضرٌ لا يجترئ عليه أنشد:

جهلاً علينا وجُبْناً عن عدوكم   لبئست الخلتان: الجَهْلُ والجُبنُ

وإذا مات له خليل يعز عليه فَقْدُهُ أنشد:

ألا لِيَمُتْ مَنْ شاء بعدك إنما   عليك من الأقدار كان حذاريا

وإذا قيل له استتر لك فلانٌ، وخدعك أنشد :

وقد كنت مجرورَ اللسان ومُفْحِماً   فأصبحت أدري اليوم كيف أقول

وإذا ذكر إخوانَه الذين سلفوا أنشد :

أولئك إخوانُ الصفاءِ رُزِئْتُهُمْ   وما الكفُّ إلا إِصْبَعٌ ثم إصبعُ

وإذا نَجُبَ ابنُ امرئٍ بعد موته أنشد:

لعمرك ما وارى الترابُ فِعالَه   ولكنه وارى ثياباً وأعظماً

وإذا رأى رجلا يتكلف ما لا يستطيعه أنشد :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه

وإذا استحقره قومٌ، وتعرضوا لأكبر منه أنشد :

ذباب طار في لَهَواتِ ليث

وإذا تجاهل عليه متجاهل أنشد :

إنا لَتُوْزَنُ بالجبال حلومُنا   ويزيدُ جاهلنا على الجهال

وإذا نُعي له رئيسٌ من رؤساء مَحَلَّتِهِ أو عشيرته أنشد :

إذا شذَّ منا سيدٌ قام سيدُ   قؤول لما قال الكرام فعول

وأنشد أيضاً :

إذا قَمَرٌ منا تَغَوَّر أو خبا   بدا قمرٌ من جانب الأُفْقِ يلمع

وإذا مطل إنسان وَوَعَدَ بَعْدُ أنشد :

فإن يكُ صدرُ هذا اليومِ ولَّى   فإنَّ غداً لناظره قريب

وإذا رأى قوماً ذوي صور ولا أحلام لهم أنشد :

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عِظَمٍ   جِسْمُ البغالِ وأحلامُ العصافير

وإذا اقتضى صديقاً وعداً أنشد:

قضى كلُّ ذي دينٍ فوفَّى غريمَه وعزةُ ممطولٌ مُعَنّىً غريمُها

وإذا شَيَّع فريقين، وأخذ كلُّ واحدٍ غيرَ طريق الآخر أنشد:

فريقان منهم سالكٌ بَطْنَ نخلةٍ وآخرُ منهم سالكٌ نَجْدَ كَبْكَبِ

وإذا لم يَزُرْهُ أخوه زاره هو وأنشد:

أزوركمْ لا أكافيكم بجفوتكم إن المحبَّ إذا لم يُستَزَرْ زارا

وأنشد أيضاً:

وما كنت زواراً ولكنَّ ذا الهوى إذا لم يُزَر لابد أنْ سيزور

وإذا وصف رجلاً بالعفة والإعراض عن الزنا أنشد:

والله لو كانت الدنيا وزينتُها في بطن راحته يوماً لألقاها

وإذا قيل له إن أمثالك قليل أنشد:

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

وإذا ولي رجلٌ ولايةً، وأثنى عليه بها أنشد:

وإذا الدر زانَ حُسْنَ وجوهٍ كان للدرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنا

وكان يتمثل لمناظره، ويعرض له أنه لم يبلغ المبلغ بقول الشاعر:

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنت آكلُه لن تبلغ المجدَ حتى تلعق الصَبِرا

وإذا ذُكِرَ له رجلٌ مضى، فَذَلَّت أتباعُه وبنو عمه بَعْدَ عِزٍّ أنشد:

فتىً كان مولاه يَحُلُّ بنجوةٍ فَحَلَّ الموالي بعده بمسيل

وإذا رأى إنساناً ميسوراً له مطلاً ودفاعاً أنشد:

لقد جَرَرْتِ لنا حبلَ الشَّموس فلا يأساً مُبيناً نرى منكم ولا طمعا

وإذا رأى رجلاً همه نفسه لا غيره أنشد :

دعِ المكارمَ لا ترحل لبغيتها وَاقْعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

وإذا لاجَّه إنسانٌ، وطاوله أنشد :

إذا ما تحدثتُ في مجلسٍ تناهى حديثي إلى ما علمتُ

وإذا رأى امرأً تأمَّل حاشيةَ زائره وغاشيتَه أنشد :

وإذا ما جهلتَ ودَّ صديقٍ فاعتبر ما جهلتَ بالغِلمان

إن وجهَ الغُلامِ يُخْبِرُ عما في ضمير المولى من الكتمان

وإذا رأى رجلاً انتمى إلى قوم غير كرام أنشد :

فَغُضَّ الطرفَ إنك من نمير فَأَصْلُهُمُ ومنبتهم لئيم

وإذا سبر حالَ صديقٍ له فلم يَحْمَدْه أنشد :

وما كلُّ إخوانِ الفتى طوعَ همِّهِ ولا كلُّ عودٍ نابتٍ بِنُضار

وإذا توعده من لا يصدق في وعده أنشد :

فانظر إلى كفٌ وأسرارها هل أنت إن أوعدتني ضائري

وإذا نعي له شخص أنشد :

على صخر وأيُّ فتىً كصخر ليوم كريهة وسِداد ثغر

وإذا رأى رجلاً اتهم بِدِعْوَة أنشد :

زنيم تداعاه الرجال زيادةً كما زِيد في عرض الأديم الأكارعُ

وإذا رأى عدواً مخاشناً أنشد :

بني تماضرَ إني لا أحبكما ولا ألومكما ألا تحباني

وإذا قعد عن صديق بعذر أنشد :

فلا بأس بالهجر الذي ليس عرقلاً إذا شجرت عهدَ الحبيبِ شواجرُ

وربما وصل حديثه عن الزمن الأول بقوله :

إذِ الناسُ ناسٌ والزمان بِغِرةٍ وإذْ أمُّ عمارٍ صديقٌ مساعف

وإذا ذُكِرَ رَجُلٌ بجود وسماحة أنشد :

يومان يومٌ يَفِيضُ نائله وخير يوم ما يُقِيتُ غدا

وإذا خُبِّر أن ولدَ رجلٍ نَجُبَ أنشد :

وهل يُنْبِتُ الخطيَّ إلا وشيجُه وتُغْرَس إلا في منابتها النخل

وإذا أسعفه رجلٌ في أمره أنشد :

أناةُ امرئٍ يأتي الأمور بقدرةٍ متى ما يَرِدْ لم يعيَ بالأمر مصدرا

وإذا مَرَّ بِدَارِ صديقٍ له أنشد :

ألا حَيَّ الديارَ بِسعدَ إني أحب لحبٌ فاطمةَ الديارا

وإذا حضر مجلسَ مناظرةٍ، وطلب منه الكلامُ جثا على ركبتيه وأنشد:

ولا ينجي من الغمرات إلا براكاءُ القتالِ أو الفرارُ

وإذا ناظره فتىً شابٌّ أنشد :

كيف ترجون سِقاطي بعدما جَلَّلَ الرأسَ مَشِيْبٌ وصَلَعْ

وإذا زاحمه خصماؤه وكثروا عليه أنشد :

إذا اجتمعوا عليَّ فَخَلِّ عنهم وعن أُسدٍ مخالبه دوام

إذا اجتمعوا عليَّ فَخَلِّ عنهم وخربانٍ تَصيدُ حُباريات

وإذا قيل له إن فلاناً في فضله فُضِّل عليه من دونه أنشد :

كم قد رأينا من أسدٍ بالت على رأسه ثعالب

وإذا قيل له -أيضاً- أنشد :

صرت كأني ذبالةٌ نُصِبَتْ تُضيء للناس وهي تحترق

وإذا استطال الليل أنشد :

أقول وليلتي تزداد طولاً أما لليل وَيْحَكُمُ نهارُ

وإذا مَرِضَ وعاده عُوَّادهُ أنشد :

وهل هي إلا عِلةٌ بعد عِلَّةٍ إلى العِلَّةِ الكبرى وتلك هي التي

وإذا رأى رجالاً لا حَمِيَّةَ ولا منعةَ فيهم أنشد :

إذا ما عُدَّ مثلَكم رجالٌ فما فضلُ الرجالِ على النساء

وإذا اشتكى إليه إنسان إقلالاً أنشد:

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن بمنزلة إلا رضيت بدونها

وإذا رأى ذا ضَغَنٍ صاحَبَ آخر أنشد :

إذا أنت لم تَسْقَمْ وصاحبت مُسْقِماً وكنت له خدناً فأنت سقيم

وإذا دخل عليه ثقيل أنشد :

أيا جبلي نعمانَ بالله خَلِّيا نسيمَ الصبا يَخْلُصْ إليَّ نسيمُها

وإذا جاد عليه بِنَزْرٍ يسير أنشد :

تُؤْتيك نزراً قليلاً وهي خائفةٌ كما يخاف مسيسَ الحيةِ الفَرِقُ

وهذه جَمْعِيَّةٌ لم أظفر بمثلها، فرحم الله من فهمها وحفظها، وأورد كل بيت في محله؛ ليجِلَّ عند خِلِّه.

القسم الثاني:

شرح كتاب (أبيات الاستشهاد)

للعلامة أحمد بن فارس اللغوي

شرح كتاب (أبيات الاستشهاد)

قال الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس النحوي اللغوي:

بلغنا أن رجلاً من حَمَلَة الحُجَّة، ذا رأي سديد، وهمة بعيدة، وضِـرْس قاطع[١]، قد أعد للأمور أقرانها[٢]، بلسانٍ فصيح، ونَهْج مليح.

١ - وكان إذا رأى ذا مَودةٍ قد حال عما عَهِدَهُ، أنشدَه:

لـيس الخليـلُ عـلى مـا كنـتَ تَعهـدُه ... قـد بَـدَّل الله ذاكَ الخِـلَّ ألوانـا[٣]

---

(١) ذو ضرس قاطع: أي: ماض في الأمور، نافذ العزيمة.(هـ)

(٢) الأقران: جمع قَرَن، بالتحريك، وهو الحبل يجمع به البعيران، أو جمع قِرن بالكسر، وأصله كُفْء الإنسان في الشجاعة، أو الكفء مطلقاً.(هـ)

(٣) البيت من البحر البسيط، ومعناه أن ذلك الصاحب قد تبدلت حاله، وتلوَّن ودُّه، ولم يكن كسالف عهده.

ونحوه قول الشاعر:

كـان لنـا صـاحبٌ فبانـا ... وحـاد عـن وصـلنا وخانـا

تـاه علينـا وتـاه منـا ... فـما نـراه ولا يرانـا

ومن أحسن من عبر عن تلون أهل الود أسامة بن منقذ، وذلك بقوله:

ومـا أشـكُو تلَـوُّنَ أهـلِ وُدّي ... ولـو أجْـدَتْ شَـكِيَّتُهم شـكَوْتُ

مَلِلْـتُ عتـابَهم ويئسـتُ مـنهُم ... فـما أرجـوهُمُ فـيمن رَجَـوتُ

إذا أدْمَـتْ قَوارِضُـهُم فـؤادي ... كَظَمْـتُ عـلى أذَاهـم وانطويْـتُ

ورُحـتُ علـيهِمُ طَلْـقَ المُحَيَّـا ... كـأنّي مـا سـمِعتُ ولا رأيـتُ

تجنَّـوْا لِي ذُنوبـاً مـا جنتْهـا ... يَـداي ولا أمَـرتُ ولا نَهيـتُ

ولا والله مـا أضـمرتُ غـدْراً ... كـما قـد أظهَـروهُ ولا نَويـتُ

ويـومُ الحـشرِ موعـدُنا وتَبـدُو ... صـحيفةُ مـا جنَـوْهُ ومـا جنيـتُ

=

= وكذلك قوله:

مـــن قـــلّ فـــاهجره فقـــد ... أبـــدى لـــك اليـــأس المبينـــا
أعيـــا شِـــماسُ أخـــي التلـــ ... ـــون والمـــلال الرائـــضينا
لـــن يرجـــع الفَخَّـــار بعـــ ... ـــد تلافـــه بالكـــسر طينـــا

وقول ابن الرومي:

تَلَــوُّنُ أخــلاق الفتــى مــن مَلالــه ... وَوَشْــك مــلال المــرء شرُّ خلالــه

وقريب منه قول البحتري في تلون أهل الود، والصبر على ذلك:

أخٌ لي كأيـــام الحيـــاة إخـــاؤه ... تلـــونُ ألوانـــاً عـــلي خطوبُهـــا
إذا عبـــتُ منـــه خلّـــة فهجرتـــه ... دعتنـــي إليـــه خلـــة لا أعيبهـــا

٢- وإذا رأى محدِّثه عابساً أنشد:

يـا عابـساً كلَّـما طالعـتُ مجلـسَه | كـأنّ عَبـستَه مـن ذَرق حَمَّـاءِ[(١)(٢)]

---

(١) الذرق: النجو، والحماء: الأست، وفي الأصل: «ذوق حما».(هـ)

(٢) البيت من البحر البسيط، ومعناه: أن هذا المُحدَّث كالح الوجهِ عابسُه، فكأنه رأى نجواً وهو الغائط؛ فعبس بسبب رؤيته إياه.

وذلك من فرط عبوسه، وكزازته، وكلوحه، ومقابلته الناس باكفهرار، وتقطيب.

ونحوه قول الشاعر يصف شخصاً من هذا القبيل:

يـمارس نفـساً بـين جنبيـه كـزةً | إذا هـمَّ بـالمعروف قالـت لـه مهـلاً

وقريب منه قول الآخر الذي ينهى عن العبوس:

ودع التيـه والعبـوس عـلى النـا | س فـإن العبـوس رأس الحماقـة

وقول الشاعر الذي يحث على البشر والطلاقة:

وما اكتـسب المحامـد حامـدوها | بمثـل البـشر والوجـه الطليـق

٣- وإذا رأى واحداً يُحسِن[1] عند الإحسان عليه، ويسيء القول إذا شُغل عن الإحسان إليه أنشد:

هــو كالكلــب إذا مــا[2] أشــبعتَه طــاب نفــساً وإذا مــا جــاع هَــرْ

---

(١) في الأصل: «يحسن به». (هـ)

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الصواب بدون (ما) هكذا:

هــو كالكلــب إذا أشــبعتَه ....

أو أن تسهل الألف هكذا: (ما آشبعته) بحيث لو كتب كتابة عروضية لقيل: «مشبعته».

والبيت من بحر الرَّمَل، ومعنى هَرَّ: نبح، ورفع صوته بالنباح.

وقريب منه قول مسلم بن الوليد:

فالكلب إن جاع لم يعدمْك بصبصةً وإن يَنَــلْ شِــبعةً ينــبحْ عــلى الأثــر

وقول مسكين الدارمي:

أو حمــار الــسوء إن أشــبعته رمــح النــاس وإن جــاع نهــق

أو غــلام الــسوء إن جوَّعتــه سرق الجــار وإن يــشبع فــسق

٤- وإذا رأى رجلاً راضياً بقليلٍ يصونُ وجهَه عن السؤال أنشد:

وإنَّ قليلاً يستر الوجه أن يُرى ... إلى الناس مبذولاً لغَيْرُ قليلِ[1]

---

(١) البيت لسليم بن المهاجر الجيلي، وهو من البحر الطويل، ومعناه: أن الشيء القليل الذي يصون ماء الوجه عن الانكساف بسواد المطالب ـ لَكَثِيرٌ في الحقيقة؛ لأنه رفع من قيمة صاحبه، ولم ينزل به إلى الابتذال، وذل السؤال.

وقبله:

كسوت جميل الصبر وجهي فصانه ... به الله عن غشيان كلِّ بخيل

فما عشت لم آتِ البخيل ولم أقِمْ ... على بابه يوماً مقام ذليل

انظر المستطرف للأبشيهي ١/ ١٥٩

ونحوه قول عبدالله بن طاهر:

وإن أناساً يصبرون تعففاً ... على فقد عادات الغنى لكرامُ

وقول الخريمي:

العيش لا عيش إلا ما قنعتَ به ... قد يكثر المالُ والإنسان مفتقرُ

وقريب منه قول ثعلب:

من عفَّ خفَّ على الصديق لقاؤهُ ... وأخو الحوائج وجهه مبذولُ

وأخوك من وفَّرت ما في كيسه ... فإذا استعنت به فأنت ثقيل

وقريب منه ـأيضاًـ قول أبي فراس الحمداني:

إن الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسه ... ولو آنه عاريْ المناكبِ حافي

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً ... فإذا قنعت فكلُّ شيءٍ كافي

وقول الشاعر:

صُنْ ماءَ وجهك عن ذل السؤال ولو ... أتاك إهراقه بالمال والخَوَلِ

إن القناعة لم تخلعْ ملابسَها ... إلا على رجل ناهيك من رجل

=

= وقول الأبرش:

انبل بنفسك أن تكون حريصةً ... إن الحريص إذا يُلِحُّ يهانُ

من يكثرِ التَّسْآل من إخوانه ... يستثقلوه وحظُّه الحِرمانُ

وقول أبي تمام:

وما أبالي وخيرُ القول أصدقه ... حقنت لي ماءَ وجهي أو حقنت دمي

وقول أبي الطيب المتنبي:

وإن بَذَلَ الإنسانُ لي جودَ عابس ... جزيت بجود التارك المتبسّم

وقول الشاعر:

أقْسِمُ بالله لرضخُ النوى ... وشربُ ماء القُلُبِ المالحةْ

أعز للإنسان من حرصه ... ومن سؤال الأوجه الكالحةْ

فاستشعر الصبر تَعِشْ سالماً ... مغتبطاً بالصفقة الرابحةْ

وقال آخر:

صِنْ بِعِزِّ اليأسِ عنهم أبداً ... ماءَ ديباجك عن بذل النوال

ليس شيءٌ من نوالٍ تبتغي ... قيمةً للوجه من ذل السؤال

٥ - وإذا حُجِب عن باب دار قد أحسن إليه صاحبُها أنشد:

إني رأيـــت بيـــاب دارك جفـــوةً ... فيهــا لِحُسنِ فَعــالكم تكــديرُ[(١)(٢)]

---

(١) لجحظة البرمكي كما في ديوان المعاني ١: ١٦٣ برواية: «لكن رأيت».(هـ)

(٢) البيت من البحر الكامل، ومعناه: أنني رأيت من حجابك، أو إغلاق بابك من الجفاء ما كدَّر معروفك عندي.

والحاجب معروف عند الأوائل، ويعرف في العصر الحاضر بمدير المكتب، أو السكرتير، أو نحو ذلك، وقد يطلق على الحارس، أو نحوه.

وبعده:

مـا بـال دارك حـين تُـدْخَلُ جنـةً ... وبيـــاب دارك مُنْكَـــرٌ ونكـــير

وهذا معنىً مطروقٌ تتابع عليه الشعراء.

ومنه قول أحدهم:

ما ضـاقت الأرض عـلى راغـب ... يقَلِّـــب الـــرزق ولا هـــارب

بل ضـاقت الأرض عـلى طالـب ... أصـبح يـشكو جفـوة الحاجـب

ومنه قول آخر:

كــم مــن فتــىً تُحمــدُ أخلاقُــه ... وتـــسكنُ الأحـــرارُ في ذمتـــه

قــد كثّــر الحاجــبُ أعــداءَه ... وســلّط الـــذم عـــلى نعمتـــه

وقول أسامة بن منقذ:

تلـقَّ ذوي الحاجـات بالبـشر إنـه ... إلى كرماء الناس أشهى مـن الجـدا

والجدا: العطاء.

وقال أبو تمام:

إذا لم نجد لـلإذن عنـدك موضـعاً ... وجَـدْنا إلى تـرك المجـيء سـبيلا

وقال:

ما لي أرى الحجرةَ البيضاءَ مقفلةً ... دوني وقد طالما اسْتَفْتَحْتُ مُقْفلَهـا

أظنهـا جنـةَ الفـردوس مُعرضـةً ... ولــيس لي عمـــلٌ زاكٍ فأدخلهـــا

=

= وقال بعض الشعراء في ذم بعض الحُجَّاب:

سأترك باباً أنت تملك إذنه ... وإن كنتُ أعمى عن جميع المسالك

وقال نويت اليماني:

على أي باب أطلب الإذن بعدما ... حُجبت من الباب الذي أنا حاجبه

وقال ابن الرومي:

له صاحب دونه حاجب ... وحاجب حاجبه محتجب

وقال ابن عبدل يمدح من يُسَهِّل بابه، ولا يبالغ في وضع حجابه:

ولو شاء بِشْرٌ كان مِنْ دون بابه ... طماطمُ سودٌ أو صقالبةٌ حُمْرُ

ولكن بِشْراً سَهَّل الباب للتي ... تكون لبشر دونها الحمد والأجر

بعيد مرادِ العين ما ردَّ طرفَه ... حِذار الغواشي باب دار ولا سِتْرُ

يعني بالطماطم: العُجْم، والصقالبةِ: جيل حمر من الروم والخَزَر.

وأجمل من ذلك كله قول جحظة البرمكي فيمن يحتجبون عن ذوي الحاجات:

إن حال دون لقائكم بَوَّابُكم ... فالله ليس لبابه بوابُ

وقول الشيخ المكّودي:

إذا عرضت لي في زماني حاجةٌ ... وقد أشكلت فيها علي المقاصدُ

وقفت بباب الله وقفةَ ضارعٍ ... وقلت: إلهي إنني لك قاصدُ

ولست تراني واقفاً عند باب مَنْ ... يقول فتاهُ: سيدي اليوم راقدُ

٦- وإذا رأى بشاشةً في وجه مُضِيف أنشد:

يُسَرُّ بالضَّيف إذا رآه سُرور صادٍ وَرَدَ الماء[1]

---

(١) البيت من بحر الرجز، ومعناه: أن هذا المضيف يفرح بأضيافه إذا رآهم مقبلين عليه كفرح الظمآن إذا ورد الماء، وقريب منه قول القائل:

بشاشةُ وجهِ المرءِ خيرٌ من القِرَى فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحكُ

وقول أبي تمام:

ومُرَحِّبٍ بالزائرين وبِشْرُه يغنيك عن أهلٍ لديه ومَرْحَبِ

يعني: أن طلاقته تغنيك عن قول: أهلاً ومرحباً.

وقول البحتري:

مُتَهَلِّلٌ طَلْقٌ إذا وعدَ الغنى بالبشر أتبعَ بِشْرَه بالنائل

وقوله:

إنما البشر روضةٌ فإذا أعـ ـقب بذلاً فروضة وغدير

وقول المعري:

إذا الضيف جاءك فابسم له وقرِّب إليه وشيك القرى

وقال ابن هَرْمة:

وما غَيَّرتني ضُجرةٌ من تكرمي ولا عاب أضيافي غناي ولا فقري

ومعنى ضُجْرة: قلق، وغمٌّ، وتَبَرُّم.

وعكس المعنى السابق الذي يصف البشاشة في وجه المضيف ـ قولُ الآخر الذي يتلقى ضيفه بالجفاء:

وإنا لنجفو الضيف من غير عُسرةٍ مخافة أن يَضْرى بنا فيعود

أي: إننا لا نبدي للضيف البشاشة، وإنما نظهر له الجفاء؛ حتى لا يعتاد المجيء إلينا.

٧- وإذا رأى رجلاً مِقلاً سخياً أنشد:

وليس الفتى المُعطي على اليُسرِ وحـدَه ولكنّه المعطِي عـلى اليـسر والعـسرِ[1]

(١) البيت لدعبل الخزاعي كما في ديوانه ١/ ١٨٢، وهو من البحر الطويل، ومعناه: أن السخيَّ حقاً هو الذي يعطي حال غناه، وحال فقره.

أما الذي لا يسخو إلا إذا أيسر فحسب؛ فإن سخاءه ناقص، بخلاف من يسخو في الحالين؛ فإن سخاه ههنا دليلُ كرمٍ متأصل في نفسه، بغَضِّ النظر عن كثرة ما بذله أو قلته؛ فالعبرة بجود النفس، وسخائها، واهتزازها للعطاء، كما قال الأول:

من لم يواسِكَ في قليل لم يواسِك في الكثير

والحق يلزم في الكثير وليس يسقط في اليسير

وكما قال الآخر:

إذا تكرَّمت عن بذل القليل تَقْدِرْ على سعة لم يَظْهـرِ الجـودُ

بُثّ النوال ولا تمنعْك قِلَّتُه فكلّ ما سدَّ فقراً فهـو محمـود

وأبلغ منه قوله:

لــيس العطــاءُ مــن الكــريم ســماحةً   حتــى يجــودَ ومــا لديــه قليــلُ[(١)(٢)]

---

(١) للمقنع الكندي، حماسة أبي تمام ٢: ٣٤٣ والمضنون به على غير أهله ٥٦، وإنشاده فيهما:

لـيس العطـاءُ مـن الفـضول سـماحةً   حتى تـجـود وما لديك قليـل(هـ)

(٢) البيت من البحر الكامل، ومعناه: أن المعطيَ حقيقةً والجوادَ كلَّ الجوادِ هو الذي يعطي عن قلة؛ لأنه أَلِف الجود، والإيثار.

وقريب منه قول القائل:

ليس جودُ الفتيان من فَضْلِ مالٍ   إنــما الجــودُ لِلمُقِــلِّ المــواسي

٨- وإذا شم رائحةً كريهةً من جليسه أنشد:

لقوسُ سليمٍ حين يُرسِلُ سهمَه أشدُّ على الآناف من قَوس حاجبِ(١)(٢)

(١) قوس حاجب مضرب المثل في العزة، وهو حاجب بن زرارة التميمي، ومِنْ خَبر قومه أنه أتى كسرى في جدب أصاب قومه بدعوة النبي ﷺ فسأله أن يأذن له ولقومه في دخول الريف من بلاده؛ حتى يحيوا ويمتاروا، فقال لهم كسرى: إنكم معشر العرب قوم غدر، فإذا أذنت لكم أفسدتم بلادي، وأغربتم عليَّ رعيتي.
فقال حاجب: أنا ضامن لِلْمَلِك ألا يفعلوا، قال: فمن لي بأن تفي؟ قال: أرهنك قوسي، فضحك من حوله.
فقال كسرى: إنه لا يتركها أبداً، وقبلها منه، وأذن له في دخول الريف.
انظر ثمار القلوب للثعالبي ١٠٥.(هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، ومعناه: أن تلك الرائحة الكريهة أشد على الآناف -جمع أنف- من فراق تلك القوس العزيزة على نفس حاجب بن زرارة.
يعني أن تلك الرائحة بالغة في الكراهة غايتها، وقريب من ذلك في المعنى -أي في شدة كراهة الرائحة- قول الأول:

أثني عليَّ بما علمتِ فإنني مُثْنٍ عليك بمثل ريح الجوربِ

وقول الآخر:

وأنتن من هدهد ميت أصيب فَكُفِّن في جوربِ

ونحوه قول حسان:

كأن ريحهم في الناس إذ خرجوا ريحُ الكلاب إذا ما مسها المطرُ

قال أبو هلال العسكري رحمه الله تعليقاً على البيت: «قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال: (إذا ما مسها المطر) فجاء بتميم حسن». ديوان المعاني ١/ ٣٨٣

وقريب منه:

يزداد لؤماً على المديح كما يزداد نَتْنُ الكلابِ بالمطرِ

٩- وإذا رأى أناساً لا خير فيهم أنشد:

لا تَلُمِ الأبناءَ في فِعلهمْ ... لو سادَ آباؤهُمُ سادوا(١)

---

(١) يعني أن طبائع الآباء سرت إلى الأبناء؛ فالولد -كما يقال- سر أبيه.

ولا يلزم ذلك بكل حال؛ فالله -عز وجل- يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي.

وقريب منه قول الشاعر:

تلك العصا من هذه العصيةْ ... لا تلد الحية إلا حيةْ

وقول ابن أبي حصينة:

أفعالُ مَنْ تلدُ الكرام كريمةٌ ... وفعالُ مَنْ تلدُ الأعاجمُ أعجمُ

وقول الآخر:

ترجو الصغيرَ وقد أعياك والده ... وما رجاؤك بعد الوالدِ الولدا

وقول ابن ميادة:

وما العود إلا نابت في أرومةٍ ... أبى شجر العيدان أن يتغيرا

الأرومة: الأصل.

وقول إلياس فرحات:

من كان في حجر الأفاعي ناشئاً ... غلبت عليه طبائع الثعبان

وقريب من هذا المضرب ما في المضربين ٩١ و ١١٩

١٠ - وإذا عارضه في كلامه أحدٌ أنشد[١]:

ويعترض الكلامَ وليس يدري ... أسَعدُ الله أكثرُ أم جُذامُ[٢][٣]

---

(١) لعل الصواب أن يقال: وإذا عارضه في كلامه أحدٌ بلا برهان أو بيِّنة، أو نحو هذا؛ لأن مجرد المعارضة لا عيب فيها، فقد يكون الحق مع المعارِض، كما بيَّن ذلك ابن فارس في المضرب رقم ٧٠.

(٢) سعد الله: هم بنو سعد بن بكر الذين استرضع فيهم رسول الله ﷺ وظئره حليمة السعدية منهم، وهم مخصوصون من بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان.

وجذام قبيلة أخرى: من أمثال العرب: أسعد الله أكثر أم جذام.

وهما حيان بينهما فضل لا يخفى.

وقال أبو عبيد: يروى عن جابر بن عبدالعزيز العامري ـوكان من علماء العرب- أن هذا المثل قاله حمزة بن الضليل البلوي لروح بن زنباع الجذمي:

لقد أفحِمْتَ حتى لستَ تدري ... أسعد الله أكثر أم جذام

الميداني ٢: ١٤٧، وثمار القلوب ٢١، وأنشد في ثمار القلوب للصاحب إسماعيل ابن عباد:

كتبت وقد سَبَتْ عقليْ المدامُ ... وساعدني على الشرب الندامُ
وأسرفنا فما ندري لِسُكرٍ ... أسعدُ الله أكثرُ أم جُذامُ

(هـ)

(٣) وهذا البيت من البحر الوافر، وقد جرى مجرى المثل، ويضرب للمخلط الجاهل الذي يتكلم بما لا يعلم.

وقريب منه قول زهير:

وذي خطل في القول يحسب ... مصيبٌ فما يُلْمِمْ به فهو قائله
عَبَأْتُ له حلمي وأكرمت غيره ... وأعرضت عنه وهو بادٍ مقاتله

وقريب منه ما جاء في المضرب رقم ٧٠.

١١ - وإذا جالس قوماً ليلَهُ مجالسةَ أهلِ الأدب ثم جاء الفجر أنشد:

بِتْنَا بأنعم ليلة وألذِّها ... لو لم تَنغَّصْ بالفراق من الغدِ(١)

(١) البيت من البحر الكامل، ومعناه: أننا بتنا تلك الليلة بأنس وسرور، ولم يكدِّر ذلك إلا تذكر الفراق عند إشراق الصباح، كما قال أبو الطيب المتنبي:

أشدُّ الهمِّ عندي في سرور ... تيقّن عنه صاحبه انتقالا

وقول الآخر:

أحِبُّ ليالي الهجر لا فرحاً بها ... عسى الدهر يأتي بعدها بوصال

وأكره أيامَ الوصال لأنني ... أرى كلّ وصل محكماً بزوال

وقريب منه -أي في قصر أوقات السرور- قول عمر بن أبي ربيعة:

فيالك من ليل تقاصر طولُه ... وما كان ليلي قبل ذلك يَقْصُر

وقول أبي تمام:

وأيامُ الهمومِ مقصصاتٌ ... وأيام السرور تطير طيراً

وقول ابن المعتز:

وليلةٍ كاد مِنْ تَقاصُرِها ... يعثر منها العشاء بالسحر

وقول الآخر:

ليلُ المحبين مطويٌّ جوانبه ... مشمر الذيل منسوب إلى القصر

ما ذاك إلا لأن الصبح نمَّ بنا ... فأطلع الشمس من غيظ على القمر

وقول الآخر:

هذه ليلة لها بهجة الطا ... ووس حسناً واللون لون الغدافِ

رَقد الدهر عندها فانتبهنا ... وسرقنا حظ السرور الشافي

الغداف: الغراب.

١٢- وإذا وعده رفيق له بالسفر في غدٍ أنشد:

لا مرحبـــاً بغـــدٍ ولا أهـــلاً بـــه ... إن كـــان تَرحـــالُ الأحِبَّـــة في غـــدِ(١)(٢)

(١) البيت للنابغة الذبياني من قصيدته التي مطلعها:

مـــن آل ميـــة رائـــح أو مغتـــدي ... عجـــلان ذا زاد وغـــير مـــزود

والرواية المشهورة: «إن كان تفريق الأحبة».(هـ)

(٢) البيت من البحر الكامل، والمعنى: لا مرحباً بغدٍ ولا سعةٍ، أي: إذا كان تفريقنا في غدٍ فأبعده الله، ولا جاء به.

وقريب منه قول أبي تمام في وداع صديقه الشاعر علي بن الجهم:

هي فُرْقَةٌ من صاحبٍ لك ماجدٍ ... فغـــداً إذابـــةُ كـــلِّ دمـــع جامـــدِ

وقول الآخر:

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر لـه ... رزيئـــة مـــال أو فـــراق حبيـــب

ونحوه قول عمر بن أبي ربيعة:

تَـــشُطَّ غـــداً دار جيراننـــا ... وللـــدار بعـــد غـــدٍ أبعـــدُ

وقول الآخر:

وغداً ومـا أدنـاه لا يبقـى سـوى ... دمـــع لنـــا يهمـــي وســـنٌّ نقرعـــه

١٣ - وإذا تألم من عشيرِهِ وصديقه أنشد:

وليِ صـــاحبٌ مـــرُّ المـــذاق كـــأنَّما أضمُّ إلى نحري بـه حـدَّ مُنـصُـَـل(١)(٢)

---

(١) المُنْصُل: بضم الميم مع ضم الصاد وفتحها: السيف.(هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، والمعنى: أن هذا الصاحب مؤذٍ قُرْبُهُ ومعاشرته؛ فكأنه سيف قربته من نحري؛ فيوشك أن يقضي علي.

وقريب منه قول القائل:

لي صـــاحب لـــيس يخلـــو لـــسانه مـــن جـــراحِ
يُجِيْـــدُ تمزيـــقَ عِـــرْضي عـــلى ســـبيل المـــزاحِ

وقول البارودي:

وأصعب ما يلقى الفتى مـن زمانـه صحابةُ مَنْ يَشْفِي مـن الـداءِ فَقْـدُهُ

وقال الثعالبي: «أحسن ما قيل في شكاية الإخوان قول بعضهم:

مـــن رأى في الأنـــام مثـــل أخٍ لي كـــان عـــوني عـــلى الزمـــان وخـــلي
رَفَعْتُـــهُ حـــالّ فحـــاول حطِّـــي وأبـــى أن يَعـــزَّ إلا بِـــذُلِّي

أحسن ما سمعت للثعالبي ص٣٤

وقال آخر:

تَمَلَّقْتُـــهُ جَهـــدي فلـــما رأيتـــه إذا لان منـــي جانـــبٌ عـــزَّ جانبـــه
جريـتُ لـه في الـصدر مني مـودةً وخلّيـت عنـه مهمـلاً لا أعاتبـه

١٤ - وإذا عاتب ذا قرابةٍ له أنشد:

بم استجَزت اطِّراحي والصَّريمةَ لي ... وأنت لحمي وإن لم تُـذْعَ لي ودَمِي[(١)(٢)]

---

(١) الاستجازة: أن يعد لأمر جائزاً مقبولاً، وفي الأصل: «استخرت» تحريف.

والصريمة: القطيعة.(هـ)

(٢) البيت من البحر البسيط، والمعنى: كيف استسغت إبعادي، وقطيعتي، وأنت قريبي ورحمي، وأنت المؤمل في تقريبي وصلتي، ونصرتي؟!.

ونحوه قول أبي تمام:

ثم اطَّرحتم قراباتي وآصرتي ... حتى توهَّمتُ أني من بني أسدِ

وقول الآخر:

فهلا غير عَمِّكُمُ ظلمتم ... إذا ما كنتمُ متظلمينا

وقول الزبرقان بن بدر:

وليَ ابن عمٍّ لا يزا ... ل يعيبني ويُعين عائب

وأعيذه في النائبا ... ت ولا يعين على النوائب

تسري عقاربُه إليْـ ... ـيَ ولا تناولُه عقارب

وقول أبي نواس:

وابنُ عمٍّ لا يكاشفنا ... قد لبسناه على غَرره

كَمَن الشنآنُ فيه لنا ... كَكُمُون النار في حَجَره

قوله: لا يكاشفنا: لا يظهر لنا ما يكنه من العداوةِ، والشنآنُ: البغضاء.

وقول الأعشى:

فإن القريبَ مَنْ يُقَرِّب نفسه ... لعمر أبيك الخير لا من تَنَسَّبا

وقول الحارث بن كلدة:

فإن يَكُ خيرٌ فالبعيد يناله ... وإن يَكُ شرٌّ فابنُ عمِّك صاحبُه

=

= وقول معن بن أوس المزني -وهو من أحسن ما قيل في هذا الباب-:

وذي رحمٍ قلّمتُ أظفار ضِغْنِهِ … بحِلْميَ عنه وهو ليس له حلمُ

إذا سِمْتُه وصلَ القرابةِ سامني … قطعيتَها تلك السفاهةُ والظلمُ

ويسعى إذا أبني ليهدمَ صالحي … وليس الذي يبني كَمَنْ شأنه الهدمُ

يحاول رَغْمي لا يحاول غيرَه … وكالموت عندي أن يسوغَ له الرَّغْمُ

فإن أنتصر منه أكنْ مثل رائشٍ … سهامَ عدوٍ يُستهاضُ بها العظمُ

وإن أعفُ عنه أغْضِ عيناً على قذىً … وليس له بالصفح عن ذنبه عِلمُ

فما زلت في لينٍ له وتعطّفٍ … عليه كما تحنو على الولد الأمُّ

لأستلّ ذاك الضِّغنَ حتى استللتُه … وقد كان ذا ضغنٍ يضيق له الحزمُ

فداويت منه الحقدَ والمرءُ قادرٌ … على سهمه ما دام في كفه السهمُ

ومعن هذا شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وله أخبار مع عمر ﷺ، وكان معاوية ﷺ يفضله ويقول: «أشعر أهل الجاهلية زهير وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب، ومعن بن أوس» راجع أخباره في الأغاني ١٢/ ٥٤ ـ ٥٦، والإصابة ٨٤٤٥، والخزانة ٣/ ٢٥٨.

وجاء في الأغاني ١٢/ ٦٠: «قال عبدالملك بن مروان يوماً وعنده عدة من أهل بيته وولده: لِيَقُلْ كل واحد منكم أحسنَ شعرٍ سمع به، فذكروا لامرئ القيس، والأعشى، وطرفة، فأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا، فقال عبدالملك: أشعرهم ـ والله ـ الذي يقول: وذي رحم...».

١٥- وإذا عاتب مَن أخلف وعده أنشد:

سألتك حاجةً فوعدتَ فيها جميلك ثم نِمت عن الجميلِ[1]

---

(١) البيت من البحر الوافر، والمعنى أنني سألت حاجة فوعدتني خيراً، ثم نسيته، أو غفلت عنه.

ونحوه قول كثير عزة:

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةٌ فلما رجوها أقشعت وتولتِ

وقريب منه قول ابن الخياط:

لا يكن بَرْقُك برقاً خُلَّباً إن خير البرقِ ما الغيث معه

وقول الآخر:

إن الكريم إذا حباك بموعدٍ أعطاكه سلساً بغير مطالِ

وقول هرم بن غنام السلولي:

إذا قلت في شيء: (نعم) فأتمه فإن (نعم) دين على الحرِّ واجبُ

وإلا فقل: (لا) واسترح وأرح بها لكيلا يقول الناس: إنك كاذب

ومن أجمل وأقدم ما قيل في ذلك -أيضاً- قول المثقِّب العبدي:

لا تقولن إذا ما لم تُرِدْ أن تتم الوعد في شيء (نعم)

حَسَنٌ قولُ (نعم) من بعدِ (لا) وقبيح قول (لا) بعد نعم

إن (لا) بعد (نعم) فاحشة فبـ(لا) فابدأ إذا خفت الندم

وإذا قلت: (نعم) فاصبر لها بنجاح القول إن الخلف ذم

واعلم أنّ الذَّم نقصٌ للفتى ومتى لا يتقِ الذم يذم

وقريب من هذا المضرب ما في المضارب ٩٦ و ٩٨ و ١٠٦

١٦- وإذا لم يعجبه إنسان أنشد:

قد رأيناك فما أعجبتنا ... وبلوناك فلم نرضَ الخُبُرْ[(١)(٢)]

---

(١) الخبر: بالضم: الاختبار والعلم بالشيء، وضم الباء للشعر.

والبيت في محاضرات الراغب ١: ١٣٥، ومعه قصة فيه ٢: ٨٩.(هـ)

(٢) البيت من بحر الرمل، ومعناه: أن ظاهرك وباطنك دالان على أن لا خير فيك، ولا شيء يحسن منك.

وقريب منه قول متمم بن نويرة:

وبعضُ الرجالِ نَخْلَةٌ لا جنى لها ... ولا ظلَّ إلا أن يُعَدَّ من النخل

وأشد منه في معناه قول محمد بن الجهم:

قَبُحَتْ مناظِرُهم فحين خَبَرْتُهم ... حَسُنَتْ مناظِرُهم لِقُبْحِ المَخْبَرِ

ونحوه قول أحدهم:

ويا قبيح الوجه كن محسناً ... لا تجمعنَّ الشَّين بالشين

١٧ - وإذا هجاه أحدٌ أنشد:

وما كلُّ كلبٍ نابحٍ يستفزُّني ... ولا كلَّما طَنَّ الذباب أُراعُ[(١)(٢)]

(١) البيت في مجالس ثعلب ٣، ٤ ومحاضرات الراغب ١: ١٣٥ بدون نسبة أيضاً.(هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، ومعناه أنني رجل واسع الحلم، رُحب الذرع، لا يحركني نبح الكلاب، ولا طنين الذباب.

وقريب منه قول أحدهم:

أو كلما طَنَّ الذباب طردته ... إن الذباب إذاً عَليَّ كريم

وقول الآخر:

فكن كيف شئت وقل ما تشا ... وأبرق يميناً وأرعد شمالا

نجا بِكَ لؤمُك منجى الذباب ... حَمَتْهُ مقاذيرُه أن ينالا

وقول الآخر:

لقد جَلّ قدرُ الكلبِ إن كان كلما ... عوى وأطال النَّبْحَ ألقمته الحَجَرْ

وقول مسلم بن الوليد:

فاذهب فأنت طليق عِرْضِك إنه ... عِرْض عززت به وأنت ذليل

وأنشد الجاحظ:

ووثقت أنك لا تسبْ ... بُ حَماك لؤمك أن تُسَبَّا

أي حماك لؤمك، ونجَّاك من السبِّ.

وقال غيره:

دناءَةُ عِرْضِك حصنٌ منيع ... تقيك إذا ساء منك الصنيع

فقل لعدوك ما تشتهي ... فأنت الرفيع المنيع الوضيع

وقال ابن الرومي وأجاد:

فلا تخشَ من أسهمي قاصداً ... ولا تأمنَنَّ من العابر

ولكن وقاك مَعَرَّاتِها ... تضاؤلُ قدرك في الخاطر

١٨ - وإذا أحسَّ بتقصيرٍ في سياسة أمير لرعيته نسب الأمْرَ لوزيره، وأنشد:

إذا غَفَــلَ الأمــير عــن الرعايــا فـــإن العتـــب أولى بـــالوزيرِ
لأنَّ عـــلى الـــوزير إذا تـــولَّى أمـــورَ النـــاس تـــذكيرَ الأمـــيرِ[1]

(١) البيت من البحر الوافر وينسب لعلي بن محمد البسامي، ويروى:

إذا نـــسي الأمـــير قـــضاء حـــق فـــإن الـــذنب فيـــه للـــوزير
لأن.............................. ....

ومعناه أن الوزير يتحمل تبعة تقصير الأمير؛ لأن مقتضى الأمانة أن يُذَكِّر الوزيرُ الأميرَ إذا قصر، أو غفل.

وقريب منه قول ابن الرومي:

عـــين الأمـــير هـــي الوزيـــــ ـــــر وأنـــت ناظرُهـــا البـــصير

١٩- وإذا ذُكِر له كِبَرُ سنّه أنشد:

إنَّ الحسام وإنْ رثَّتْ مضارِبُه إذا ضربتَ به مكروهةً فَصَلا[(١)(٢)]

---

(١) رثت مضاربه: أخلقت وتثلمت.

مكروهة: أي ضربة مكروهة شديدة.

ويقال للسيف الذي يمضي على الضرائب الشداد لا ينبو عن شيء منها: «ذو الكريهة».(هـ)

(٢) البيت للأحوص ديوانه ١/ ١٤٥ ، وهو من البحر البسيط، وقريب منه:

إني على ما تَرينَ من كِبَري أعرف من أين تؤكل الكتفُ

وقول أبي النجم:

إني أنا السيفُ لا ترضيك جِدَّتُهُ وليس يرضيك إلا بعد إخلاق

وقريب منه ما في المضرب رقم ٣٧

٢٠- وإذا أثنى على محسن أنشد:

فعـاجُوا فـأثنَوا بالـذي أنـت أهلُـه ولو سكتوا أثَنتْ عليـك الحقائـب[(١)(٢)]

(١) البيت لنصيب، كما في البيان ١: ٨٣، ومجموعة المعاني ٩٦، والوساطة ١٥٠، والكامل ١٠٤ ليبسك.(هـ)

قال المبرد: «وقد فضل نصيب على الفرزدق: أنشدني -وإنما أراد أن ينشده مدحاً له- فأنشده:

وركب كأن الريحَ تطلب عنـدهم لهـا تِـرَةً مِـنْ جـذبها بالعـصائب

سروا يخبطون الريح وهي تَلُفّهـم إلى شـعب الأكـوار ذات الحقائـب

إذا آنـسوا نـاراً يقولـون ليتهـا وقـد خـضرت أيـديهم نـار غالـب

فأعرض سليمان كالمغضب، فقال نصيب: يا أمير المؤمنين: ألا أنشدك في رَويِّها ما لعله لا يتضع عنها، فقال: هات، فأنشده:

أقـول لركـب صـادرين لقيـتهم قفـاذات أوشـال ومـولاك قـارب

قفوا خـبروني عـن سـليمان إنـني لمعروفـه مـن أهـل ودَّان طالـب

فعاجوا فأثنوا بالـذي أنـت أهلـه ولو سكتوا أثنـت عليـك الحقائـب

وانظر زهر الآداب ٢: ٤١، ٤٣ والعمدة ١: ٤٤.(هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، وقريب منه قول أبي الطيب المتنبي:

وأحسن وجه في الورى وجهُ محسن وأيمـن كـفٍّ فـيهم كـفُّ مـنعم

٢١- وإذا رأى من والٍ إساءةً على من وَلِيَ عليه أنشد:

وكنا نستطبُّ إذا مَرِضنا فصار سَقامُنَا بيد الطبيبِ[1][2]

---

(١) يستطب: يستوصف الدواء الذي يصلح لدائه.(هـ)

(٢) البيت من البحر الوافر، وبعده:

وكيف نُجِيزُ غُصَّتنا بشيء ونحن نَغَصُّ بالماء الشروبِ

انظر جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري دون نسبة ٢/ ١٦٦

وقريب منه قول عدي بن زيد:

لو بغير الماء حلقي شرِق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

وقول الآخر:

من غصَّ داوى بشرب الماءِ غَصَّته فكيف يصنع من قد غص بالماء

وقول الآخر:

إلى الماء يغدو من يغص بلقمة إلى أين يغدو من يغص بماءِ

وقول الآخر:

إذا ما اللحمُ أنتَنَ مَلَّحوه ونتنُ الملح ليس له دواءُ

وقول الآخر:

ونستعدي الأمير إذا ظُلمنا فمن يُعدي إذا ظلم الأمير

وكتب رجل إلى صديق له: قد كنت أستعدي بك ظالماً على غيرك، فتحكم لي، وقد استعديتك مظلوماً فضاق عني عدلك، وذكر قول القائل:

كنتُ في كربتي أَفِرُّ إليهم فهم كربتي فأين الفرار

انظر: عيون الأخبار ١/ ٧٨

ونحوه:

والخصم لا يرتجى النجاح له يوماً إذا كان خصمه القاضي

٢٢- وإذا حضَر أناسٌ على أمرٍ ذي بال أنشد:

أقــول لفتيـــانٍ كـــرام تروَّحـــوا   عـلى الجُـرد في أفـواههن الـشكائم[1]
قَعُـوا وَقعـةً مَـنْ يَحْـيَ لم يَخْـزَ بعـدها   ومــن يُخْـتَرَمْ لم تتَّبعــه المَــلاومُ[2][3]

(١) البيتان من مقطوعة رواها ابن الشجري في الحماسة ٤٨، وأبو الفرج في الأغاني ١٨: ١٠٩، والقالي في الأمالي ١: ٢٥٨، والبكري في التنبيه ٨١، رووا جميعاً عن المفضل الضبي أنه قال: كنت مع إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بباخمرى في اليوم الذي قتل فيه، فلما رأى البياض يقل، والسواد يكثر قال لي: يا مفضل أنشدني شيئاً يهون عليَّ بعض ما أنا فيه.
فأنشدته... ـ وأنشدوا الأبيات ـ قال: فرأيته يتطالع على سرجه، ثم حمل حملة كانت آخر العهد به.
تروحوا: ساروا في الرواح، والجرد: جمع أجرد وجرداء، وهو الفرس القصير الشعر.
والشكائم: جمع شكيمة، وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس.
في الأصل: «في أعناقهن»، صوابه في الحماسة والأغاني ومجموعة المعاني ٣٩. (هـ)

(٢) الوقعة والوقيعة: القتال وصدمة الحرب، ويقال: اخترمته المنية من بين أصحابه: أخذته من بينهم.(هـ)

(٣) البيتان من البحر الطويل، وهما لعويف الفزاري، وقريب منهما قول أبي الغول الطَّهوي:

فدت نفسي ومـا ملكـت يمينـي   فــوارس صُــدِّقَت فــيهم ظنــوني

وقول الأعشى:

فلــما رأوه دون دُنْيــا ركــابِهم   وطـاروا سِراعـاً بالـسلاح الــمُعَتَّدِ
أتـيح لهــم حُــبُّ الحيـاة فـأدبروا   ومَرْجاةُ نفسِ المرء مـا في غـدِ غـدِ

٢٣- وإذا سُرّ بُلقيا صديقٍ له أنشد:

يـا خَـلاص الأسـير يـا فرحـة الأو ... بـة يـا زورةً عـلى غـير وعـدِ[1]

---

(١) البيت من البحر الخفيف، وهو لابن الرومي (انظر ديوانه ص ١٥٧٨).

والمعنى: أن سروري بلقياك أيها الصديق عظيم يشبه سرور الأسير بفكاك أسره، والآيب إلى أهله بعد طول غياب، والزائر المحبوب على غير ميعاد.

ويروى البيت:

يا خلاص الأسير يا ضمة المد ... نف يا زورةً على غير وعد

وبعده:

يا نجاة الغريق يا فرحة الأو ... بة يا قفلةً بعد كدِّ

وقريب منه قول أبي دُلَف:

أطيب الطيبات قتل الأعادي ... واختيال على متون الجياد

ورسولٌ يأتي بوعدِ حبيب ... وحبيب يأتي بلا ميعاد

وقول أبي الطيب:

وما صبابةُ مشتاقٍ على أملٍ ... من اللقاء كمشتاق بلا أملِ

وقول القروي:

لا شيء في الدنيا أحبُّ لناظري ... من منظر الخلان والأصحاب

وقول الآخر:

وعرفت أيام السرور فلم أجد ... كرجوع مشتاق إلى مشتاق

٢٤- وإذا أعار أخاً له دفتراً فأبطأ عليه بردِّه أنشد:

تعجيــــل ردِّ الكتــــب ممـــا بـــه ... يَـــستكثِرُ العلــــمَ أخـــو العلـــمِ
وحبـــسُها يمنـــع مِـــن بـــذلها ... مـــع الـــذي فيـــه مـــن الظُّلـــمِ[1]

(١) البيتان من البحر السريع، ومعناهما أن ردَّ الكتب المعارة من أسباب زيادة العلم، والاستكثار منه، بخلاف حبسها، أو التأخر في ردها؛ فإن فيه جناية مَنْعِها عن الراغبين في الإفادة منها، وجنايةَ حَبْسِها، والتأخيرِ في ردها، ولهذا قيل: آفة الكتب إعارتها.

ونحوه قول القائل:

مـاذا جنـاه كتـابي فاسـتحق بـه ... سجناً طـويلاً وتغييبـاً عـن النـاس
أطْلِقْهُ نـسأله عـما كـان حَـلّ بـه ... في عقـر دارك مـن ضُرٍّ ومـن بـاس

وقول الآخر:

مـا بـال كُتْبِـي في يـديك رهينـة ... حُبِـستْ عـلى كَـرِّ الزمـان الأول
فَـأذَنْ لهـا في الإنـصراف فإنهـا ... كَنْــزٌ عليــه إذا افْتَقَــرْتُ مُعَــوَّلِي
ولقد تَعنَّـت حـين طـال مقامهـا ... طـال الثـواءُ عـلى رسـوم المنـزل

وقول الآخر:

أيهـــا المـــستعير منـــي كتابـــاً ... ارْضَ لي منـه مـا لنفسك تـرضى
لا تـرى ردَّ مـا أعرتُـك نفـلاً ... وتـرى رد مـا اسـتعرتك فرضـا

وقريب منه قول ابن طباطبا:

إذا فَجَـع الـدهر امـرأ بخليلـه ... تـسلّى ولا يـسْلى بفجـع الـدفاتر

لكن قال وكيع: أول بركة العلم: إعارة الكتب، ولأبي الكرم الحوزي:

كُتْبِــي لأهــل العلــم مبذولــةٌ ... أيـــديهمُ مثـــلَ يـــدي فيهـــا
متـــى أرادوهـــا بـــلا منـــةٍ ... عاريـــــةً فليـــــستعيروها
حاشـــاي أن أمنعهـــا عـــنهمُ ... كـــلا كـــما غـــيريَ يخفيهـــا
أعارنـــا أشـــياخُنا كُتْـــبَهم ... وســـنةَ الأشـــياخ نمـــضيها

=

= وقال البزار في الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٧٨: «وأخبرني من أثق به أنه جاءه -يعني ابن تيمية- يوماً يسأله كتاباً ينتفع به، فأمره أن يأخذ كتاباً يختار، فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفاً قد اشتراه بدراهم كثيرة، فأخذه ومضى؛ فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك، فقال: أيحسن بي أن أمنعه بعدما سأله؟ دعه؛ فلينتفع به.

وكان الشيخ ابن تيمية ﷺ ينكر إنكاراً شديداً على من يُسأل شيئاً من كتب العلم التي يملكها، ويمنعها من السائل، ويقول: ما ينبغي أن يمنع العلم ممن يطلبه».

٢٥- وإذا عاد مريضاً ذا مودّةٍ صادقة أنشده:

نفسي ونفسك إن أبللتَ من سقم ... أبللتُ منه وإن أضناكَ أضناني[1]

---

(١) البيت من البحر البسيط، ومعنى أبللت: شفيت، وأضناك: أمضَّك، وأتعبك.

يقول: إنك كنفسي؛ فإن شفيتَ من المرض شفيتُ منه أنا، وإن أتعبك تعبتُ لتعبك.

وقريب منه قول المتنبي:

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم ... وزال منك إلى أعدائك الألمُ

وقول الشيخ محمد الخضر حسين في مرض صديق له:

نبئت أنك موجع ... فارتاع قلبي وانتفض

ما ضر لو كنتُ المريـ ... ـضَ وزال عن خلي المرض

وجع القلوب أشد من ... وجع الجسوم إذا عرض

لا خِلّ إلا من يبيـ ... ـت إذا مرضت على مضض

٢٦- وإن امرؤ جزِعَ على فائتٍ أنشده:

فــلا تكثِــرنْ في إثــرِ شيءٍ ندامــةً إذا نزعتــه مــن يــديك النّــوازعُ[(١)(٢)]

(١) البيت للبعيث، كما في لباب الآداب ٤٢٤، وأبيات قصيدته في أمالي القالي ١: ١٩٦، وسمط اللآلئ ٤٧٠-٤٧١، ومعجم البلدان (القعاقع).(هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، ومعناه أَقْصِرْ عن الإفراط في الندم على ما فات؛ فإن الجزع لا ينفعك، ولا يطفئ لوعتك، ولا يرد عليك ما فات، وإنما ينفعك الصبر، والتسلي.

ونحوه قول امرئ القيس:

فدع عنك شيئاً قد مضى لسبيله ولكن على ما كان غالك أَقْبِلِ

وقريب منه قول النابغة الجعدي:

خليلي عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أَوْ ذرا

ولا تجزعا إن الحياة قصيرة فخِفا لروعات الحوادث أو قِرا

وإن جاء أمرٌ لا تطيقان دفْعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

ألم تريا أن الملامة نفعها قليل إذا ما الأمر ولى وأدبرا

تهيج البكاء والندامة ثم لا تُغَيِّر شيئاً غير ما كان قُدِّرا

ومنه قول أبو بكر ابن النطاح:

ولم أتنفس الصعداء لهفاً على عيش تداعى بانقضاب

أطالع ما أمامي بابتهاج ولا أقفو المولِّي باكتئاب

وقول البارودي:

فلست لأمرٍ لم يكن متوقعاً ولست على شيء مضى أتعتَّب

٢٧- وإذا عُوتِب على إهانته للمال، وكثرةِ بذلِهِ أنشد:

كيف يَسْطِيع حِفظَ ماجمعت كفَّـ ـــاهُ مـــن ذاق لـــذة الإنفـــاق[1]

---

(١) البيت من البحر الخفيف، وهو للكاتب الشاعر إبراهيم بن العباس الصولي، وقبله:

لا تلـــومَنَّني فَهَمُّـــك أن أثـــ ـــري وهمـــي مكـــارم الأخـــلاقِ

انظر غُرر الخصائص للوطواط ١/ ١٥٩

وفي ديوان الصولي كما في الطرائف الأدبية للشيخ عبدالعزيز الميمني ص١٨٦:

لا تَلَمْنِـــي فـــإن همَّـــك أن تثـــري وهمـــي مكـــارم الأخـــلاقِ

والمعنى أن الذي ذاق لذة العطاء لا يستطيع إمساك المال؛ لأنه يجد لذته في إنفاقه، كما يجد الشحيح لذته في إمساكه.

وقريب منه قول جؤية بن النضر:

قالـت طريفـةُ مـا تبقـي دراهمنـا ومـــا بنـــا سرف فيهـــا ولا خـــرق

إنـــا إذا اجتمعـــت يومـــاً دراهمنـــا صـــارت إلى طـــرق المعـــروف تـــستبق

لا يعرف الدرهمُ المضروبُ صُرَّتَنا لكـــن يمـــرُّ عليهـــا وهـــو منطلـــق

حتـــى يـــصيرَ إلى نَـــذْلٍ يُخلـــده يكـــاد مـــن صَرِّهِ إيـــاه ينمـــزق

وقول حاتم الطائي:

وقائلـةٍ أهلكـت بـالجود مالنـا ونفسك حتى ضر نَفْسَك جودُهـا

فقلت: دعيني إنـما تلـك عـادتي لكـل كـريم عـادة يـستجيدها

وقول الآخر:

المال مـالي إذا يومـاً سـمحت بـه وما تركت ورائـي لـيس مـن مـالي

وقول ابن الرومي:

فليس لفـضل المـال شيء كبذلـه وليس لداء العِـرض شيء كحـسمه

=

= وقول الآخر:

ألا لا تلمنـــي عــلى بــذل مــالي فَـــصَوني لعـــرضي بـــمالي جمـــالي

وصـــوني لمـــالي بعـــرضي فـــسادٌ لعـــرضي وديـنـــي وجـــاهي ومـــالي

وقول الآخر:

قامت تلوم على بـذل النـوالِ ولي بـه ولـوعٌ فقلـت: اللـوم في البـاقي

لا تجزعـي أن تَـرَيْ بيْ فاقـةً أبـداً فمـن خـزائن رب العـرش إنفـاقي

وقريب من هذا المضرب ما جاء في المضرب رقم ٦٧.

٢٨- وإذا مشى لأخ في قضاء حاجة ووفى بحقه أنشد:

حقوق لإخواني أريد قضاءها ... كأني ما لم أقضهن مريض[1]

---

(١) البيت من البحر الطويل، ومعناه أن لأحبتي علي حقوقاً أوجبتها على نفسي، وإذا لم أقضها صرت كالمريض؛ من شدة ما يلحقني من الهم؛ فكأن عافيتي مقرونة بأداء تلك الحقوق.

وقريب منه قول بشار بن برد:

كأن لهم ديناً عليه وما لهم ... سوى جُودِ كفيه عليه حقوقُ

وقول بعضهم:

سأشكر عَمْراً ما تراخت منيتي ... أيادِيَ لم تُمْنَنْ وإن هي جلَّتِ

فتىً غير مفراحٍ إذا الخيرُ مسَّه ... ولا مظهرِ الشكوى إذا النَّعل زلتِ

رأى خلَّتي من حيث يخفى مكانُها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلتِ

قال أبو هلال تعليقاً على هذه الأبيات: «هي أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه».

وقال: «قوله: (قذى عينيه) لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام، وأن الإنسان إذا قذيت عينه صرف الهمةَ إلى نَقْذَتها من غير اشتغال بشيء غيرها.

وهو على قوله: (من حيث يخفى مكانها) أبلغ؛ لأنه يدل على تفقُّد شديد، وعناية تامة».

كتاب ديوان المعاني ١/ ٢٦٦-٢٦٧.

٢٩- وإذا أثنى على إنسان ورأى منه شروداً[١] ونفرة أنشد[٢]:

بطــيءٌ عنــك مــا اســتغنيت عنــه ... وطــلاع عليــك مــع الخطــوب[٣][٤]

---

(١) في الأصل: «سرورا» تحريف. (هـ)

(٢) كأن في هذا المضرب إبهاماً وغموضاً؛ من جهة مناسبته للشاهد، والأنسب أن يقال: وإذا رأى صاحباً يقبل على أصحابه إذا أعسروا واحتاجوا إليه، ويبعد عنهم إذا كانوا بخير وعافية أنشد.

(٣) البيت لإبراهيم بن العباس الصولي، كما في الأغاني ٩: ٢٤ ومجموعة المعاني٥٦ وقبله:

ولكــن الجــواد أبــا هــشام ... وَفِيّ العهــدِ مــأمون المغيــبِ

(هـ)

وبعده كما في ديوان الصولي في الطرائف الأدبية للشيخ عبدالعزيز الميمني ص١٢٩:

إذا أمــر عــراك حمــاك منــه ... وعــاد بــه إلى عطــن قريــبِ

(٤) البيت من البحر الوافر، ومعناه أن هذا الممدوح على درجة من شهامة الخاطر، وكمال المروءة؛ حيث إنه إذا كان أَحِبَّته بخير وغنىً ابتعد عنهم؛ حتى لا يثقل عليهم.

وإذا نابتهم النوائب أقبل عليهم، وأعانهم على تفريج كربهم.

وقريب من ذلك قول الشاعر:

فتىً كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا مـا هـو اسـتغنى ويبعـده الفقـر

كــأن الثريــا علقــت بجبينــه ... وفي خدِّه الشِّعرى وفي الآخر البـدر

يعني أن هذا الفتى يقترب من أصدقائه إذا اغتنى؛ كي يجود عليهم، وينفعهم.

وإذا افتقر بَعُدَ عنهم؛ لكيلا يرهقهم بمساعدتهم له، ورفدهم إياه.

ونحوه قول أبي بكر الخوارزمي:

رأيتك إذ أيسرتَ خيَّمْتَ عنـدنا ... لزامــاً وإن أعــسرت زُرْتَ لِمامــا

فما أنت إلا البدر إن قـل ضـوؤه ... أغــبَّ وإن دام الــضياءُ أقامــا

=

= ونحوه قول إبراهيم بن العباس:

أســـدٌ ضـــارٍ إذا هيَّجتـــه ... وأبٌ بـــرٌّ إذا مـــا قَـــدِرا

يعلَـــمُ الأبعـــد إن أثـــرى ولا ... يعلـــم الأدنـــى إذا مـــا افتقـــرا

وقول أعرابي في مدح قومه:

إذا افتقروا عضوا على الصبر حِسْبَةً ... وإن أيسروا عادوا سراعاً إلى الفقـر

وقول آخر:

أنـا ابـن عمـك إن نابتـك نائبـةٌ ... ولـست ذاك إذا مـا نَعْتُـك اعتـدلا

وقول بعض الشعراء:

وأعرض عن ذي المال حتى يقالَ لي ... قـد أحـدث هـذا نخـوةً وتعظـما

ومـا بيَ كِـبْرٌ عـن صـديق ولا أخٍ ... ولكنــه فعــلي إذا كنــت معــدما

وعكس ذلك ما قاله يزيد المهلبي:

فــإذا غنيــتُ فكلهــم لي خاتــل ... وإذا افتقــرت فكلهــم لي جــافي

٣٠- وإذا أراد شيئاً عاناه ليلاً أنشد:

والليل يقظان والكواكب في الـ ... آفاق حيرى كاللؤلؤ البَدَدِ[(١)(٢)]

(١) البدد: المتفرق. (هـ)

(٢) البيت من المنسرح، وهو لإبراهيم الصولي. انظر ديوانه في كتاب الطرائف الأدبية للشيخ عبدالعزيز الميمني ص ١٤٣، ومطلع القصيدة:

وصاحبٍ ماجد خلائقه ... لا يذخر المالَ خائفاً لغدِ
طليقِ وَجْهٍ جمٌّ المكارم في الـ ... ذروة والعز من بني أسدِ
نبهته للصباح محتجبٌ ... والليل واهي الأطناب والعَمَدِ

إلى أن قال:

فقام عن نعسةٍ تجاذبه ... يجر ذيلاً إليّ ذا أودِ
والليل يقظانُ والكواكبُ في الـ ... آفاق حيرى كاللؤلؤ البَدَدِ

وقريب منه قول النابغة الذبياني:

كِليني لهمٍّ يا أميمةُ ناصب ... وليل أعانيه بطيء الكواكب

وقول امرئ القيس:

فيالك من ليل كأن نجومه ... بكل مغار الفتل شُدَّت بيذبل

وقول البعيث:

تطاول هذا الليل حتى كأنه ... إذا ما مضى تُثْنى عليه أوائله

وقول خالد بن يزيد:

والليل وقف علينا ما يفارقنا ... كأنها كُلَّ وقت منه أوله

وقريب من هذا المضرب وشواهدِه ما سيأتي في المضرب رقم (١٢٦) وشواهده.

٣١- وإذا استبطأ صديقاً له وعاتبه على قعوده عنه أنشد:

وإني إذا أدعـــوك عنـــد ملمـــة كداعيـــة بـــين القبـــور نـــصيرها[1][2]

(١) البيت لإبراهيم بن العباس الصولي، كما في مجموعة المعاني ١٥١ والمحاضرات ١: ١٣٢. وقبله:

دعوتـك عـن بلـوى ألمـت ضرورة فأوقدت مـن ضـغن علـيَّ سـعيرها

(هـ)

وفي ديوان الصولي كما في الطرائف الأدبية ص ١٨٤:

فـــإنْ إذا أدعـــوك عنـــد ملمـــة كداعيـــة عنـــد القبـــور نـــصيرها

(٢) البيت من البحر الطويل، والمعنى أنني إذا استنجدت بك عند حدوث بلية لم أجد منك إلا التهاوت، وقلة الانبعاث إلى المساعفة، والإعانة، فكأنني -والحالة هذه- واقف أنـادي بـين القبور، ولكن لا حياة لمن أنادي.

وللصولي -أيضاً- أبيات كثيرة في هذا المعنى تملأ ديوانه، وأكثرها أو كلها في عتاب الكاتـب الكبير محمد بن عبدالملك الزيات الذي كان صديقاً للصولي، فتغـير عليـه لمـا تـولى المنـصب؛ فصبَّ عليه الصولي جام عتابه.

ومما قال الصولي في معنى المضرب، وفي عتاب محمد الزيات.:

أخ كنـت آوي منـه عنـد ادِّكـاره إلى ظـلِّ آبـاءٍ مـن العـز بـاذخِ

سعت نُـوَبُ الأيـام بينـي وبينـه فـأقلعن منـا عـن ظلـوم وصـارخِ

وإني وإعـدادي لـدهري محمـداً كملـتمسٍ إطفـاءَ جمـرٍ بنـافخ

وسيأتي في مضارب وشواهد أخرى نماذج من ذلك.

وقال ابن الرومي:

تخِـذتُكمُ ظَهْـراً وعونـاً لتـدفعوا نبـال العـدا عنـي فـصرتم نِـصالها

وقد كنت أرجو منكمُ خير صاحبٍ عـلى حـين خـذلان اليمـين شـمالها

فـإن أنـتمُ لم تحفظـوا المـودتي فكونـوا كفافـاً لا عليهـا ولا لهـا

قفوا موقف المعذور عنـي بمعـزلٍ وخلـوا نبـالي والعِـدا ونبالهـا

=

= وقال المقنع الكندي:

أراهم إلى نصري بطاءً وإن هُمُ دعوني إلى نصرٍ أتيتهم شدًّا

وعكس هذا المعنى قول الآخر:

أخوك الذي إن تَدْعُهُ لملمةٍ يُجِبْكَ وإن تغضبْ إلى السيف يَغْضَبِ

٣٢- وإذا ذم أخاً له في إساءته إلى إخوانه أنشد:

أصبح أعداؤه على ثقة　　منه وإخوانه على وجل[1]

---

(١) البيت من المنسرح، وهو للصولي، انظر التذكرة الحمدونية ٢/ ٥٥، وديوانه في الطرائف الأدبية للميمني ص١٦٢ في ثلاثة أبيات، وهي:

كان أخاً ثم عادَ لي أملاً　　فَبِتُّ بين الإخاء والأملِ

تصبح أعداؤه على ثقة　　منه وإخوانه على وجل

تذللاً للعدوُ عن ضعة　　وصولة بالصديق عن دخلِ

والمعنى أن هذا الأخ صار سلماً لأعدائه، حرباً على أوليائه وأقربائه.

ويعني بذلك -كما مر- الكاتب الكبير المشهور محمد بن عبدالملك الزيات.

وللصولي في هذا المعنى في الزيات -أيضاً-:

من يشتري مني إخاء محمدٍ　　بل من يريد إخاءه مَجَّانا

بل من يخلِّص من إخاء محمد　　وله مناهُ كائناً من كانا

وقريب منه قول علي بن مقرب معاتباً من كان يسيء إلى إخوانه:

ومن الخساسة أن تكون على العدا　　غيثاً وفي الأدنين ليثاً ألبدا

فاستبقِ قومَك للخطوب ولا تكن　　سيفاً عليهم بالهلاك مجردا

وقوله:

ولا تتوهمْ أن إكرامك العدا　　سخاءٌ ولا آن العزَّ ضيمُ الأقارب

لعمرك ما عز امرؤ ذل قومُه　　ولا جاد مَنْ يعطي عطيةَ راهب

ونحوه قول القائل:

لكل كريم من ألائم قومه　　على كل حال حاسدون وكُشَّحُ

الكشَّح: جمع كاشح، وهو الذي يضمر العداوة.

٣٣- وإذا شكا من جار له هجره أنشد:

دنـت بأنـاس عـن تنـاءٍ زيـارةٌ ... وشـط ببكـر عـن دنـو مزارُهـا

وإن مقـيماتٍ بمنقطـع الثـرى ... لأقـربُ مـن لـيلى وهاتيـك دارهـا[1][2]

---

(١) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، الوساطة ١٨٣ ومحاضرات الراغب ٢: ٣١. (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، ومعنى التّنائي: البعد.

يقول: إن أناساً بعيدين قربتهم الزيارة والصلة، وإن أناساً قريبين أبعدهم الهجر والقطيعة.

وهذان البيتان في ديوان الصولي في الطرائف الأدبية ص١٤٥ بلفظ:

دنـت بأنـاس عـن تنـاءٍ زيـارة ... وشـطّ بلـيلى عـن دنـوٍّ مَزارُهـا

وإن مقـيماتٍ بمنقطـع اللـوى ... لأقـربُ مـن لـيلى وهاتيـك دارهـا

ونحوه قول عبيد بن الأبرص:

قـد يُوْصَـل النـازحُ النـائيْ وقـد ... يُقْطَـع ذو الـسُّهْمةِ القريـبُ

وقريب منه قول ابن الدمينة:

علـى أن قـرب الـدار لـيس بنـافعٍ ... إذا كـان مـن تهـواه لـيس بـذي ودِّ

وقول الآخر:

لا تجعلـنْ قُـرْبَ داري ... مُحسَّـاً لنـصيبي

فـربَ شـخصٍ بعيـدٍ ... إلى الفـؤاد قريـبِ

وقول لبيد:

وإن هـوان الجـار للجـار مـؤلم ... وفـاقرةٌ تـأوي إليهـا الفـواقر

٣٤- وإذا تذكر أياماً مضت وكان يشكوها، وهو اليوم يتمناها أنشد:

سقيا ورعياً لأيام مضت سلفاً بكيت منها فصرت اليوم أبكيها

كذاك أيامنا لاشك نَنْدِبها إذا تقضَّت ونحن اليوم نشكوها[1][2]

(١) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي في مجموعة المعاني ١٠٢ . (هـ)

وهما -أيضاً- في ديوان الصولي كما في الطرائف الأدبية ص ١٥٢.

(٢) البيتان من البحر البسيط، وقريب منهما قول سعيد بن حميد:

لم أبكِ من زمن ذَمَمْتُ صروفَه إلا بكيت عليه حين يزول

ونحوه أن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا كان مسروراً قال:

ليت أيامنا ببرقة خاخٍ ولياليك يا طويل تعود

انظر عيون الأخبار ١/ ٢٦٤

ومنه قول القائل:

رب يومٍ بكيت فيه فلما صرت في غيره بكيت عليه

وقريب منه -أيضاً- قول ابن أبي عداوة:

عتبت على سَلْمٍ فلما فقدته وجرَّبت أقواماً بكيت على سَلْمِ

رجعت إليه بعد تجريب غيره فكان كَبُرْءٍ بعد طول من السَّقمِ

٣٥- وإذا عاتب أخاً له على هجره أنشد:

تلجين حتى يذهب الهجر بالهوى وحتى تكاد النفس عنك تطيب(١)(٢)

(١) اللجاجة: التمادي في الشيء وعدم الانصراف عنه، أراد تلجين في الهجر، وفعله من باب فرح وضرب.

وفي الأصل: «تلحين» تحريف، صوابه في ديوان ابن الدمينة ١٢.

وقصيدة البيت فيه طويلة جدا. (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، والمعنى أنك تواصلين الهجر، وتتمادين به، حتى يكاد الهوى يندرس، وتبلى معالمه، ولا يبقى في النفس شيء منه.

وقريب منه قول القائل:

يا ذا الذي ألفَ القطيعةَ دهرَه إن القطيعةَ موضعٌ للرِّيَبِ

إن كان ودُّك كامناً في نية فاطلب صديقاً عالماً بالغَيْبِ

وقريب من هذا المضرب ما جاء في المضرب رقم ٥٣.

٣٦- وإذا عوتب في خصلة أو بادرة بدرت منه أنشد:

ولست بِمُستبقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبُ[(١)(٢)]

---

(١) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ١٤، الشعث: الفساد، واللم: الإصلاح.

وكان حماد الرواية يقدم النابغة، فقيل له: بم تقدمه؟ فقال: باكتفائك بالبيت من شعره، بل بنصفه، بل بربعه، نحو:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

كل نصف يغنيك عن صاحبه، وقوله: «أي الرجال المهذب» ربع بيت يغنيك عن غيره. (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، والمعنى أنك لن تجد كاملاً مبرأ من كل عيب، فالخطأ طبيعة البشر، والكمال عزيز، والعاقل يقبل الناس على علاتهم؛ ويأخذ بالعفو، وما صفا من أخلاقهم.

ونحوه قول القائل:

ومن قلةِ الإنصاف أن تطلب الأخ الْـ مُهَذَّبَ في الدنيا ولست مهذبا

وقريب منه قول بشار:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

وقول الآخر:

البس أخاك على تَصَنُّعِهِ فَلَرُبَّ مفتضحٍ على النصِّ

ما ظَلْتُ أفحص عن أخي ثقةٍ إلا ذممت عواقب الفحصِ

٣٧- وإذا قيل له: قد أَسَنَّ فلانٌ وكَبِر أنشد:

لم ينتقص مني المشيبُ قُلامةً ... الآن حين بدا ألب وأكيس[(١)(٢)]

---

(١) أي أنا الآن أعظم لباً، وأكثر كيساً وفطانة. (هـ)

(٢) البيت من البحر الكامل، وهو لغيلان بن سلمة، كما في عيون الأخبار ٤/ ٢، والمعنى أن كبر سني لم ينل من عقلي شيئاً، بل هو بداية كمال الرشد، والكياسة.

وقريب منه قول الشاعر:

رأت ذا عصاً يمشي عليها وشيبةٍ ... تَقَنَّعَ منها رأسُه ما تقنّعا

فقلت لها: لا تهزئي بي فقلما ... يسود الفتى حتى يشيبَ ويصلعا

وقول المتنبي:

والمرء يأمل والحياة شهيةٌ ... والشيب أوقر والشبيبة أنزق

وقول عمرو بن زيد:

الشيب حلم راجح ورزانةٌ ... فيه وتجرِبة لمن قد جربا

وقول دعبل الخزاعي:

إن المشيب رداء الحلم والأدب ... كما الشباب رداء اللهو واللعب

وقول آخر:

وكان الشبابُ الغضّ لي فيه لذةٌ ... فوقرني عنها المشيبُ وأدبا

فسقياً ورعياً للشباب الذي مضى ... وأهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحبا

وقول آخر:

إذا طال عمر المرء من غير آفةٍ ... أفادت له الأيام في كرِّها عقلا

وعكسه:

إذا لم يكن مَرُّ السنين مترجماً ... عن الفضل في الإنسان سميته طفلاً

٣٨- وإذا فسد[١] عند أخ له صحةُ ودِّه إياه أنشد:

قــــل مــــا تــــشاء ليــؤتى ... ومــــا كرهـــت ليكــــره

فــــإن ذلــــك أولى ... بــــما تــــشاء وأشـــبه[٢][٣]

---

(١) في الأصل: «فرد». (هـ)

(٢) في الأصل: «بنا معا وأشبه». (هـ)

(٣) البيت من البحر المُجْتَثّ، والمعنى أن ودَّك أيها الأخ قد فسد؛ فتبعه ظنُّك.

ونحوه قول الشاعر:

كـــل امـــرئ يـــشبهه فِعْلُـــه ... مـــا يفعـــل المـــرءُ فهـــو أهلـــه

وقول أبي الطيب المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصـــدَّق مـــا يعتـــاده مـــن تـــوهُّم

وعـــادى محبيـــه بقـــول عُداتـــه ... وأصبح في ليـلٍ مـن الـشك مظلـم

وقريب من ذلك قول أسامة بن منقذ، وهو من أحسن من عبر عن هذا المعنى، وذلك بقوله:

صـــديقٌ لي تنكَّـــر بعـــد ودٌ ... وأمُّ الغـــدرِ في الـــدنيا ولـــود

وبعده:

أراه مَلالُـــه حـــسني قبيحـــاً ... فـــصدَّ وأيـــسرُ الغـــدر الـــصدود

وذمَّ اليـــومَ مـــا حَمِدَتْـــهُ منـــي ... تجارِبُـــهُ وأَمْـــسِ بـــهِ شـــهيدُ

ولـــست ألومـــه فـــيما أتـــاه ... أســـاء فرابَـــهُ الفعـــلُ الحميـــدُ

وقـــد يجـــد المـــريضُ المـــاءَ مُـــرّاً ... بِفيـــهِ وهـــو سلـــسال بَـــرودُ

٣٩- وإذا مات له ولد أنشد:

كَلَّ لساني عن وصف ما أجد ... وذقت ثُكلاً ما ذاقه أحد

ما عالج الحزن والحرارة في الـ ... أحشاء من لم يمت له ولد(١)

---

(١) البيت من البحر المنسرح، وهو لأبي عبدالرحمن العتبي كما في الكامل ٤/ ٢١، والمعنى أن لساني عاجزٌ عن وصف ما يعتلج في قلبي مما ذقته من لوعة الفقد.

ولم يعان أحدٌ من الحرارة، والهم الذي يأكل الحشا ما عاناه من بُلي بفقد ولده.

وقد وُلِدَ لهذا الشاعر ستة أولاد كلهم ماتوا في حياته، وفيهم قال:

وكنتُ أبا ستة كالبدور ... فَقَدْ فقأوا أعين الحاسدينا

فمروا على حادثات الزمان ... كَمرِّ الدراهم بالناقدينا

وحسبك من حادثٍ بامرئٍ ... يرى حاسديه له راحمينا

وينسب البيتان لإبراهيم الصولي كما في ديوانه في الطرائف الأدبية للشيخ عبدالعزيز الميمني ص١٧٥، ضمن أبيات أربعة قالها الصولي في تقارب موت ابنيه، والبيتان الباقيان:

فُجِعْت بابنيَّ ليس بينهما ... إلا ليالٍ ما بينها عَدَدُ

وكلُّ حُزنٍ يبلى على قِدَم الدهرِ وحزني يُجِدُّه الكمدُ

وقريب منه ما قاله ابن الرومي في رثاء ابنه محمد:

أُلام لما أبدي عليك من الأسى ... وإني لأخفي منه أضعاف ما أبدي

والقصيدة كلها تدور حول هذا المعنى، ولا تكاد قصيدة تعبر عن معنى فقد الولد كما عبرت عنه قصيدة ابن الرومي في ابنه محمد.

وقريب منها مرثية أبي الحسن التهامي في ابنه:

حكم المنية في البرية جاري ... ما هذه الدنيا بدار قرارِ

وبيت القصيد فيها قوله:

جاورت أعدائي وجاور ربَّه ... شتان بين جواره وجواري

=

= ومن أصدق ما قيل في مرثية الولد قول الضبي:

دعوتـك يـا بنـي فلـم تجبنـي ... فَـرُدَّتْ دعـوتي بأسـىً عَلَيّـا

بموتـك ماتـت اللـذات عنـي ... وكانـت حيـةً إذ كنـت حيـا

فيـا أسـفي عليـك وطـول شـوقي ... إليـك لـو آن ذلـك ردَّ شَـيًّا

٤٠- وإذا حث إنساناً على الإحسان وخَوفَّه صروف الدهر أنشد:

بيننا حرمة وعهد وثيق … وعلى بعضنا لبعض حقوق
فاغتنم لذة الحفاظ فما يدري مطيق لها متى لا يطيق[1]

(١) البيتان من البحر الخفيف، وهما للبحتري. انظر ديوانه ٣/ ١٥٢٤ إلا أن البيت الثاني ورد:

فاغتنم فرصة الزمان فما يد … ري.............................

ومعنى البيت واضح وهو أن الشاعر يقول لممدوحه صاعد: إن بيننا مودة وثيقة العرى، وعلى كل واحد منه حق لصاحبه؛ فينبغي لكل مَنْ قَدِر على نفع غيره أن يبادر؛ لأنه ربما أراد ذلك في مستقبل الأيام فلا يستطيع.

وقريب منهما قول الأول:

فإنك لا تدري إذا جاء سائل … أأنت بما تعطيه أم هو أسعد
عسى سائل ذو حاجة إن منعته … من اليوم سؤلاً أن يكون له حمد

وقول الآخر:

أحسن وأنت معانٌ … يا أيها الإنسان
إن الأيادي قروض … كما تدين تدان

وقول الآخر:

ليس في كل وهلةٍ وأوانٍ … تتهيا صنائعُ الإحسان
فإذا أمكنت فبادر إليها … حذراً من تَعَذُّرِ الإمكان

وقول أبي دُلَف:

إذا جادت الدنيا عليك فَجُد بها … وبادر بها من قبل أن تتفلتِ
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت … ولا الشح يبقيها إذا هي ولَّتِ

وقول الشافعي:

إذا لم تجودوا والأمور بكم تمضي … وقد ملكت أيديكم البسط والقبضا
فماذا يرجَّى منكمُ إن عزلتموا … وعضَّتكم الدنيا بأنيابها عضا

٤١- وإذا رأى خليلاً له قد حفت به أرباب الحاجات وكان أمره في الأول أقرب، أنشد:

حياك من لم تكن ترجى تحيته ... لولا الحوائج ما حياك إنسان(١)

(١) البيت من البحر البسيط، ومعناه أن حوائج الناس إليك دعتهم إلى إجلالك، ولولا تلك الحاجات ما نلت عندهم تلك الحظوة.

وفي ذلك حث على الإقبال على أرباب الحاجات، وعَتْبٌ على من تتغير حاله إذا نال مالاً، أو جاهاً.

ونحوه قول الشافعي:

الناس بالناس ما دام الحياة بهم ... والسعد لا شك تارات وهَبَّات

وأفضل الناس ما بين الورى رجل ... تُقْضى على يده للناس حاجات

لا تمنعن يد المعروف من أحد ... ما دمت مقتدراً فالسعد تارات

واشكر فضائل صنع الله إذ جعلت ... إليك لا لك عند الناس حاجات

وقريب منه قول أسامة بن منقذ:

عسى من يُرَجِّي سيبَك اليوم يغتني ... فتصبح ممن ترتجي سَيْبَه غدا

والسيب: العطاء.

ونحوه قول إبراهيم بن العباس الصولي يعاتب محمد بن عبدالملك الزيات وقد تغير عليه لما وَزَرَ:

وكنت أخي بإخاء الزمانِ ... فلما نبا صِرتَ حرباً عوانا

وكنت أذم إليك الزمانَ ... فأصبحت فيك أذُمُّ الزمانا

وكنت أعدُّك للنائبات ... فها أنا أطلب منك الأمانا

وهذا المضرب قريب من المضرب السابق رقم ٤٠

٤٢- وإذا رأى أحداً غضب من أمر، ولم ينفعه غضبه أنشد:

غضبت تميمٌ أن تُقَتَّلَ عامرٌ يومَ النسارِ فأعتبوا بالصيلم[(١)(٢)]

---

(١) لبشر بن أبي خازم الأسدي في المفضليات ٢ : ١٤٦ واللسان (عتب، صلم).

والنسار: أَجْبُل متجاورة كان عندها ذلك اليوم، وكانت ضبة حالفت بني أسد على بني تميم، وكان معهم في الحلف طيء وعدي، وقد تحالفوا على أن يقاتلوا العرب ثلاث سنين، وأرسلت تميم إلى بني عامر بالبار فخالفوهم، فقالت بنو أسد لضبة: بادروا بني عامر بالنسار قبل أن تصير إليهم بنو تميم، ففعلوا فقتلوا منهم مقتلة عظيمة.

انظر النقائض ٢٣٨ _ ٢٤٥، ١٠٦٤ _١٠٦٧ والعقد وكامل ابن الأثير والعمدة.

أعتبوا: عبارة تهكم، والإعتاب: الإرضاء، ويروى: «فأعقبوا» أي كانت عاقبتهم الصيلم، وهي الداهية. (هـ)

(٢) البيت من البحر الكامل، وقريب منه قول القائل:

لا تجزعنَّ على ما فات مطلبه وإن جزعت فماذا ينفع الجزعُ

إن السعادة يأس إن ظفرت به فدونك اليأسَ إن الشقوة الطمع

وقريب منه ما في المضرب رقم ٢٦

٤٣- وإذا رأى السلطان عزم على الغزو ونهض إلى العدو أنشد:

يومان يوم مقامات وأندية ... ويوم سير إلى الأعدا وتأويب[(١)(٢)]

---

(١) البيت لسلامة بن جندل السعدي في ديوانه ص ٨ والمفضليات ١ : ١١٨. المقامات: جمع مقامة: وهي المجلس، وبالضم: جمع مقامة بمعنى الإقامة.

والأندية: الأفنية: جمع نديٍّ والنديِّ والنادي سواء، يريد بيوم المقامات والأندية مواقف الخطابة والمفاخرة ونحوها.

والتأويب: سير يوم إلى الليل، أو الإمعان في السير الشديد، وكذا وردت الرواية في الأصل وفي الديوان والمفضليات : «إلى الأعداء تأويب» . (هـ)

(٢) البيت من البحر البسيط، وقريب منه قول ابن الرومي:

كذاك يومان يومٌ سيبُه دِيَمٌ ... على العُفاة ويومٌ سيبه دامِ

والسيب: العطاء، والديم: جمع ديمة وهي المطر الدائم، كناية عن العطاء، وقوله دامٍ: أي ذا دمٍ؛ كناية عن القتل والحرب.

وقول ابن هَرْمَة:

كريم له وجهانِ وجهٌ لدى الرضا ... أسيلٌ ووجهٌ في الكريهة باسل

وقول الآخر:

له يومُ بؤسٍ فيه للناس أبؤس ... ويوم نعيم فيه للناس أنعم

وقول محمد بن وهيب:

قَسَمْتَ صروفَ الدهر بأساً ونائلاً ... فمالُك موتور وسيفك واتر

وقول محمد بن بشير الأزدي:

فتى دهره شطران فيما ينوبه ... ففي بأسه شطر وفي جوده شطر

فلا من بغاء الخير في عينه قذىً ... ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

=

= وقول عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

شطران يومك للندى بعضٌ ... والمكرماتِ وللردى بعضُ

ونحوه قول مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة:

تشابه يوماه علينا فأشكلا ... فما نحن ندري أي يوميه أفضلُ

أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه ... وما منهما إلا أغرٌّ مُحَجَّلُ

وقريب منه قول الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... عن النساء ولو باتت بأطهار

وقريب منه قول الحطيئة يمدح سعيد بن العاص:

إذا همَّ بالأعداء لم تثن عزمه ... كعابٌ عليها لؤلؤ وشنوف

حصانٌ لها في البيت زِيٌّ وبهجة ... ومشيٌ كما تمشي القطاة قطوف

والشنوف: مفردها الشنف، وهو القرط الأعلى.

والحصان: العفيفة.

وقوله: كما تمشي القطاة قطوف: يعني أنها قليلة المشي، مقاربة الخطو، ليست كمن اعتادت السير.

والمعنى: أن الممدوح إذا أراد الغزو؛ فنهته امرأته الموصوفة بالحسن، والجمال، والعفة، والرزانة ـ مضى إلى سبيله، ولم يلتفت إلى نهيها.

٤٤- وإذا رأى أمراً معضلاً وصبر عليه وعوتب في ذلك أنشد:

ومِنْ خير ما فينا من الأمر أننا ... متى نلقَ يوماً موطن الصبر نصبرِ(١)

(١) البيت من البحر الطويل، وهو لنافع بن خليفة الغنوي كما في الأغاني ١٥/ ٢٣٩.
والمعنى: أن من خير صفاتنا أننا قومٌ صُبُرٌ عند اللقاء.
وقريب منه قول القائل:

صبرت سليمٌ للطِّعان وعامرٌ ... وإذا جزعنا لم نجد من يصبرُ
نحن الذين إذا عُلوا لم يضجروا ... يوم اللقا وإذا عَلَوا لم يفخروا

وقول عنترة:

وصبرت عارفة لذلك حرة ... ترسو إذا نفس الجبان تطلّعُ

وقول عبدالعزيز بن زرارة الكُلابي:

كُلاًّ بلوتُ فلا النعماء تبطرني ... ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الهول قلبي قبل وقعته ... ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا

٤٥- وإذا قال له أخ إنه اشتاق له اشتياقاً شديداً أنشد :

فلما تواقفنا عرفت الذي به كمثل الذي بي حَذْوَكَ النَّعلِ بالنعل[(١)(٢)]

---

(١) البيت من قصيدة هي من عيون شعر جميل في أمالي القالي ٢ : ٧٤ .

والرواية «الذي بها» كما في الأمالي ومحاضرات الراغب ١ : ٤٥ فقد يكون ابن فارس أبدل الإنشاد ليوافق الاستشهاد، أو هو تحريف ناسخ. (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، وينسب لعمر بن أبي ربيعة كما في عيون الأخبار ١/ ١٧،

وقريب منه قول القائل:

إذا وصف الناس أشواقهم فشوقي لذاتك لا يوصف

وكيف أعبِّر عن حالةٍ ضميرك مني بها أعرف

وقول آخر:

لست عن ودِّ صديقي سائلاً غير قلبي فهو يدري ودَّه

فكما أعلم ما عندي له فكذا أعلم ما لي عنده

وقول الشريف المرتضى:

إذا صاحبي أضحى وبي مثل ما به غداة تلاقينا أطلنا التشاكيا

وقول الخراط:

لا تسألن عن الصديـ ـق وسلْ فؤادك عن فؤاده

٤٦- وإذا مر بأطلال خلت من سكانها وعفت وبقي أثرها أنشد:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد[(١)(٢)]

---

(١) البيت هو مطلع معلقة طرفة بن العبد. (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، ومما هو من ذلك المعنى -وقد كَثُر توارد الشعراء عليه- قول لبيد ﷺ في مطلع معلقته:

عَفَتِ الديارُ مَحَلُّها فَمُقامُها بمنىً تأبَّدَ غولُها فرجامُها

وقول عبيد بن الأبرص:

أقفر من أهله ملحوبُ فالقُطَّبيات فالذَّنوب

وقول الأعشى:

ما بكاءُ الكبير بالأطلال وسؤالي وهل يردُّ سؤالي

٤٧- وإذا حضر مجلساً لمناظرة وسئل عن حاله فيه بعده أنشد:

ولو شهدت أم القديد طعاننا بمرعش خيل الأرمنيِّ أَرَنَّتِ[(١)(٢)]

(١) لسيار بن قصير الطائي في ديوان الحماسة ١ : ٤٥ .
أم القديد: قيل هي امرأته.
ومرعش: مدينة بين الشام والروم .
والأرمني: منسوب إلى أرمينية .
أرنت: أعْوَلتْ وصاحت . (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، ونحوه قول شُبَّةَ بن عِقال بِعَقِبِ خطبته عند سليمان بن علي ابن عبدالله بن عباس:

ألا ليت أمَّ الجهم والله سامعٌ ترى حيث كانت بالعراق مقامي

عَشيةَ بَذَّ الناسَ جهريْ ومنطقي وبذَّ كلامَ الناطقين كلامي

انظر البيان والتبيين ١/ ١٢٧

وقول زرارة بن جَزْء:

فقلت له قولاً أصاب فؤاده وبعض كلام الناطقين غرور

وقول ذو الرمة:

فصلت بحكمة فأصبتُ منها فُصوصَ الحقِّ فانفصل انفصالا

وقريب منه قول لبيد:

ولقد حميتُ الحيَّ تحمل شِكَّتي فَرْطٌ وشاحي إذ غدوت لجامُها

وقول لبيد -أيضاً-:

ومقامٍ ضَيِّقٍ فرَّجْتُهُ بلساني ومقالي وجدل

وقريب منه ما في المضرب رقم ١٢٢ .

٤٨- وإذا قيل له: رأيناك أعرضتَ عن فلان إعراضَ مسالمةٍ أنشد:

ولقد أجمع رجلي بها حذر الموت وإني لفرور[(١)(٢)]

---

(١) لعمرو بن معد يكرب في الحماسة ١ : ٥٢ وأمالي القالي ٣ : ١٤٧ .

وأجمع رجلي بها: أي بالفرس، أضمها عليها استدرارا للجري.

لفرور: المعنى أنه يفر إذا كان في الفرار الحزم . وبعده :

ولقد أعطفها كارهة حين للنفس من الموت هرير

(هـ)

وبعده:

كل ما ذلك مني خلق وبكل أنا بالروع جدير

وهذه الأبيات من أجمل ما قيل في وصف الإنسان نفسه في المعركة.

قال أبو هلال العسكري رحمه الله تعليقاً على هذه الأبيات: «فقال: (وإني لفرور).

وقال بعض أهل الأدب: إنما هو لقرور بالقاف؛ لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار لا سيما باللفظ البليغ من فرور.

وليس كذلك؛ لأن قوله: كل ما ذلك مني خلق.

والحال الأخرى حال الفرار إذا كان ذلك أحزم، ولو ذكرنا حالة واحدة لم يحسن أن يقول: كل ما ذلك مني خلق.

وإنما دل على أصالته، وعقله في ثباته وقتَ الثبات، وفراره ساعة الفرار.

وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نَفْسَه إنما ذلك هوج، والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر.

فأما إذا علم أنه إذا أقدم هلك، ثم أقدم - فإن ذلك جنون؛ لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة، فيهلك.

وإنما الشأن في أن يحمد غِبَّ إقدامه» كتاب ديوان المعاني ١/ ٢٧٠

(٢) البيت من بحر الرمل، ونحوه قول زهير بن أبي سلمى:

عبأت له حلمي وأكرمت غيره وأعرضت عنه وهو بادٍ مقاتله

=

= وقريب منه قول أحد الشعراء في معنى الإعراض:

إني لأعرض عن أشياء أسمعها حتى يقول رجالٌ إن بي حمقا
أخشى جواب سفيه لا خلاق له فَسْلٍ وظنَّ أناسٍ أنه صدقا

وقول آخر:

لقد أسمع القول الذي كاد كلما تُذَكِّرُنِيهِ النفسُ قلبيَ يصدع
فأبدي لمن أبداه مني بشاشةً كأنيَ مسرورٌ بما منه أسمع
وما ذاك من عُجْبٍ به غير أنني أرى أن ترك الشرِّ للشر أقطع

وقول ابن نباتة:

والصفح لا يحسن عن محسن وإنما يحسن عن جاني

٤٩ - وإذا استشير في أمر ذي لبس أيقدم عليه أم يحجم عنه أنشد:

مكانــك حتــى تنظـري عـم تـنجلي ... عمايــة هــذا العــارض المتــألق[١]

---

(١) البيت من البحر الطويل، وهو لرجل من بني أسد يوم اليمامة. انظر الحماسة ١/ ١٣٩، ومعناه: تريثي يا نفس حتى تتفكري في عواقب الأمور.

وقريب منه قول دعامة بن جسر الطائي:

لا تَقْطَعَــنَّ دعامــةٌ في مجلــس ... لا تـستطيع إذا مـضت إدراكهـا

قِسْ كلَّ أمرِك قبل جهرك بـالتي ... فاتــت ولمـا تَـسْتَطِعْ إمـساكَها

وقول صالح بن عبدالقدوس:

ومن الرجال إذا زكت أحلامهم ... من يستشار إذا استشير فيطـرقُ

حتــى يجــول بكــل وادٍ قلبُــه ... فيرى ويعرف مـا يقـول وينطـق

إن الحلــيم إذا تفكَّــر لم يكــن ... يَخْفَى عليه مـن الأمـورِ الأوفـقُ

وكذلك مما يذكر أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سئل عن مسألة، فدخَلَ مبادراً، ثم خرج في حذاء ورداء، وهو يتبسّم، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إنك كنت إذا سُئِلْت عن مسألة كنت فيها كالسُّكة المُحْماة! فقال: إني كنتُ حاقناً ولا رَأْيَ لحاقن، ثم أنشأ يقول:

إذا المــشكلاتُ تــصدَّيْن لي ... كــشفتُ حقائِقَهــا بــالنَّظَرْ

وإن برقَــتْ في مخيــل الــصوا ... ب عَمْيَــاءُ لا تجتليهــا الــذِّكر

مقنعــةً بــأمور الغيــوب ... وضـعت عليهـا صَـحيحَ الفِكَـرْ

لــساناً كشقــشقة الأرحبــيِّ أو كالحــسام الــيمانِي الــذَّكَرْ

وقلبــاً إذا اســتنطقته العيــون ... أمــر عليهــا بــواهي الــدرر

ولــستُ بإمّعــة في الرّجــال ... أُســائل عــن ذَا وذَا مــا الخــبرْ

ولكننــي ذَرِبُ الأصــغرَيْن ... أبــيِّن مَــعْ مــا مــضى مــا غــبر

٥٠- وإذا أكثر من ذكر أخ له غائب وقيل له في ذلك أنشد:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثَّلُ لِيْ ليلى بكل سبيل(١)(٢)

(١) لكثير عزة، أمالي القالي ٣ : ١١٩، والوساطة ١٦٠، ١٧٠ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٥ وديوان المعاني ١ : ٢٧٤ . (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، وقريب منه قول أحدهم:

ساكنٌ في القلب يعمره ... لست أنساه فأذكره

ونحوه:

اذكر أخانا تولى الله صحبته ... إني وإن كنت لا ألقاه ألقاه

الله يعلم أني لست أذكره ... وكيف يذكره من ليس ينساه

وقول بعض المولدين:

خطرات ذكرك تستثير مودتي ... فأحس منها في الفؤاد دبيبا

لا عضوَ لي إلا وفيه صبابة ... وكأن أعضائي خلقن قلوبا

قال عنه الثعالبي: «مما لا يزيد على حسنه» أحسن ما سمعت ص٣٨.

ونحوه قول ابن طباطبا العلوي:

نفسي الفداء لغائب عن ناظري ... ومحلُّه في القلب دون حجابه

لولا تمتع ناظري بلقائه ... لوهبته لمبشري بلقائه

وقول البارودي في رثاء زوجته:

فإذا انتبهت فأنتِ أول ذُكرتي ... وإذا أويت فأنتِ آخر زادي

وقول بعضهم:

أنتم وإن بَعُدت عنا منازلكم ... نوازلٌ بين أسراري وتذكاري

فإن تكلمت لم ألفظ بغيركم ... وإن سكتُّ فأنتم عقد إضماري

٥١ - وإذا قال له صديق: تناسيتني كأنك لم تعرفني أنشد:

تسلت عماياتُ الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هواها بمنسلي(١)(٢)

---

(١) لامرئ القيس في معلقته، وفي البيت قلب، أي: تسلت الرجال عن عمايات الصبا وجهالاته وظلماته، ويقال انسلى انسلاء: زال حبه من قلبه، أو زال حزنه. (هـ)

(٢) البيت من البحر الطويل، وقريب منه قول ذي الرمة:

إذا غَيَّرَ النأيُ المحبين لم يكد رسيسُ الهوى من حب ميَّة يبرح

وقول آخر:

أغيب عنكم بودٍّ لا يغيِّره طولُ البعادِ ولا ضربٌ من المللِ

وقول العرجي:

لا يحول الفؤادُ عنك بودٍّ أبداً أو يحول لونُ الغراب

وقول البارودي:

لا تحسبيني مِلْت عنك مع الهوى تالله ما تَرْكُ الوفاء بِعَادي

قوله: بعادي: أي بعادتي.

٥٢- وإذا حضر رئيس من الرؤساء وأراد مدحه أنشد:

لو نال حي من الدنيا بمكرمة ... أفق السماء لنالت كفه الأفقا[(١)(٢)]

---

(١) البيت لزهير في مدح هرم بن سنان، ديوانه ٥٥ . (هـ)

(٢) البيت من البحر البسيط، ونحوه قول زهير في مدح هرم بن سنان:

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

وقوله ـ أيضاً ـ:

هنالك إن يَستخلبوا المالَ يُخلَبوا ... وإن يُسألوا يعطوا وإن يُيسروا يغلوا

على مكثريهم حق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذلُ

قال عبدالملك بن مروان: «والله ما يبالي من مدح بهذين البيتين ألا يمدح بغيرهما».

وقول الأعشى:

ألم ترَ أن العزَّ ألقى برحله ... إلى الغُرِّ من أولاد بكر بن عامر

وقوله في مدح هوذةَ بن علي الحنفي ـوهو من أحسن المدحـ:

أغرُّ أبلجُ يستسقى الغمام به ... لو صارع الناس في أحلامهم صرعا

قد حمَّلوه فتيَّ السنِّ ما حملت ... ساداتُهم فأطاقا الحِمْلَ واضطلعا

وجَرَّبوه فما زادت تجاربهم ... أبا قدامة إلا الحزمَ والفنعا

من يَرَ هُوذةَ أو يَحْلِلْ بساحته ... يَكُنْ هوذةَ فيما نابَه تبعا

ومعنى الفنع: الفضل.

وكل واحد من هذه الأبيات يقول: أنا أحسن وأولى من صاحبي.

وقول الخنساء في أخيها صخر ـوقيل أمدح بيتـ:

أغرُّ أبلج تأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

واعترض ابن الرومي قولها فقال:

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه ... من نسل شيبان بين الطَّلح والسلم

كأنه الشمس في البرج المنيف له ... على البرية لا نارٌ ولا عَلَمُ

=

= وقول أبي تمام:

لـو أن إجماعنـا في فـضل سـؤدده ... في الـدين لم يختلـف في الملـة اثنـان

وقول علي بن جَبَلة في أبي دلف:

إنـــما الـــدنيا أبـــو دُلَـــفٍ ... بـــين مبـــداه ومحتـــضرِهْ

فـــإذا ولَّى أبـــو دُلَـــفٍ ... ولـــتِ الـــدنيا عـــلى أثـــره

قال عنه أبو هلال: «قالوا أمدح بيت قاله مُحْدَث قول علي بن جبلة المعروف بالعَكَوَّك في أبي دلف».

وقول أعرابي في خالد القسري:

تبرعـت لي بـالجود حتـى نعـشتني ... وأعطيتنـي حتـى حـسبتك تلعـب

فأنت الندى وابن الندى وأبو الندى ... حليف الندى ما للندى عنك مـذهب

وقريب من هذا المضرب ما جاء في المضرب رقم ٦٥

٥٣- وإذا عاتب أخاً له على هجرانه إياه أنشد:

طوى البين أسباب الوصال بكنهك أسباب الهوى أن تُخَذَّما[1][2]

وينشد -أيضاً- في مثل ذلك:

وكان يزورني منه خيال فلما أن جفا منع الخيالا[3]

---

(١) التخذيم: التقطيع، وفي الأصل: «تخدما» تحريف. (هـ)

(٢) البيت لجرير (انظر ديوانه ص ٤١٠)، وهو من الطويل، والمعنى أن البعد والفراق قطعا أسباب الصلة بيني وبينك.

وفي الديوان:

بِكنْهِلَ أسبابُ الهوى أن تَجَذَّما

وكنهل: موضع من ديار تميم.

ونحوه قول الشاعر:

ولا يلبث الهجران أن يقطع النوى إذا لم تطالع آلفاً أو يطالع

وقول أبي فراس:

قل لإخواننا الجفاة رويداً إذ رجونا إلى احتمال الملال

إن ذاك الصدود من غير جرم لم يدع فيَّ موضعاً للوصال

وقول العمراني:

يا صاحبي والهجر شرُّ بلية ما دام في قوسِ المحبةِ مَنزعُ

وقول القائل:

إني ليهجرني الصديق تجنباً فأريه أن لهجره أسبابا

وأخاف إن عاتبته أغريته فأرى له ترك العتاب عتابا

(٣) البيت من الوافر، وهو للوأواء الدمشقي (انظر ديوانه ١/ ٢٦٢).

يقول: وكان طيف ذلك الأخ يتراءى لي في منامي، أو في خاطري؛ فلما تجافى عني لم أعُدْ أرى ذلك الطيف.

٥٤- وإذا رأى رجلاً يثني على أخيه، ويحضر له محضراً جميلاً أنشد:

قــوم لهــم عرفــت مَعَــدٌّ بفــضلها   والحـــق يعرفـــه ذوو الألبـــاب[(١)(٢)]

(١) البيت للبيد بن ربيعة، وهو آخر ديوانه المطبوع في فينا سنة ١٨٨٠، والرواية فيه: «عرفت معد فضلها». (هـ)

(٢) من الكامل، وقريب منه قول القائل:

وما عبَّر الإنسان عن فـضل نفـسه   بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضـل

وقول الآخر:

إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه

وقولي شوقي:

ولـــيس بالفاضـــل في نفـــسه   مـــن ينكـــر الفـــضل عـــلى ربـــه

٥٥- وإذا قيل له: قد أقررت لمناظرك أنشد:

أحس بالفضل في غيري فأنكره ... ما ينكر الفضل إلا كل منقوص[1]

(١) البيت من البسيط، ومعناه: أنه لا ينبغي لي أن أنكر فضل الفاضل وأنا أراه رأي العين؛ فَإنْ أنا فعلت ذلك دخلت في قبيل أهل النقص الذين يبخسون الناس أشياءهم.

ولا ريب أن الاعتراف بالفضل لأهله ضرب من ضروب العدل والإنصاف، ودليل على زكاء السيرة، ونقاء السريرة.

وقريب منه قول القائل:

وليس من الإنصاف أن يدفع الفتى ... يَدَ النقصِ عنه بانتقاص الأفاضل

وقول لسان الدين بن الخطيب:

لا ينكر الفضل لِلأكه ... إلا امرؤ غطّى عليه الحسدْ

وقول بديع الزمان الهمذاني:

وهل يجحد الشمسَ إلا العميُّ ... وهل يعرف الفضل إلا ذووه

وقول البارودي:

من أين يدري الفضلَ معدومُه ... لا يعرف المعروف إلا ذووه

وهذا المضرب قريب مما قبله، ومما بعده، وشواهد هذه المضارب قريبة من بعض.

٥٦- وإذا رأى رجلاً ينتقص فاضلاً أنشد:

ما ضر تغلب وائل أهجوتها ... أم بُلْتُ حيثُ تناطح البحران[1][2]

---

(١) البيت من قصيدة للفرزدق في ديوانه ٨٨٢ يذكر فيها تفضيل الأخطل إياه، مادحاً في ذلك بني تغلب، ويهجو جريراً، وقبل البيت وهو مطلع القصيدة:

يا ابن المراغة، والهجاء إذا التقت ... أعناقه وتماحك الخصمان

وتغلب ابنة وائل هم قوم الأخطل، تناطح البحران: تقابلا.

انظر الحيوان ١: ١٣، والبيان ٣: ٢٤٨، والخزانة ٢: ٥٠١. (هـ)

(٢) من الكامل، ومعنى البيت أنك إذا ذممت الفاضل فإنك لا تضر إلا نفسك.

وقريب منه قول الفرزدق:

ما يضير البحرَ أمسى زاخراً ... أن رمى فيه غلام بحجر

وقول حسان رضي الله عنه:

ما أبالي أنبَّ بالحَزْن تيسٌ ... أم لحاني بظهر غيبٍ لئيم

معنى: نَبَّ التيس: إذا صاح عند الهياج، والحَزْن: ما غلظ من الأرض، ولحاني: شتمني.

وقال -أيضاً- ولعل الفرزدق أخذه منه:

خُبِّرت أن طويلباً يغتابنا ... بعضيهة يَتَنَحَّل الأقوالا

ما ضر سادةَ نهشلٍ أهجوتها ... أم قام في عُرْضِ الخَوي فبالا

العضيهة: الإفك، والبهتان، والنميمة، وَيَتَنَحَّل: يدَّعي، والخَوي: السهل من الأرض.

ونحوه قول القائل:

إذا الكلب لا يؤذيك إلا نباحُه ... فدعه إلى يوم القيامة ينبح

وقال أبو تمام:

لقد آنفَ الأعداءَ مجدُ ابنِ يوسف ... وذو النقص في الدنيا بذي الفضل مُوْلَعُ

وقال الطِّرِمَّاح:

لقد زادني حباً لنفسيَ أنني ... بغيضٌ إلى كل امرئٍ غيرِ طائل

وأني شقيٌّ باللئام ولا ترى ... شقياً بهم إلا كريمَ الشمائل

٥٧- وإذا أقصاه رئيس بعد إنابته[1] أنشد:

يا أفضل الناس إني كنت في نَهَرٍ ... أصبحت منه كمثل المفرد الصادي[2]

(١) كذا وردت هذه الكلمة مهملة الحرف الذي بعد الألف الثانية .(هـ)

(٢) البيت من البسيط، وهو لحسان بن ثابت رضي الله عنه في رثاء رسول الله ﷺ (انظر ديوانه ص٦٧)، ومعناه: أنني يا خير البرية كنت في ظل بركتك في عيش ناعم، وريٍّ كامل، وبعد موتك صرت كالمبعد العطشان.

ويصلح شاهداً للمضرب قولُ أبي الفتح البستي:

عزلت ولم أذنب ولم أك جافياً ... وهذا لإنصاف الأمير خلافُ

حُذِفْتُ وغيري مُثْبَتٌ في مكانه ... كأنِّيَ نونُ الجمع حين تضاف

وقوله:

ذَهَبْتُ فى نصرة أيامكم ... بالعزلِ والعزلُ أخو الأَزْلِ

أُدرجت فى أثناء نسيانكم ... حتى كأني ألفُ الوصل

والأزل: الضيق والشدة.

وقول بشار في يزيد بن منصور حين قطع وظيفته:

أبا خالدٍ ما زلت سابحَ غمرةٍ ... صغيراً فلما شبتُ خَيَّمْتُ بالشاطي

جريْت زماناً سابقاً ثم لم تزل ... تأخر حتى جئت تطوي على القاطي

كَسَنَّور عبدالله بيع بدرهم ... صغيراً فلما شبَّ بيع بقيراط

ولهذا قيل: من تاه في ولاية ذل في عزله، ومنه قول يحيى بن زيادة:

لا تغبطن وزيراً للملوك وإن ... أنالَه الدهرُ منهم فوق قيمته

واعلم بأن له يوماً تمور به الـ ... أرض الوقور كما مالت لهيبته

وقال أحد الشعراء:

ما مسني سقم ولكنني ... جفوت نفسي إذ جفاني الأمير

وقيل: إن العزل حيض العمال، قال أحدهم:

وقالوا: العزل للعمال حيضٌ ... لحاه الله من حيض بغيضِ

فإن يك هكذا فأبو عليٍّ ... من اللائي يئسن من المحيضِ

٥٨- وإذا كلفه امرؤٌ شيئاً لم يكن عنده بالمرضيِّ أنشد:

لم أكــن مــن جُناتهــا علــم الله وإني بِحَرِّهــا اليــوم صــالي[1][2]

---

(١) البيت للحارث بن عباد، قاله في يوم قضة.

انظر العقد والخزانة ١ : ٣٠٣ وأمالي القالي ٣ : ٢٦ والأغاني ٤ : ١٤٤ . (هـ)

(٢) البيت من الخفيف، وقريب من معناه قول القائل:

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم فكــأنني ســبابة المتنــدم

وقريب منه ما في المضرب رقم ٦٩

٥٩- وإذا رأى أمراً فظيعاً تقضَّى، ثم تجدد مثله أنشد:

إذا هبٌ من جانب باخ شرُّه ... ذكا هبٌ من جانب فتضرما[(١)(٢)]

(١) باخ: سكن وفتر. (هـ)

(٢) البيت لنهشل بن حَرِّي، وهو من الطويل، ومعنى البيت: أنه إذا سكن الشر، وفترت المصيبة من جهة تجددت من جهة أخرى.

وقريب منه قول سويد بن أبي كاهل:

وإذا ما قلت ليل قد مضى ... عطف الأول منه فرجع

وقول البعيث:

تطاول هذا الليل حتى كأنه ... إذا ما مضى تثنى عليه أوائله

وقول عدي بن الرقاع:

أرعى النجوم إذا تغيَّب كوكب ... أبصرتُ آخرَ كالسراج يجول

وقول العمراني:

فإذا تعافى موضعٌ لم ألتفت ... إلا وقد ورث الشكاية موضعُ

وقريب منه في المعنى ما في المضرب الآتي رقم ٦٠

٦٠ - وإذا حضر محفلاً من محافل النظر، وكلمه خصم فدفعه، وانبرى له خصم آخر أنشد:

إذا ما دفعنا هؤلا جاء هؤلا ... إلينا فكل بالعداوة مولع[1]

---

(١) البيت من الطويل، ومعناه: أننا إذا انتهينا من خصم ظهر لنا خصم آخر.

ونحوه:

وحُزتَ رهان السبق في حَلْبة العلا ... فأنت لها دون البرية صاحب

ولا كثرة الأعداء تغني جموعُها ... إذا لمعت منك النجوم الثواقب

وقريب منه قول العماني:

ومقول نعم لزاز الخَصْم ... ألدَّ يشتق لأهل العلم

بباطل يدحض حق الخصم ... حتى يصيروا كسحاب البكم

وقريب منه ما في المضرب رقم ٦٢ و ١٢٤.

٦١- وإذا كثر الصياح في المحفل أنشد:

يـا أيهـا الراكـب المزجـي مطيتـه سائل بنـي أسـد مـا هـذه الـصَّوْتُ[(١)(٢)]

(١) لرويشد بن كثير الطائي، الحماسة ١/ ٤٧، واللسان (صوت).

والمزجي: السائق، وقد أنَّثَ الصوت، وفي اللسان إنما أنَّثه لأنه أراد به الضوضاء والجلبة، ويصح أن يراد بالصوت ما يبلغه عنهم. (هـ)

(٢) البيت من البحر البسيط، وقريب منه قول الشيخ محمد الخضر حسين:

وانثنـى بي نحـو نـادٍ نـشبوا في لِجـاءٍ ولجـاج منتـشر
لا تعـي بيـنهمُ إلا وغـى في مـزيج مثـلِ ضـغثٍ معتكـر

٦٢- وإذا قيل له: كثر أخصامك أنشد:

تفــور علينــا قِــدْرُهم فنــديمها ونفثؤهــا عنــا إذا حموهــا غــلى[١][٢]

(١) البيت للنابغة الجعدي، كما في مقاييس اللغة (دوم، فور، فثأ) واللسان (فثا، دوم).
يقال أدام القدر إدامة، إذا سكن غليانها بالماء، وكذلك فثأها: سكن من غليانها. والحمو والحَمِي: شدة الحرارة، ورواية المقاييس واللسان: «حميها».(هـ)

(٢) البيت من الطويل، ونحوه قول الشاعر:

تفرقــت الظبــاء عــلى خــراش فــما يــدري خــراش مــا يــصيد

وقول الآخر:

إذا جـاء موســى وألقــى العـصا فقــد بطــل الــسحر والــساحر

ونحوه قول أبي بكر الصولي:

إذا ما بدا والقوم فوق سروجهـم تناثرت الأشراف منهم على الأرض

وقول ابن المعتز:

أنــا جــيشٌ إذا غــدوت وحيــداً ووحيــدٌ في الجحفــل الجَــرَّار

وقول الشاعر:

إذا افتدى واحتبى بالسيف دان له شــوسُ الرجــال خــضوعَ الجَــرْبِ
كأنما الطير مـنهم فـوق هـامتهم لا خوفَ ظلم ولكن خوفَ إجـلالِ

وقول الشاعر:

ألا ربَّ خصم ذي فنـون علوتُـه وإن كان ألـوى يـشبه الحـقَّ باطلُـه

وقول الآخر:

ولي لــسان إذا أطلقتــه عرضــاً ســعى مــساعيَ ضرغــام وثعبــان

وقريب من هذا المضرب ماجاء في المضرب رقم ٦٠ و ١٢٤.

٦٣- وإذا بدأه سائل بالسؤال مناظراً له أنشد:

قَرِّبا مَربطَ النعامةِ مِني لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حيال[1][2]

---

(١) للحارث بن عباد، كما سبق في «لم أكن من جناتها»، المربط: بفتح الباء وكسرها: موضع ربط الدابة، والنعامة: اسم فرسه، عن حيال: أي بعد حيال، والحيال: ألا تحمل الناقة، عنى أن الحرب هاجت بعد سكون. (هـ)

(٢) البيت من الخفيف، ونحوه قول الشاعر:

شَبَّتِ الحربُ فأعددت لها مُفْرَغ الحاركِ مرويَّ الثبج

الحارك: أعلى الكاهل، والثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر.

وقول ابن الرومي:

خذها تبوعاً لمن يهوى مسومةً كأنها كوكب في إثر عفريت

معنى قوله: تبوعاً: أي تابعة، ومعنى: مسومة: أي مُعَلَّمة.

٦٤- وإذا نُعي له حميمٌ أو ذو مودة أنشد:

لـيس عَـدْمُ الأمـوال عـدماً ولكـن فقـد مـن قـد رُزِئْتُـهُ الإعـدام(١)(٢)

(١) لأبي دواد الإيادي، العمدة ١ : ٦١ والوساطة ٤٧، وبه قيل: إن أبا دواد أشعر الناس، ويروى: «لا أعد الإقتار عدماً». (هـ)

(٢) البيت من الخفيف، ومعناه: ليس العدم عدم الأموال؛ فهي تذهب وتجيء. وإنما المصيبة، والعدم المحض هي فقد ذلك الإنسان، ونحوه قول القائل:

إن الرزيـة لا رزيـة مثلهـا فقـدان مثـل محمـد ومحمـد

وقول الآخر:

لعمـرك مـا الرزيـة فقـد مـال ولا شـاة تمـوت ولا بعـير

ولكـن الرزيـة فقـد شـخص يمـوت لموتـه خلـق كثـير

وقول أبي تمام:

توفيـت الآمـال بعـد محمـد وأصبح في شغل عن السَّفَرِ السَّفْرُ

وقوله:

وإذا فقـدت أخـاً ولم تفقـد لـه دمعـاً ولا صـبراً فلـست بفاقـدِ

وقول إبراهيم بن إسماعيل:

إن الرزيـة يـا ابـن موسـى لم تـدع للعـين بعـدك للمـصائب مـدمعا

والـصبر يُحْمَـدُ في المـواطن كلهـا والصبر أن يُبْكَـى عليـك ويُجْزَعـا

وقول الشاعر:

إذا متَّ مات الجودُ وانقطع النـدى مـن النـاس إلا مـن قليـلٍ مُـصَرَّدِ

وقريب منه ما في المضرب رقم ٨٨ .

٦٥- وإذا حضر حضرة ملك وبالغ في الثناء عليه أنشد:

وأنك شمسٌ والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب[(١)(٢)]

---

(١) النابغة الذبياني من قصيدة في ديوانه ١٢ يعتذر فيها إلى النعمان ويمدحه.

ورواية الديوان: «لأنك شمس» وقبله:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كُلَّ مَلْكٍ دونها يتذبذب

(هـ)

(٢) البيت من الطويل، قال أبو هلال العسكري رحمه الله: «سمعت أبا أحمد الحسنَ ابنَ عبدالله ابن سعيد رحمه الله يقول: أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبياني:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كُلَّ مَلْكٍ دونها يتذبذب

بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكب

كتاب ديوان المعاني ١/ ١١٣

والمعنى: إذا صلحت لي أنت فلا أريد غيرك من الملوك، كما أن من طلعت عليه الشمس لم يحتج إلى النجوم.

قال أبو ذكوان عن هذين البيتين: «وما رأيت أعلم بالشعر منه -أي النابغة- ثم قال: لو أراد كاتب أن ينثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلام».

كتاب ديوان المعاني ١/ ١١٥

هذا وقد سبق بعضُ شعراء كندة النابغةَ إلى هذا المعنى، فقال يمدح عمرو بنَ هِند:

تكاد تميد الأرض بالناس أن رأوا لعمرو بنِ هندٍ غضبةٌ وهو عاتب

هو الشمسُ وافت يومَ سعدٍ فأفضلت إلى كل ضوء والملوك كواكب

ونحوه في المبالغة في الثناء على الملوك والسادة قول البحتري:

ولو ان مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر

وقول أبي الطيب المتنبي:

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

=

= وقوله:

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وقول ابن الرقيات في مصعب بن الزبير:

مُلْكُه مُلْكُ رحمةٍ ليس فيه جبروتٌ يُخشى ولا كبرياء

وقول جرير في حضرة عبدالملك ـ وقيل: إنه أمدح بيت قالته العرب:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راح

وقول الأعرابي في عبدالملك بن مروان:

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك إلى المكارم ينسب

فاصبر لعادتنا التي عوَّدتنا أوْ لا فأرشدنا إلى من نذهب

وقول كشاجم:

ومهذبِ الألفاظ مَنْطِقُه ما فيه من خطلٍ ولا مينِ

ما شئتَ من ظَرْفٍ ومن شِيَم ما في محاسنهن من شين

ما كان أحوجَ ذا الكمال إلى عيبٍ يوقِّيه من العين

وقوله:

يا كاملَ الآدابِ منفردَ العلا والمكرماتِ ويا كثيرَ الحاسد

شخَصَ الأنامُ إلى كمالك فاستعذ من شر أعينهم بعيب واحد

ولعل قول جرير في عمر بن عبدالعزيز رحمه الله:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرضُ الدنيا عن الدين شاغله

لعله أروع من بيته الآنف الذكر الذي قاله في عبدالملك وإن لم يَسِرْ مسيره، ويبلغ شهرته.

وقد روي أن عبدَالله بنَ أبي السمط أنشد بين يدي المأمون أبياتاً يمدحه بها، فلما انتهى إلى قوله:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قال له المأمون: ما زدت أن جعلتني عجوزاً في محراب وبيدها سُبْحة!

أَعَجزْتَ أن تقول كما قال جرير في عمر بن عبدالعزيز:

فلا هو في الدنيا مضيعٌ نصيبَه ولا عرضُ الدنيا عن الدين شاغله

وهذا المضرب قريب مما جاء في المضرب رقم ٥٢

٦٦- وإذا فخر بمن تقدم من العلماء والكبراء أنشد:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وإنْ نَحْنُ أومأنا إلى الناس وقَّفوا[(١)(٢)]

---

(١) للفرزدق في ديوانه ٥٦٨ وأمالي القالي ٣ : ١١٩.

وفي الأمالي عن طلحة بن عبد الله قال: «لقي الفرزدق كُثَيِّراً بقارعة البلاط وأنا معه، فقال: أنت يا أبا صخر أنسب العرب حيث تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

فقال له كثير: وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ثم قال: «وهذان البيتان لجميل، سرق أحدهما كثير، والآخر الفرزدق». (هـ)

(٢) هذا البيت من البحر الطويل، وقريب منه في الفخر قول الفرزدق -أيضاً-:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وقول عمرو بن كلثوم في معلقته المشهورة:

ملأنا البر حتى ضاق عنا ... ونحن البحر نملؤه سفينا

إذا بلغ الفطامَ لنا صبيٌّ ... تَخِرُّ له الجبابرُ ساجدينا

وقول لبيد رضي الله عنه:

وهمُ ربيعٌ للمجاورِ فيهمُ ... والمرملاتِ إذا تطاول عامُها

وقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

مطاعيمُ في المشتى مطاعينُ في الوغى ... إذا الحربُ كانت كالحريق المُضَرَّمِ

وتُلْفي لدى أبياتنا حين نُجتَدى ... مجالسَ فيها كلُّ سَهْلٍ مُطَهَّمِ

قوله مطاعيم: جمع مطعام، وهو الواسع القِرى، وقوله: نُجتدى: يطلب جدوانا، والجدوى: العطية.

=

= وقوله في آل جفنة الغسانيين:

لله در عصابة نادمتهم ... يوماً بجلّق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شُمُّ الأنوف من الطراز الأول
يُغْشَون حتى ما تَهِرَّ كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل

وهذه الأبيات من أبدع ما قيل في المدح، وأحسنها البيت الأخير، يقول:

إن الغساسنة أَنِسَتْ كلابُهم بالزوار؛ فهي لا تَنْبَحُهم، وهم من شجاعتهم لا يسألون عن جيش يُقْبِلُ نحوهم؛ لقلة اكتراثهم به، ولثقتهم ببسالة أنفسهم، وشدتهم على أعدائهم -كما يقول أبو هلال-.

وقال -أيضاً-: «قالوا أمدح بيت قالته العرب قول حسان:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شُمُّ الأنوف من الطراز الأول

وقال -أيضاً-: بيض الوجوه: معناه: مشهورون ببهاء، ولم يَعْنِ بهم البياض.

وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجود وغيرهما من خلال الخير».

كتاب ديوان المعاني ١/ ١٤٩

وقريب منه قول الحطيئة - وقال عنها ابن شبرمة: أمدح بيت قالته العربُ:

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البُنا ... وإن عاهدوا وفَّوا وإن عقدوا شَدُّوا
وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وإن أنعموا لا كدروها ولا كدَّوا
أقلُّوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سدوا
ويعذلني أبناء سعد عليهم ... وما قلت إلا بالذي علمت سعدُ
يسوسون أحلاماً بعيداً أناتُها ... وإن غضبوا جاء الحفيظةُ والجدُّ

قال أبو هلال العسكري تعليقاً على هذه الأبيات: «ولعمري إن معاني هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلها، وكل من تناولها فإنما استعارها من الحطيئة، وهي جامعة لخصال المدح كلها». كتاب ديوان المعاني ١/ ١٥١

وقال الأصمعي رحمه الله: «أتيت شعبة بن الحجاج يوماً وعنده حماد بن سلمة، وهما يتكلمان في حديث، فقال له شعبة: يا أبا سلمة: كيف تنشد قول الحطيئة:

أولئك قوم ... .

=

= فابتدأت القصيدة من أولها إلى أن بلغت:

أولئك قوم إن بنـوا أحـسنوا البنـا ....

-بكسر الباء من كلمة البنا- فقال له حماد بن سلمة: يا بني؛ إن العرب تقول بنى يبني بِناءَ في العُمران، ويقولون في الشرف بنا يبنو بُناءً، فأنشد هذا:

أولئك قوم إن بنـوا أحـسنوا البُنـا ....

قال الأصمعي: فعرفت قدر حماد بن سلمة من ذلك اليوم، فـما كنـت أنـشده إلا مـا كنـت أتقنه». انظر الجليس الصالح الكافي للمعافى الجريري ١/ ٥٥٠-٥٥١ .

ونحوه في الفخر قول المزدلف:

وإنـا إذا مـا الحـقُّ أعـوزَ أهلَـه   أوى كـل مطلـوب إلينـا وطالـب

وقول الحكم بن عبدالرحمن:

إذا وُلِـدَ المولـودُ منـا تهلّلـت   لـه الأرض واهتـزت إليهـا المنـابرُ

وقول أبي فراس:

إذا مـررت بنـادٍ جـاش غاربُـه   فاعقل قلوصك وانزل ذاك نادينا

وإن وقفـت بـوادٍ لا يُطيـفُ بـه   أهل السفاهة فـاجلس ذاك وادينـا

وقال آخر -وهو من أبيات المعاني-:

وحللـت مـن مُـضَرٍ بـأمنع ذُروةٍ   منعـت بحـدِّ الـشوكِ والأحجـار

قالوا: يريد بالشوك أخواله، وهم: قتادةُ، وطلحة، وعوسجة.

ويريد بالأحجار: أعمامَه، وهم: صفوان، وجندل، وصخر، وجرول.

٦٧- وإذا أثنى على رجل معطاء أنشد:

لـيس يعطيـك للرجـاء وللخـو ... ف ولكـن يلـذ طعـم العطـاء[1][2]

(١) البيت لبشار بن برد من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم، ديوانه ١: ١٠٧ـ ١١٣، وقبله، كما في الديوان والأغاني ٣: ٤٣:

إنـما لـذةُ الجـوادِ ابـنِ سَـلْم ... في عطـاءٍ ومركـبٍ لِلِقَـاءِ

(هـ)

(٢) البيت من الخفيف، ونحوه قول بشار ـأيضاًـ في مدح خالد بن برمك:

إذا جئتـه للحمـد أشرق وجهـه ... إليك وأعطـاك الكرامـةَ والحمـدا

وقول آخر:

ويكـاد مـن فـرط السخاء بنانُـه ... حُبَّ العطاء يقول: هل من سـائل

وقول آخر:

إذا مـا أتـاه السـائلون توقَّـدت ... عليـه مـصابيحُ الطلاقـة والبـشر

وأنْعُمُه في النـاس فـوضى كأنهـا ... مواقـعُ مـاءِ المـزنِ في البلـد القفـرِ

ومعنى فوضى: أي مُشترك فيها، مُختلَطَة.

وقول آخر:

مفيـدٌ ومـتلافٌ إذا مـا سـألته ... تهلـل واهتـز اهتـزاز المهنـدِ

وقول البحتري:

متهلـلٌ طَلْـقٌ إذا وعـد الغنـى ... بالبـشر أتبَـعَ بِـشْرَه بالنائـل

ومن أشهر، وأقدم، وأجود ما قيل في هذا المعنى قول زهير في مدح حصن بن حذيفة ابن بدر:

تـراه إذا مـا جئتـه مـتهللاً ... كأنـك تعطيـه الـذي أنـت سـائله

قال أبو هلال العسكري رحمه الله عن هذه الأبيات: «قالوا أمدح بيت قالته العرب».

=

= وقال: «وعندي أن بيت زهير أجود ما قيل في الشعر القديم».

قال: «وعاب بعضهم هذا البيت، فقال: جَعَل الممدوحَ فَرِحاً بِعَرَضٍ يناله، وليس هذا شأنَ الكبيرِ الهمةِ، والجيِّدُ قولُ أبي نوفلٍ عمروِ بنِ محمد الثقفي:

ولـئن فرحـتَ بـها ينيلـك إنـه ... لـبما ينالـك مـن نـداه أفـرحُ

مـا زال يعطـي ناطقـاً أو سـاكتاً ... حتـى ظننـتُ أبـا عقيـل يمـزح

فجعله يفرح بما ينيل، ومثل قول أبي تمام:

أسـائِلَ نَـصْرٍ لا تـسله فإنـه ... أحـنُّ إلى الإرفـاد منـك إلى الرِّفْـد

ديوان المعاني ١/ ١٣٥-١٣٦

وقريب منه ما جاء في المضرب رقم ٢٧ .

٦٨- وإذا قصد امرأً في حاجة، وكرر الزيارة له ولم يَرَ ما يحبه أنشد:

كفى طلباً لحاجة كلِّ حرٍّ مداومة الزيارة والسلام[1]

---

(١) البيت من الوافر، ومعناه: أن قصارى ما حصَّلته من قَصْدِ ذلك الرجل الذي أؤمِّل فيه قضاء حاجتي - أنْ صِرْتُ أُكْثِرُ من الزيارة والسلام عليه.

وقريب منه قول الأول:

أروحُ بتسليم وأغدو بمثله وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

وقول آخر:

صحبتكم عامين في حال عسرةٍ أُرَجِّي نداكم والظنون فنون

فما نلت منكم طائلاً غير أنني تعلمت حال الفقر كيف تكون

وقول آخر:

أروح وأغدو نحوكم في حوائجي فَأُصْبِحُ منها غُدوةً كالذي أمسي

وقد كنت أرجو للصديق شفاعتي فقد صرت أرضى أن أشَفَّع في نفسي

٦٩- وإذا أخذ إنسان يتهم أحداً غيره أنشد[1]:

رأيـــت الحـــرب يجنيهـــا رجـــالٌ ويـــصلى حرَّهـــا قـــومٌ بـــراء[2]

قلت: وينشد في ذلك أيضاً قول القائل:

لم أكـــن مـــن جناتهـــا[3] ....(البيـــت المتقـــدم)

---

(١) هذا المضرب محل نظر، ولعل صوابه أن يقال: وإذا أخذ إنسان يتهم أحداً غير الجاني أنشد...
أو أن يقال: وإذا رأى شخصاً يُعاقَبُ أو يُتَّهَمُ بجريرةِ غيرِه أنشد...
أو أنه هكذا: وإذا أُخذَ إنسانٌ يُتَّهمُ أحدٌ غيرُه أنشد...
وهنا يستقيم الكلام، وإذا كان كذلك فهو معنىً توارد عليه الشعراء كما في الشواهد التالية على هذا المضرب.

(٢) أنشده في اللسان (برأ) برواية: «يجنبها رجال»، وبراء مثلثة الباء: فهي بالفتح مصدر سمي به، وفي التنزيل: (إنني براء مما تعبدون) وبالكسر: جمع بريء، كظريف وظراف، وبالضم جمع لا واحد له، نحو تؤام وظؤار. (هـ)

(٣) هذا البيت من الخفيف، وقد مر في المضرب رقم ٥٨.

وينشد في ذلك أيضاً:

وحملتني ذنب امرئ وتركته ... كَذِي العرِّ يُكْوَى غيرُه وهو راتع[(١)(٢)]

(١) للنابغة الذبياني في ديوانه ٥٤ من قصيدة يمدح فيها النعمان، ويعتذر إليه، ويهجو مرة بن ربيعة.

العُر: بضم العين: قروح مثل القوباء تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل منها الماء الأصفر، فتكوى الصحاح؛ لئلا تعديَها المِراض.

وأما أبو عبيدة فيقول: إن هذا لا يكون، وإنما هو على جهة المثل.

وقال ابن دريد: ومن رواه بالفتح فقد غلط؛ لأن الجَرَبَ لا يكوى منه. (هـ)

(٢) هذا البيت من الطويل، وقريب منه قول امرئ القيس:

وقَاهم جدُّهم ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب

وقال آخر:

جَنَى ابنُ عمِّك ذنباً فابتليت به ... إن الفتى بابن عم السوء مأخوذ

وقال آخر:

نصدُّ حياءً أن نراك بأعين ... جنى الذنبَ عاصيها فَلِيم مطيعُها

وقال البحتري:

ولا عذرَ إلا أن حِلْمَ حليمها ... يُسَفِّه من شرِّ جناه خليعها

وقال أبو الطيب المتنبي:

وجرم جَرَّهُ سفهاءُ قوم ... وحل بغير جارمه العذابُ

وقول المساور بن هند:

شَقِيتْ بنو سعدٍ بشعر مساورٍ ... إن الشقيَّ بكل حبل يخنق

٧٠- وإذا عارضه معارض في علة بلا علم أنشد:

أخـــو عـــديٍّ أمـــسى يـــساجلني   مـــا لعـــديٍّ ومـــا لـــذا العمـــل[1]

---

(١) البيت من المنسرح، والمعنى: أن هذا المعارض يهرف بما لا يعرف، ويتكلم بما لا يحسن، راكباً متن عمياء، خابطاً خبط عشواء.

وقريب منه قول القائل:

وحاطب ليلٍ في القـريض زجرتُـه   وقلت لـه قـول النـصيح المجامـل

إذا أنــت لم تقــدر عــلى دُرِّ لجَّــةٍ   فَدَعْهُ ولا تعرض لحصباء ساحل

وقريب منه ما جاء في المضرب رقم ١٠، والمضرب رقم ٩٢ .

٧١- وإذا ذكر قوماً أشحاء أنشد:

دراهمهم لا تستطاع كأنها فريسةُ ليثٍ أحرزتها مخالبه[1]

---

(١) البيت من الطويل، والمعنى: أن هؤلاء القوم قد بلغ بهم الشحُّ مبلغاً عظيماً، حتى لكأن المال الذي بين أيديهم فريسةٌ في يدِ أسدٍ قد أحكم إمساكها؛ بحيث لا يمكنها أن تفلت منه، أو يأخذها أحد من بين يديه.

ونحوه قول جحظة:

قومٌ أحاول نيلَهم فكأنني حاولت نتْفَ الشَّعْرِ من آنافهم

وقول بشار:

وللبخيل على أمواله عِلَلٌ زرقُ العيون عليها أوجهٌ سودُ

وقريب منه قول جؤية بن النضر:

لا يعرف الدرهم المضروب صُرَّتَنا لكن يمرُّ عليها وهو منطلق

حتى يصير إلى نَذْل يخلده يكاد من صره إياه ينمزق

وقول البحتري يهجو قوماً:

لو يملكون الضوء بُخلاً لم يكن للخلق ضَوْ

وقبله:

إن الزمانَ زمانُ سُوْ وجميع هذا الخلقِ بَوْ

وإذا سألتهمُ ندىً فجوابهم عن ذاك وو

ذهب الكرام بأسرهم وبَقِيْ لنا ليتٌ ولو

البَو: الأحمق، وهو -أيضاً- جلد الحوار الذي حُشي تبناً، والمعنى أنهم فارغون ليس عندهم شيء، مخادعون يخدعون غيرهم كما تخدع الناقة بهذا البوّ المتخذ من جلودها.

والوَو: من وأى، أي وعد.

٧٢- وإذا قيل له أرضيت بكذا وأنت أعلى منزلة منه أنشد:

وما كنت أخشى أن أرى العير مركبي ... ولكن من يمشي سيرضى بما ركب[1]

---

(١) البيت من الطويل، والمعنى: أنني ما كنت أظن أني سأنزل إلى هذه الدرجة بعد ما كنت فيه العز، ولكن كما تقول العرب: إذا لم يكن ما تريد فَأَرِدْ ما يكون.

ونحوه قول الشاعر:

إذا ما لم أَجِدْ ماءً طهوراً ... أبيح ليَ التيمم بالتراب

وقريب منه قول عبدالرحمن بن سويد المري:

كانت قناتي لا تلين لغامز ... فألانها الإصباح والإمساء

وقول آخر:

من عاش أخلقَتِ الأيامُ جِدتَه ... وخانه الثقتان السمع والبصر

وقول الربيع بن ضبع الفزاري:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أملك رأسِ البعير إن نفرا

والذئب أخشاه إن مررت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا

من بعد ما قوةٍ أُصيب بها ... أصبحتُ شيخاً أعالجُ الكِبَرا

٧٣- وإذا زار مريضاً أنشد:

ونعـود سـيِّدَنا وسـيدَ غيرِنـا ليـت التـشكيَ كـان بـالعواد[(١)(٢)]

---

(١) لكثير عزة، قال في عيادتِه عبدَ الملك بن مروان. عيون الأخبار ٣: ٥٠، وبعد:

لـو كـان يقبـل فِدْيـةً لفديتـه بالمصطفى مـن طـارفي وتـلادي

لكن في الشعر والشعراء ٤٩٧ أنه دخل لعيادة عبد العزيز بن مروان، على أن البيت قد روى في قصيدة لجرير في ديوانه ١٢٢ يقوله في عبد العزيز بن الوليد عبد الملك، وكان الوليد كتب إلى أجناد الشام أن يدعوا لعبد العزيز بن الوليد، ودعا هُوَ لَهُ في مسجد دمشق في جماعة الناس، وكان عليلاً. (هـ)

(٢) البيت من الكامل، ويروى -أيضاً- للأخطل؛ فقد ذكر ابن منظور في المنتخب والمختار في النوادر والأشعار «أن الأخطل دخل على عبدالعزيز بن مروان وهو مريضٌ يعوده، فقال:

ونعـودُ سـيدنا وسـيدَ عِزِّنـا ليـت التـشكي كـان بـالعواد

لـو كـان يقبـل فدية لفديتـه بأنـاملي وبطـارفي وتـلادي

فقال عبدالعزيز بن مروان: يا غلام! أعطِهِ عشرة آلاف درهم؛ إن هؤلاء -والله- ما يعطوننا صافيَ ما عندهم إلا ليصيبوا خالص ما عندنا» ص٢٠٤.

وقال الثعالبي: «ومن أحسن ما قيل في عيادة السادة قول بعضهم:

قالوا: أبو الفضل معتلٌّ فقلت لهم نفسي الفداءُ لـه مـن كـل محـذور

ياليـت عِلَّتَـه بي غـير أن لـه أجْـرَ العليـل وأني غـير مـأجور

أحسن ما سمعت ص ١٢٢

٧٤- وإذا حذر ناساً عدواً غفلوا عنه أنشد:

بنـــي أميـــة إني ناصـــح لكـــم فـــلا يبيـــتن فـــيكم آمنـــاً زفـــر[1][2]

---

(١) للأخطل في ديوانه ١٠٣ والحيوان ٥: ١٦٣، وزفر هذا، هو ابن الحارث الكلابي، كان قد خرج على عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين ثم رجع إلى الطاعة. الكامل ٥٣٣ ليبسك والجهشياري ٣٥ وكان زفر من التابعين، سمع عائشة ومعاوية.

شرح شواهد المغنى ٣١٥. (هـ)

(٢) البيت من البسيط، ونحوه قول نصر بن سيار يحذر بني أمية بقوله:

أرى خلـلَ الرمـاد ومـيضَ جَمْـرٍ ويوشـــك أن يكـــون لهـــا ضرامُ

فـــإن النـــارَ بـــالعودين تـــذكى وإن الحـــرب مبـــدؤها كـــلام

فـــإن لم يطفهـــا عقـــلاءُ قـــوم يكـــون وقودَهـــا جثـــثٌ وهـــامُ

فقلت من التعجـب ليـت شـعري أأيقـــــاظ أميـــــة أو نيـــــامُ

وقريب منه قول جرير في التحذير من شر قد يجره أحد أفراد القبيلة على قومه، حيث قال محذراً بني حنيفة، ومهدداً لهم:

أبني حنيفة أحكمـوا سـفهاءكم إني أخـــاف علـــيكم أن أغـــضبا

أبنـــي حنيفـــة إننـــي إن أهجكـــم أدع اليمامـــة لا تـــواري أرنبـــا

وقوله:

يـا تـيمُ تـيمَ عـديٍّ لا أبـا لكـم لا يلقيـــنكم في ســـوأة عمـــرُ

٧٥- وإذا ذكر صديقاً له بنقضه العهد أنشد:

ألم تـر مـا بينـي وبـين ابـن خالـد من العهد قـد بالـت عليـه الثعالـب[(١)(٢)]

---

(١) في الأصل: بني خالد» تحريف . (هـ)

(٢) البيت من الطويل، والمعنى: أن الصلة التي كانت بيننا قُطِعَتْ أواصرُها.

والبيت لأبي الأسود، ويروى:

ألم تـر مـا بينـي وبـين ابـن عـامر ....

وبعده:

وأصـبح بـاقي الـودُّ بينـي وبينـه كأن لم يكن والـدهر فيـه عجائـب

فـما أنـا بالبـاكي عليـه صـبابةً ولا بالـذي مَلَّتْـك منـه المثالـبُ

إذا المـرء لم يحبيـك إلا تكرهـاً بَـدَالَكَ مـن أخلاقـه مـا يغالـب

فَدَعْهُ فَـصَرْمُ المرءِ أهـونُ حـادثٍ وفي الارض للمرء الكريم مواهبُ

وقوله: بالت عليه الثعالب: يضرب مثلاً لقوم يقع بينهم الفساد، وفي معناه خَرِئت بينهم الضبع. انظر جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١/ ١٩١

وقريب منه قول الفرزدق:

تـصَرَّم منـي ودُّ بكـر بـن وائـل ومـا خِلْـتُ عنـي ودَّهـم يتـصرَّم

قـوارص تـأتيني ويحتقرونهـا وقـد يمـلأ القَطْـرُ الإنـاءَ فـيفعم

وقول مكي بن زيان:

إذا مـا كنـت لا ترعـى حقوقـاً لإخـوان هـمُ رفعـوا منـارَك

وتلـزم كـلَّ حـينٍ أن تُراعـى ولا ينـسى أخـو ودٍّ مـزارَك

وتقطـع دهرنـا تيهـاً وعُجبـاً وتـأبى دائـماً إلا اختيـارَك

فـزادك ـ مـا بقيـت ـ الله بعـداً ولا أدنـى عـلى حـالٍ مـزارَك

٧٦- وإذا هدَّده عدو أو توعده أنشد:

فـإن قناتنـــا يـــا عمـــرو أعيـــت عـــلى الأعـــداء قبلـــك أن تلينـــا[(١)(٢)]

---

(١) لعمرو بن كلثوم في معلقته. وعمرو في هذا البيت هو عمرو بن هند، والعرب تستعير للعز اسم القناة. (هـ)

(٢) البيت من الوافر، ونحوه:

ولا نلـــين لـــسلطان يكايـــدنا حتى يلين لضرس الماضغِ الحجـرُ

وقريب منه قول جرير:

زعم الفـرزدق أن سـيقتل مربعـاً أبـشر بطـول سـلامة يـا مربـعُ

وهذا قريب مما جاء في المضرب رقم ١١٢

٧٧- وإذا شُكِيَ أَخٌ له جَنَى عليه أنشد:

بـــل جناهـــا أخ عـــليّ كـــريم وعـــلى أهلهـــا بـــراقش تجنـــي[(١)(٢)]

(١) لحمزة بن بيض في اللسان (برقش).

وبراقش: اسم كلبة نبحت على جيش مروا ولم يشعروا بالحي الذي فيهم الكلبة، فلما سمعوا نباحها علموا أن أهلها هناك، فعطفوا عليهم، فاستباحوهم، فقيل في المثل: «على أهلها تجني براقش»، وقبل هذا البيت:

لم تكـــن عـــن جنايـــة لحقتنـــي لا يـــساري ولا يمينـــي جنتنـــي

(هـ)

(٢) البيت من الخفيف، وقريب منه قول العباس بن رِيْطة الرَّملي:

وأهلكنـــي أن لا يـــزال يكيـــدني أخـــو ثقـــةٍ في القـــوم جـــرأت ثـــائرُ

وذلك مـــا جَـــرَّت علينـــا رماحنـــا وكـــلُّ امـــرئٍ يومـــاً بـــه الجَـــدُّ عـــاثر

وقول أحدهم:

وتَطْـــرُف الكـــفُّ عـــينَ صـــاحبها فـــلا يـــرى قطعهـــا مـــن الرُّشْـــدِ

وقول الأول:

قـــومي هـــمُ قتلـــوا أمـــيمَ أخـــي فـــإذا رميـــت يـــصيبني ســـهمي

فلـــئن عفـــوت لأعفـــون جلـــلاً ولـــئن قتلـــت لأوهـــنن عظمـــي

وقول الآخر:

فلـــو أنهـــا إحـــدى يـــديَّ رُزِيتُهـــا ولكنْ يـــدي بانـــت إلى إثرهـــا يـــدي

وقول الجليلة بنت مرة ترثي زوجها كليباً حين قتله أخوها جساس:

فِعْـــلُ جـــساسٍ عـــلى ضـــني بـــه قـــاطعٌ ظهـــري ومـــدنِ أجـــلي

لـــو بعـــين فُـــدِيت عينـــي ســـوى أختهـــا وانفقـــأت لم أحفـــل

إننـــي قاتلـــة مقتولـــة فلعـــل الله أن يرتـــاح لي

=

= إلى أن قالت:

درك الثـــائر شـــافيه وفي دَرَكـــي ثـــأريَ ثَكْـــلُ الْمُثْكـــل

ليتـــه كـــان دمـــي فـــاحتلبوا دِرراً منـــه دمـــي مـــن أكحـــلي

إلى آخر ما قالته في تلك القصيدة التي تعد من أعظم ما قيل في باب الرثاء.

قال ابن رشيق القيرواني: «فانظر إلى قول الجليلة بنت مُرَّة ترثي زوجها كُليباً، حين قتله أخوها جساس!

ما أشجى لفظها، وأظهر الفجيعة فيه، وكيف يثير كوامن الأشجان، ويقدح شرر النيران».

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ٢/ ١٥٣

٧٨- وإذا رأى ذا بشاشة وظاهره يبدي خلافه أنشد:

يبدي البشاشة حين تبصره ... وله إليك عقاربٌ تسري[1]

---

(١) البيت من الكامل، والمعنى: أن هذا الإنسان ذو ملق ورياء، فهو يبدي البشاشة، ويخفي العداوة.

وقريب منه قول المثقّب العبدي:

إن شر الناس من يكشر لي ... حين يلقاني وإن غبت شتم

ومنه قول المتنبي:

يخفي العداوةَ وهي غيرُ خفيةٍ ... نظر العدوِّ بما أسر يبوح

وقول الآخر:

ليس الصديق الذي يعطيك شاهدُه ... شَهْدَ الودادِ وخان الغيبَ غائبُه

وقول الشاعر:

ويضحك في وجهي إذا ما لقيته ... ويهمزني بالغيب سراً ويلسع

وقول الآخر:

وليس أخي من ودني بلسانه ... ولكن أخي من ودَّني في النوائب

وقول بشار:

أنت في معشر إذا غبت عنهم ... بدَّلوا كلَّ ما يزينك شينا

وإذا ما رأوك قالوا جميعاً ... أنت من أكرم البرايا علينا

وقول أبي ذؤيب:

يُرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا ... فذلك سِكين على الحلق حاذق

وقول جميل:

ومن هو ذو لونين ليس بدائم ... على العهد خوانٌ لكل أمين

=

= وقول الآخر:

ومن هو عند العين أما لقاؤه فحلوٌ وأما غيبه فظنون

وقول أبي تمام:

ليس الصديق بمن يعدك ظاهراً متبسماً عن باطنٍ متجهم

وقوله:

وليست رِغوتي عن فَوْقِ مَذْقٍ ولا حجري كَمِينٌ في الرماد

قوله: المذق: اللبن الممزوج بالماء، وكمين: كامن مُختفٍ، عبارة عن إخلاصه وصدقه في الود.

وعكس المعنى السابق -وهو إظهار البشاشة، وإخفاء العداوة- إسرار المودة والوفاء، وإظهار العداوة والغدر.

ومما يذكر في ذلك أن آخر خلفاء بن أمية مروانَ بنَ محمد كان يحب ويجل كاتبه عبدالحميد الكاتب، ولما أيقن مروان من زوال ملكه، وغلبة العباسيين قال لعبدالحميد: «قد احتجت أن تكون مع عدوي، وتظهر الغدر بي؛ فإن إعجابهم بأدبك، وحاجتهم إلى كتابتك تدعوهم إلى حسن الظن بك؛ فإن استطعت أن تنفعني في حياتي، وإلا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي.

فقال عبدالحميد: إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك، وأقبحهما بي، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله لك، أو أقتل معك، وقال:

أسرُّ وفاءً ثم أظهر غدرةً فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهرُه

فَعُدَّ ذلك من جملة مناقب عبدالحميد. انظر عيون الأخبار ١/ ٢٧

٧٩- وإذا أساء إليه صديق، وحلم هو عنه أنشد :

فــلا توبــسوا بينــي وبيــنكم الثــرى   فــإن الــذي بينــي وبيــنكم مُثْــري[(١)(٢)]

---

(١) لجرير في ديوانه ٢٧٧ والمقاييس (ثروى) واللسان (ثرا) .

قال أبو عبيدة : «من أمثالهم في تخوف الرجل هجر صاحبه: لا توبس الثرى بيني وبينك».

ويقال : الذي بيني وبين فلان مثرٍ، أي إنه لم ينقطع . (هـ)

(٢) البيت من الطويل، وقريب منه قول الآخر:

إذا رأيت صــدوداً مــن أخــي ثقــةٍ   ضـــاقت عــلي برحـــب الأرض

فإن صددت بـوجهي كـي أكافئـه   فالعين غضبى وقلبي غير غـضبانِ

٨٠- وإذا ذكر رجلٌ ببعد الغور أنشد :

ولم يخشوا مصالته عليهم وتحت الرغوةِ اللبنُ الصريحُ[(١)(٢)]

---

(١) من أبيات في مجالس ثعلب ٨ ـ ٩ بنسبتها إلى رجل من سليم.

ونسب في البيان ٣ : ٣٣٨ إلى أبي محجن الثقفي، وليس في ديوانه.

ونسب في اللسان (فصح) إلى نضلة السلمي.

المصالة: مصدر ميمي من صال يصول.

والرغوة: مثلثة الراء.

والصريح: الخالص: أي إنما تعرف الأشياء بالتكشيف عن بواطنها.

وأنشده في المقاييس (فصح): «اللبن الصحيح» وهو الذي أُخِذت عنه الرغوة.(هـ)

(٢) البيت من الوافر، ومنه قول الأول:

من النفر المدلين في كل حجة لمستحصدٍ مِنْ حوله الرأي محكم

يقال رجل مُحصد الرأي: أي سديد الرأي محكمه.

وقول آخر:

بصير بأعقاب الأمور كأنما تخاطبه في كل أمرٍ عواقبُه

وقول ابن أبي طاهر:

إذا الرجال طغت آراؤهم وعموا بالأمر رُدَّ إليه الرأي والنظر

وقول آخر:

وإذا صحت الرويَّةُ يوماً فسواءٌ ظنٌّ امرئٍ وعيانُه

٨١- وإذا عزى إنساناً وواساه أنشد:

لكلِّ همٍّ من الهموم سعه والمَسْيُ والصبحُ لا بقاء معه(١)(٢)

(١) للأضبط بن قريع، وهو أحد المعمرين من العرب، كتاب المعمرين للسجستاني٨ ومجالس ثعلب ٤٨، والأمالي ١: ١٠٧ والأغاني١٦: ١٥٤ وحماسة ابن الشجري١٣٧ والخزانة ٤ : ٥٨٩ والمثل السائر ١ : ٢٦٠ . (هـ)

(٢) البيت من المنسرح، والمعنى: أن لكل ما يصيب الإنسان من الهموم متسعاً، غير أن كرور الأيام لا تدوم معه الحياة.

ومنه قول لبيد:

لو أن حيّاً مدرك الفلاح أدركه ملاعب الرماح

ويعني بالفلاح: البقاء، وبملاعب الرماح: عامر بن الطّفيل.

وقول أبي الطيب:

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه

يموت راعي الضأن في جهله موتة جالينوس في طبه

وقول أبي ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقول كعب بن زهير:

كلُّ ابنِ أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

وقول الآخر:

إني أعزيك لا أني على ثقة من الخلود ولكن سنةُ الدين

فما المُعزِّي بباقٍ بعد تعزية ولا المُعزَّى ولو عاشا إلى حين

٨٢- وإذا كاتم إنساناً، وأضمر له ما يعرفه من التلون أنشد:

فــإن الله لا يخفـــى عليـــه علانيـــــة تـــــراد ولا سرار(١)

(١) البيت من الوافر، ونحوه قول زهير:

فـلا تكـتمن الله مـا في نفوسـكم ليخفـى ومهـما يُكْـتَم الله يعلـم

وقول الآخر:

فـلا تحـسبن الله يَغْفُـل سـاعة ولا أن مـا تخفـي عليـه يغيـب

٨٣- وإذا رأى إنساناً تغيرت عن غِنىً حالُه[1] أنشد:

إن الفتــى يُقْــتِرُ بعــد الغنــى ويغتنــي مــن بعــد مــا يفتقــر[2][3]

(١) في الأصل: «تغيرت عنى حاله». (هـ)

(٢) البيت لعمرو بن أحمر، من أبيات له في اللسان (رنا) وطبقات ابن سلام ١٩١. أقتر: قل ماله. (هـ)

(٣) البيت من البحر السريع، وقريب منه قول القائل:

مـا بـين طرفـة عـين وانتباهتهـا يغـير الله مـن حـال إلى حـال

وقول الحسين بن مطير:

فكـم قـد رأينـا مـن تكـدُّرِ عِيْـشَةٍ وأخرى صفا بعد اكـدرارٍ غـديرُها

وقول حُرقةَ بنتِ النعمان:

فبينا نـسوس النـاس والأمـرُ أمرُنـا إذا نحـن فـيهم سُـوقةٌ نَتَنَـصَّفُ

فـأفٌّ لـدنيا لا يـدوم نعيمُهـا تُقَلَّـبُ حـالاتٍ بنـا وتُـصَرِّف

وقال الأضبط بن قريع:

لا تحقــرن الفقــير علَّــك أن تركـع يومـاً والـدهر قـد رفعـه

٨٤- وإذا قيل له مضى فلان وورث وارثه ماله أنشد:

قد يجمع المال غير آكله ... ويأكل المال غير من جمعه[1][2]

---

(١) للأضبط بن قريع، انظر الحاشية الأولى. (هـ)

(٢) البيت من المنسرح، والمعنى: أن الإنسان قد يجمع مالاً، ويكون من نصيب غيره من الورثة الذي يتمتعون به دون تعب في جمعه.

وقريب منه قول الأول:

المرء يشقى بما يسعى لوارثه ... والبرُّ وارثُ ما يسعى له الرجل

وقول الآخر:

كم كادح لغيره لا يأتلي ... وقادح ناراً سواه المصطلي

٨٥- وإذا رأى رجلاً أثنى على آخر، وهو لا يعرفه أنشد :

لا تحمدن امرأ حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريب[(١)(٢)]

---

(١) لأبي الأسود الدؤلي، حماسة البحتري ٣٧٠ . (هـ)

(٢) البيت من البسيط، وبعده:

إن الرجالَ صناديقٌ مُقَفَّلَةٌ وما مفاتيحها غير التجاريبِ

وقريب منه قول أوس بن حجر:

لا تظهرنْ ذمَّ امرئٍ قبل خُبره وبعد بلاءِ المرء فاذمم أو احمدِ

وقول مسكين الدارمي:

ولا تَحْمَدِ المرءَ قبل البلاء ولا يسبق السيل منك المطر

وإني لأعرف سيما الرجال كما يعرف القائفون الأثر

وقول الآخر:

لا تحمدن على الإخاء مؤاخياً حتى تَبَيَّن قَدْرَ غور إخائه

فتذمَّ أو تختصه مِنْ بَعْدِ ما تبلو سريرته وصدق وفائه

وقول بشار:

ولولا الذي خبروا لم أكن لأقْدَحَ ريحانةً قَبْلَ شَمْ

٨٦- وإذا نعي له رجل عظيم الشأن أنشد:

لما أتى خَبَرُ الزبيرِ تواضعت ... سور المدينة والجبال الخُشَّع[(١)(٢)]

(١) البيت لجرير في ديوانه ٣٤٥ والخزانة ٢ : ١٦٦ من قصيدة يهجو فيها الفرزدق ورهطه بني مجاشع الذين منهم عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوام.

وكان ابن جرموز قد قدم على أمير المؤمنين علي، وهنَّأه بالفتح، وأخبره بقتله الزبير، فقال له علي: أبشر بالنار، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "بشر قاتل ابن صفية بالنار".

وفي ذلك يقول ابن جرموز:

أتيت علياً برأس الزبير ... وقد كنت أحسبها زلفه

فبشر بالنار في قتله ... فبئس بشارة ذي التحفه

ثم إن ابن جرموز جاء إلى مصعب بن الزبير وكان والياً على العراق من قبل أخيه عبدالله فقال: اقتلني بالزبير! فكتب في ذلك إلى أخيه، فكتب إليه عبد الله: أنا لا أقتله بالزبير ولا بشسع نعله، فلم يقتله.

والنحويون يجعلون هذا البيت شاهداً لاكتساب بعض الأسماء التأنيث من بعض؛ لأن السور هنا بعض المدينة.

وذهب أبو عبيدة أن (السور) جمع سورة بالضم، وهي كل ما علا، فلا شاهد في البيت.

الخشع: أي التي صارت خاشعة لاطئة بالأرض لموته. (هـ)

(٢) البيت من الكامل، وقريب منه قول المهلهل في رثاء أخيه كليب:

فتصدَّعت صمُّ الجبال لموته ... وبكت عليه المرملات مَلِيَّا

وقول أبي تمام:

وكل كسوفٍ في الدراريِّ شنعةٌ ... ولكنه في الشمس والبدر أشنع

٨٧- وإذا جهل عليه جاهل وللجاهل عدو حاضر لا يجترئ عليه أنشد:

جهلاً علينا وجبناً عن عدوكم　　لبئست الخلتانِ الجهلُ والجُبن[(١)(٢)]

---

(١) البيت لقعنب بن أم صاحب، في حماسة أبي تمام ٢: ١٨٨ والبحتري ٣٩٢ .(هـ)

(٢) البيت من البسيط، وقريب منه قول عمران بن حطان:

أسدٌ علي وفي الحروب نعامة　　ربداء تجفل من صفير الصافر

وقول آخر:

تذللاً للعدو عن ضَعةٍ　　وصولة بالصديق عن نَغَل

الضَّعة: الذلة والخسة والهوان، والنَّغَل: الحقد والضغينة.

وقول آخر:

ومن البلاء أخٌ خيانتُه　　عَلَقٌ بنا ولغيرنا نَشبُهْ

وقول الشاعر:

أراك مع الأعداء في كل موطن　　وقلبك من ضِغْنٍ عليَّ مريضُ

وما بي من فقرٍ إلى أن تحبني　　وما ضرني أني إليك بغيض

وقول آخر:

عفاريتاً عَليَّ وأكْل مالي　　وعجزاً عن أناس آخرينا

فهلا غير عمكم ظلمتم　　إذا ما كنتم متظلِّمينا

٨٨- وإذا مات له خليلٌ يعز عليه فَقْدُهُ أنشد:

ألا لِيَمُتْ مَنْ شاء بعدك إنما ... عليك من الأقدار كان حذاريا(١)(٢)

(١) في الأصل: (حذاري)، صوابه في اللسان (ملا) ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٢٩ . وقبله، وهو في رثاء يزيد بن مزيد الشيباني:

وقد كنت أرجو أن أَمَلاَّكَ حِقْبَةً ... فحال قضاءُ الله دون رجائيا

وانظر العقد ٢ : ٢٧٨ طبع لجنة التأليف . (هـ)

(٢) البيت من الطويل، ومعناه: أنني كنت أخشى أن تموت، فيصيبني ما يصيبني من الهم؛ جَرَّاء فقدك، فلما مُتَّ هانت علي كلُّ مصيبة بعدك.

وقريب منه قول أعرابية:

من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذرُ

كُنْتَ السوادَ لناظري ... وعليك يبكي الناظرُ

وقول أبي نُواس:

طوى البينُ ما بيني وبين محمد ... وليس لما تطوي المنيةُ ناشرُ

وكنتُ عليه أحذرُ الموتَ وحده ... فلم يبق لي شيءٌ عليه أحاذرُ

وأنشد عبدالملك بن مروان:

إذا ما مات خارجة بن حصن ... فلا مطرت على الأرض السماءُ

ولا رجع الوفود بِغُنْم عيشٍ ... ولا حملت على الطُّهرِ النساءُ

لَيَوْمٌ منك خيرٌ من أناسٍ ... كثيرٍ حولهم نَعَمٌ وشاءُ

وقول النابغة الذبياني:

فإن يَهْلَكْ أبو قابوس يهلك ... ربيع الناس والبلدُ الحرام

وَنَقْعُدْ بعده بذناب عيش ... أجبِّ الظهرِ ليس له سنامُ

وقريب منه ما في المضرب رقم ٦٤ .

٨٩- وإذا قيل له: استتر لك فلان، وخدعك أنشد:

وقد كنت مجرور اللسان ومفحماً فأصبحت أدري اليوم كيف أقول[(١)(٢)]

(١) البيت للفقيمي، وهو قاتل غالب أبي الفرزدق. البيان٣: ٢١٤،٣٢٦ ومحاضرات الراغب٢: ٧٤.

وفي الأصل: (محزوز) صوابه في البيان. وفي المحاضرات: (محرور) محرفة أيضاً.

وأصل المجرور يشق لسانه لئلا يرضع، يقال جَرَّ الفصيل، وأَجَرَّه.

قال عمرو بن معد يكرب:

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح أَجَرَّتِ

(هـ)

(٢) البيت من الطويل، وقبله بيت يقول فيه:

وما كنت نوَّاماً ولكن ثائراً أناخ قليلاً فوق ظهر سبيل

وقوله: فأصبحت أدري اليوم كيف أقول: أي أصبحت لا أدري على حذف (لا) كما قال امرئ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصال

أي: لا أبرح.

ومن الأبيات في ذلك المعنى قول مالك بن الريب:

خذاني فجُرَّاني ببردي إليكما فقد كان قبل اليوم صعباً قيادياً

وقريب منه ما جاء في المضرب رقم ٧٢

٩٠- وإذا ذكر إخوانه الذين سلفوا أنشد:

أولئك إخوان الصفاء رزئتهم ... وما الكف إلا إصبعٌ ثم إصبعُ[(١)(٢)]

---

(١) البيت لأبي حناك البراء بن ربعى الفقعسي، في الحماسة ١ : ٣٥١ والمضنون به على غير أهله لعز الدين الزنجاني ٣٤٤ طبع ١٣٣١ . وقبله:

أبعد بني أمي الذين تتابعوا ... أُرَجِّي الحياة أم من الموت أجزع

ثمانية كانوا ذؤابة قومهم ... بهم كنت أعطي ما أشاء وأمنع

(هـ)

(٢) البيت من الطويل، وقريب منه قول العباس بن عبدالمطلب ﷺ:

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التي أنت تعلم

وقول الصِّمَّة بن عبدالله القشيري:

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني ... على كبدي من خَرَّه أن تَقَطَّعا

وقول الشريف المرتضي:

وكيف صفاءُ العيشِ للمرء بعدما ... تغيَّب عنه رهطُه وأصادقُه

وقول ابن الرومي -ويكاد يكون أولَ مَنْ عللَ حُبَّ الأوطانِ، والحنين إلى الماضي-:

وحَبَّبَ أوطانَ الرجال إليهمُ ... مآربُ قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكَّرتهمُ ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «لا سرور يعدل صحبة الإخوان، ولا غمَّ يعدل فراقهم، والغريب من فقد إلفه لا من فقد منزله، وأنشد:

وا حسرةً للفتى ساعة ... يعيشها بعد أودَّائه

عمرُ الفتى لو كان في كفه ... رمى به بعد أحبائه

٩١ - وإذا نجب ابن امرئ بعد موته أنشد :

لعمـرك مـا وارى الـتراب فِعَالَـه ولكنـه وارى ثيابـاً وأعظـما[(١)(٢)]

(١) أنشده أبو تمام في الحماسة ١ : ٣٨٣ ولم ينسبه . وقبله :

إذا ما امـرؤ أثنـى بـآلاء ميـت فـلا يَبْعَـدِ الله الوليـد بـن أدهـما

فـما كـان مفراحـاً إذا الخـير مـسه ولا كـان منانـاً إذا هـو أنعـما

ونـادى المنـادي أول الليـل باسـمه إذا أجحـر الليـل البخيـل المـذمما

(هـ)

(٢) البيت من الطويل، وقريب منه قول الشاعر:

المـرء يـورث جـوده أبنـاءه ويمـوت آخـر وهـو في الأحيـاء

وقول ابن الرومي:

كم من أب قد علا بابن ذُرى شرفٍ كـما عـلا برسـول الله عـدنان

قال الثعالبي عن هذا البيت: «أحسن ما قيل في ارتفاع الأب بابنه».

أحسن ما سمعت ص٢٩

وقريب منه ما في المضربين ٩ و ١١٩ .

٩٢- وإذا رأى رجلاً يتكلف ما لا يستطيعه أنشد :

إذا لم تستطع شيئا فدعه [١] [٢]

---

(١) لعمرو بن معديكرب في الحيوان ٣ : ١٣٨، وحماسة البحتري ٣٧٥، والأغاني ١٤: ٣١، ٣٦، ٣٧ . وعجزه :

وجاوزه إلى ما تستطيع (هـ)

(٢) البيت من البسيط، وقريب منه قول يحيى بن زياد:

وإذا تـوعَّر بَعْـضُ مـا تـسعى لـه   فاركب من الأمر الذي هـو أسـهل

وقال:

إذا كَـــدُرت عليـــك أمـــورُ وردٍ   فَجُـــزْه إلى مـــوارد صـــافيات

وقال زياد بن منقذ:

إذا سُدَّ باب عنك مـن دون حاجـة   فَــدَعْها لأخـرى لَـيِّن لـك بابهـا

وقريب منه ما جاء في المضرب رقم ٧٠ .

٩٣- وإذا استحقره قوم، وتعرضوا لأكبر منه أنشد:

ذباب طار في لهوات ليث[1]

---

(١) البيت من الوافر، وهو للفرزدق، وعجزه:

كذاك الليث يلتهم الذبابا

وقريب منه حال الشافعي رحمه الله لما خرج إلى مصر قُطع عليه الطريق، فدخل بعض المساجد، وليس عليه إلا حزمة؛ فدخل الناس، ولم يلتفت إليه أحد، فَعَزَّت عليه نفسه؛ فقال:

علي ثياب لو تباع جميعها	بِفَلْسٍ لكان الفَلْسُ منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها	نفوس الورى كانت أجل وأكبرا

ونحوه قول الأول:

إذا تلاقى الفيول وازدحمت	فما مقام البعوض في الوسط

٩٤- وإذا تجاهل عليه متجاهل أنشد:

إنا لتوزن بالجبال حلومنا ويزيد جاهلنا على الجهال(١)(٢)

---

(١) لحسان بن حنظلة بن أبي رهم الطائي في الحماسة ٢ : ٣١٧ ومجموعة المعاني ٤٥ وهو في ديوان الفرزدق ٧٣٠ ونسب في الخزانة ٣ : ١٠٧ والنقائض ٢٨٤ إلى الفرزدق -أيضاً-.
وفي المؤتلف للآمدي ١٢٤ أنه للراهب الطائي، وهو حنظلة والد حسان المتقدم ، وأن الفرزدق قد سرقه وأدخله في قصيدته . (هـ)

(٢) البيت من الكامل، وقريب منه قول الفرزدق:

أحلامنا تزن الجبال رزانة وَتَخَالُنا جِنّاً إذا ما نجهل

وقوله:

وما حلَّ من جهل حِبى حلمائنا ولا قائل المعروف فينا يعنَّفُ

وقول مروان بن أبي حفصة:

ثلاث بأمثال الجبال حباهم وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

وقول بشار:

قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمي أصمُّ وأذني غير صماءِ

وقول شاعرٍ قديم يمدح رجلاً بالكرم، والاحتفاظ بكرامة جلسانه، وتوقير مجلسهم:

فتىً مثل ضوء الماء ليس بباخلٍ بخيرٍ ولا مهدٍ ملاماً لباخلِ
ولا قائلٍ عوراءَ تؤذي جليسَه ولا رافع رأساً بعوراءِ قائلِ

٩٥- وإذا نعي له رئيس من رؤساء أو عشيرته أنشد:

إذا شـذ منـا سـيد قـام سـيد قـؤول لمـا قـال الكـرام فعـول(١)

وأنشد أيضاً:

إذا قَمَـرٌ منـا تَغَـوَّرَ أو خبـا بـدا قمرٌ مـن جانـب الأفـق يلمـع(٢)(٣)

---

(١) للسموأل بن عاديا، من أبيات في الحماسة ١ : ٢٧ - ٣١، والحيوان ٦ : ٤٢٣، والبيان ٤ : ٦٨، والقالي ١ : ٢٦٩.
والرواية في الحماسة والقالي: (إذا سيد منا خلا قام سيد). (هـ)

(٢) البيت لأبي يعقوب الخريمي في الحيوان ٣ : ٩٤ والوساطة ١٥٩. (هـ)

(٣) البيتان من البحر الطويل، ومعنى البيتين يدور على أنهم قوم يخلف بعضهم بعضاً في الرياسة، والسيادة، وليسوا كمن هم فوضى لا سراة لهم، كما قال الأول:

ولمـا أن أتيـت بنـي جـوين جلوسـاً لـيس بيـنهم جلـيس
يئست مـن التـي قـد جئـت أبغـي لـديهم إننـي رجـل يـؤوس
إذا مـا قلـت أيهـم لأيٍّ تـشابهت المناكـب والـرؤوس

يعني أنهم لا رئيس لهم، ولهذا يقال: لا يزال الناس بخير ما تباينوا؛ فإذا تساووا هلكوا، كما قال أحدهم في ذم قوم:

سـواء كأسـنان الحـمار ولا تـرى لذي شيبة مـنهم عـلى ناشـئ فـضلا

وقريب من الشاهد قول الشاعر:

إذا مُقْـرِمٌ منـا ذرا حـدّ نابِـه تَخَمَّـط فينـا نـابُ آخـرَ مُقْـرِمِ

المقرم: السيد الرئيس من الرجال.

وقد استشهد بهذا البيت ليثُ الوغى مسلمةُ بنُ عبدالملك عندما دُلِّي بعضُهم في قبره، فتمثل بَعْضُ من حضر فقال:

فـما كـان قـيسٌ هلكُـه هلـكُ واحـد ولكنـه بنيـانُ قـومٍ تهـدما

فقال له مسلمة: لقد تكلمت بكلمة شيطان، هلا قلت:

إذا مُقْـرِمٌ منـا ذرا حـدّ نابـه تخمـط فينـا نـاب آخـر مقـرمِ

البيان والتبيين ٣/ ١١٩

٩٦- وإذا مطل إنسان ووعد بعد أنشد:

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى ... فإن غداً لناظره قريب[١][٢]

---

(١) في الأصل: (الناظرين) تحريف.

والبيت لقراد بن أجدع، كما في أمثال الميداني ١ :٦٣. لناظره: أي: لمنتظره. (هـ)

(٢) البيت ينسب لهدبة بن الخشرم، وهو من الوافر، وقريب منه قول السابوري:

إن الكريم يمنع المطالا ... في وعده وينجز النوالا

وقول البحتري:

واعلم بأن الغيثَ ليس بنافع ... للناس ما لم يأتِ في إبَّانه

وقول ابن عسكر الموصلي:

جود الكريم إذا ما كان عن عِدةٍ ... وقد تأخر لم يسلم من الكدر

إن السحائب لا تُجدي بوارقها ... نفعاً إذا هي لم تمطر على الأثر

وماطل الوعدِ مذموم وإن سمحت ... يداه من بعد طول المطل بالبِدَر

قوله: بالبدَر: جمع بَدْرة، وهي الجائزة التي مقدارها عشرة آلاف درهم؛ سميت بذلك لوفورها، وتمامها، قال بعضهم: وسمي القمر ليلة أربع عشرة بدراً؛ لتمامه.

وقيل: بل البَدْرة: جلدة السخلة إذا فطمت، والجذع من المعز يُملأ مالاً؛ فسمي المال بدرةً باسم الوعاء مجازاً. انظر العمدة لابن رشيق ٢/ ٢١٦

وقريب من هذا المضرب ما في المضارب ١٥ و ٩٨ و ١٠٦

٩٧- وإذا رأى قوماً ذوي صور ولا أحلام لهم أنشد:

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير[(١)(٢)]

---

(١) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ٢١٤ من قصيدة يهجو بها بني الحارث بن كعب.
وانظر الحيوان ٥: ٢٢٩ والخزانة ٤: ٣-٥٦ وسيبويه ١: ٢٥٤.

الأحلام: العقول. (هـ)

(٢) البيت من البسيط، وقريب منه قول ابن الرومي:

طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليس يحسن إلا وهو مصلوب

وقوله:

جمالُ أخي النُّهى كَرَمٌ وَخِيْرٌ وليس جمالَه عرضٌ وطولُ

وقول القائل:

وهل ينفع الفتيان حسنُ إذا كانت الأخلاق غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على فما كل مصقول الحديد يماني

وقول عمرو بن معديكرب:

ليس الجمال بمئزر فاعلم إذا رديت بردا
إن الجمال معادنٌ ومناقبٌ أَوْرَثْنَ مجدا

وقول أبي الطيب:

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائق

وقول الآخر:

ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم يزن حُسْنَ الجسوم عقولُ

وقول القاسم الواسطي:

لا خير في أوجه صِباح تسفر عن أنفس قباح

وقول آخر:

وما حسن الرجال لهم بزين إذا لم يسعد الحسنَ البيانُ

=

= وقول المعري:

إذا كان في لبس الفتى شرف له ... فما السيف إلا غمده والحمائل

وقول آخر:

وما السيف إلا بزٌّ غادٍ يزينه ... إذا لم يكن أمضى من السيف حامله

وقول آخر:

فما المرءُ إلا الأصغرانِ: لسانه ... ومعقوله والجسم خلقٌ مصور

وقول آخر:

وما الزين في ثوب تراه وإنما ... يزين الفتى مخبوره حين يُخْبرُ

وقول آخر:

فإن طُرَّة راقتك منه فربما ... أمَرَّ مذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ

وقال آخر حاثاً على أن يتوافق حسن المعنى مع حسن المبنى:

ويا جميل الوجه كن محسناً ... لا تخلطن الشين بالزين

٩٨- وإذا اقتضى صديقاً وعداً أنشد:

قضى كل ذي دين فَوفَّى غريمه وعزةُ ممطولٌ معنىً غريمُها[(١)(٢)]

(١) البيت لكثير عزة في حماسة ابن الشجري ١٥٤، والأغاني ٨: ٣٥-٣٦ ومحاضرات الراغب ١: ٢٢٩. (هـ)

(٢) البيت من الطويل، ومعناه: واضح وهو أن أصحاب الديون استوفوا ديونهم، ووفَّاهم إياها غرماؤهم، عدا عزة؛ فإن غريمها مُتْعَبٌ مؤخر عنه الوفاء.

وقريب منه قول أبي تمام:

وخيرُ عِداتِ المرء مختصراتها كما أن خيراتِ الليالي قصارُها

ومعنى عدات: جمع عِدَة، وهي الوعد.

وقوله:

ولا شك أن الخير منك سجية ولكن خيرَ الخيرِ عندي المُعَجَّلُ

وقريب من هذا المضرب ما في المضارب ١٥ و ٩٦ و ١٠٦

٩٩- وإذا شيع فريقين وأخذ كل واحد غير طريق الآخر أنشد :

فريقان منهم سالك بطن نخلة وآخر منهم سالك نجد كبكب(١)(٢)

---

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٧٧ ومعجم البلدان ،(رسم كبكب) . (هـ)

(٢) البيت من الطويل، ونحوه قول بشار:

حدا بعضهم ذات اليمين وبعضهم شمالاً وقلبي بينهم متوزع

أشاروا بتسليم فَجُدْنا بأنفس تسيل من الآماق والسُّمُ أدمع

١٠٠- وإذا لم يزره أخوه زاره هو وأنشد:

أزوركم لا أكافيكم بجفوتكم   إن المحب إذا لم يستزر زارا[1]

---

(١) البيت للعباس بن الأحنف في ديوانه ٧٣، وخاص الخاص ٩٣، ومحاضرات الراغب ٣٠٥ برواية: (نزوركم لانكافيكم).
وفي الأصل هنا: (لأكافيكم)، تحريف. وبعده في الديوان:

ستقرب الدار شوقاً وهي نازحة   من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

وفي محاضرات الراغب ٢ : ١٥ : (يقرب الشوق دارا). (هـ)

وأنشد -أيضاً-:

وما كنت زوّاراً ولكن ذا الهوى إذا لم يُزَرْ لابد أَنْ سيزور[(١)(٢)]

---

(١) للأحوص. الكامل ٣٢١ ليبسك. وقبله:

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور

(هـ)

(٢) البيت الأول من البسيط، والثاني من الطويل، ومعنى البيتين واضح فهما يدوران على أن المحب العاقل لا يكافئ الجافين القاطعين بذلك، وإنما يقابلهم بالصلة، والزيارة؛ فليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ.

وقريب من معنى البيتين قول جحظة البرمكي:

وإذا جفاني صاحب لم أستجز ما عشت قَطْعه

وقول الآخر:

ولما أبيتم أن تزوروا وقُلْتُمُ ضعفنا فلم نقدر على الوَخَذانِ

أتيناكمُ من بُعْدِ أرضٍ نزوركمْ وكم منزلٍ بكرٍ لنا وعَوَانِ

وقول ابن المقري:

والْقَ الأحبة والإخوان إن قطعوا حبل الوداد بحبل منك مُتَّصلِ

فَأَعْجَزُ الناسِ حُرٌّ ضاع من يده صديقُ ودٍّ فلم يَرْدُدْهُ بالحيل

استصف خِلَّك واستخلصه أسهل من تبديلِ خِلٍّ وكيف الأمن بالبدل

واحمل ثلاث خصال من مطالبه احفظه فيها ودع ما شئته وقلِ

ظلمُ الدلالِ وظلمُ الغيظِ فاعفهما وظلمُ هفوته واقسط ولا تَمِلِ

وقال أبو حيان التوحيدي: «وسمعت أبا دُلفٍ الخزرجي يقول: أنا أستجفي الشاعر الذي يقول:

والله لا كنتَ في حسابي إلا إذا كنتُ في حسابك

فإن تزرني أزرْك أو إن تَقِفْ ببابي أقفْ ببابك

=

= وكان يقول: ما هذه الغلظة والفظاظة؟ وما هذه المكايسة والمصادقة؟ أفليس لو قابلك صاحبك بمثل هذا الأمر وقف الأمر بينكما، وانتكث حبل المودة عنكما؟ ودبَّت الشحناء في طيِّ حالكما؟». كتاب الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي ص ١٤٢

١٠١- وإذا وصف رجلاً بالعفة والإعراض عن الزنا[1] أنشد:

والله لــو كانــت الــدنيا وزينتهــا ... في بطــن راحتــه يومــا لألقاهــا[2]

(١) لعل العبارة الصحيحة التي تناسب الشاهد أن يقال: وإذا وَصَفَ رجلاً بالعفة، والإعراض عن الدنيا أنشد.

(٢) البيت من البسيط، وقريب مما يناسب المضرب قول الكريزي:

وعــفٌ يُــسمَّى عــاجزاً لعفافــه ... ولـولا التقـى مـا أعجزتـه مذاهبـه

وقول البحتري:

يضمُّ عن الفحشاء فضلَ ثيابه ... ويــدنو وأطــرافُ الرمــاح دوانِ

وقول البشير الإبراهيمي:

فيــا أخــاً عرفتُــه عــفُّ النَّظــرْ ... عفّ الخطى عف اللســان والفِكَــرْ

١٠٢- وإذا قيل له: إن أمثالك قليل أنشد:

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل(١)(٢)

(١) للسموأل بن عاديا .(هـ)

(٢) البيت من الطويل، والمعنى: أن قِلَّتنا لا تضرنا ما دمنا أعزةً، وجيرانُنا ينعمون بتلك العزة، بينما غيرنا كثير، ولا يمنعون الضيم عن جارهم.

وأنسب منه للمضرب قول السموأل -أيضاً-:

تعيِّرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها: إن الكرام قليل

وقريب من ذلك في معنى الجودة والصحة والكمال قول الشاعر:

وإن الناس جمعهمُ كثير ولكن من يُسَرُّ به قليل

وقول الآخر:

وقد كنا نعدهم قليلاً فقد صاروا أقل من القليل

وقول الآخر:

وما أكثر الإخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

١٠٣- وإذا ولي رجل ولاية، وأُثْنِيَ عليه بها أنشد:

وإذا الـدر زان حسنَ وجوهٍ ... كان للدر حسنُ وجهِك زينا[(١)(٢)]

---

(١) أنشده الجاحظ في البيان ١ : ١٩٥ والجرجاني في الوساطة ٢٠٢ . وقبله أو بعده:

وتزيدين أطيب الطيب طيباً ... أن تَمَسِّيه أين مثلك أينا

وقال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبدالعزيز: من كانت الخلافة زانته فإنك قد زنتها، ومن كانت شرفته فإنك قد شرفتها ، فأنت كما قال القائل:

وإذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر : أُعطي صاحبكم مقولاً، ولم يعط معقولاً . عيون الأخبار ١ : ٩٣ .(هـ)

(٢) البيت من الخفيف، وقريب منه قول ابن الرومي:

وما الحليُ إلا حيلة من نقيصة ... تُتمم من حسنٍ إذا الحُسْنُ قصَّرا

وأما إذا كان الجمال موفراً ... كَحُسْنِكَ لم يَحْتَجْ إلى أن يزوَّرا

وقول أبي الطيب المتنبي:

الطيب أنت إذا أصابك طيبه ... والماء أنت إذا اغتسلت الغاسلُ

وقول الآخر:

إذا زيَّنَ الحسناءَ عِقْدٌ بجيدها ... فَأَحْسَنُ منه زينةً موضعُ العِقْدِ

١٠٤ - وكان يتمثل لمناظره، ويُعَرِّض له أنه لم يبلغ المبلغ بقول الشاعر:

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا[(١)]

---

(١) البيت من البسيط، والمعنى أن المجد لا ينال براحة البال، وإنما ينال بالتعب، والصبر.

وقريب منه قول أبي الطيب:

تريدين لقيان المعالي رخيصة ... ولا بد دون الشَّهد من إبر النحل

وقول العتابي:

وإن جسيات الأمور مشوبةٌ ... بمستودعات في بطون الأساود

وقول لبيد:

ومقام ضيِّقٍ فرَّجْتُه ... بلساني ومقالي وجدل

لو يقوم الفيل أو فَيَّالُه ... زل عن مثل مقالي وزحل

١٠٥- وإذا ذكر له رجل مضى فذلت أتباعه وبنو عمه بعد عز أنشد:

فتـى كـان مـولاه يحـل بِنَجْـوةٍ فحـل المـوالي بعـده بمـسيل(١)(٢)

---

(١) النجوة: المكان المرتفع. والمسيل: موضع السيل. والبيت لعقيل بن علقة في الحماسة ١: ٤١٠. وقبله:

لتغـد المنايـا حيـث شـاءت فإنهـا محللـة بعـد الفتـى ابـن عقيـل

(هـ)

(٢) البيت من الطويل، والمعنى: أن هذا السيد كان حصناً حصيناً لأتباعه، وأقربائه؛ وكانوا في ذُرا مَجْده بمكانٍ عالٍ؛ فلما مات نزلوا من عليائهم، ولقوا صغاراً بعد شمم، وخمولاً بعد نباهة.

وقريب من هذا الشاهد قول حميد بن ثور:

وكنـت لنـا جـبلاً مَعْقِـلاً وعنـد المقامـة بـرداً جمـيلا

وقول من قال في رثاء قيس بن عاصم المنقري سيدِ تميم:

وما كان قيس هُلْكُه هُلـكُ واحـد ولكنـه بُنيـانُ قـوم تهـدما

وقول أبي تمام:

كـأن بنـي نبهـان يـوم وفاتـه نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ

١٠٦- وإذا رأى إنساناً ملسور[١] له مطلاً ودفاعاً أنشد:

لقد جررت لنا حبل الشَّموس فلا ... يأساً مبيناً نرى منكم ولا طمعا[٢][٣]

(١) كذا وردت هذه الكلمة. (هـ)
ولعل الصواب: ميسوراً له مطل ودفاع.
أي إنسان ذو مال ومطل، ويسوغ لنفسه ذلك المِطال.

(٢) البيت للقيط بن يعمر الإيادي، من قصيدة له هي أول مختارات ابن الشجري، ينذر فيها قومه غزو كسرى إياهم، وكان لقيط كاتباً في ديوان كسرى، فلما رآه مُجْمِعاً على غزو إياد كتب إليهم بهذا الشعر، فوقع الكتاب بيد كسرى، فقطع لسان لقيط، وغزا إياداً.
الشَّموس بفتح أوله: النَّفُور من الدواب الذي لا يستقر لِشَغَبِهِ وحِدَّتِه. (هـ)

(٣) البيت من البسيط، ومعناه: أننا كَمَنْ يجر حَبْل الدابة النفور، فنحن لا نيأس من معروف ذلك الرجل، ولا نطمع فيه.
وقريب منه قول بشار يخاطب خالد بن برمك:

أظلَّت علينا منك يوماً سحابةٌ ... أضاءت لنا برقاً وأبطا رِشاشُها
فلا غيمها يُجلى فييأسُ طامعٌ ... ولا غيثها يأتي فيروى عِطاشُها

وقول القائل:

إذا ما جئت أحمد مستميحاً ... فلا يغررك منظره الأنيق
له ظُرف وليس لديه عُرفٌ ... كبارقة تروق ولا تريق
فما يخشى العدو له وعيداً ... كما بالوعد لا يثق الصديق

وقول ابن الرومي:

طال المِطال فلا خلودَ فحاجةٌ ... مقضيةٌ أو بردُ ياسٍ ينقع
واعلم بأني لا أُسَرُّ بحاجة ... إلا وفي عمري لها مستنقع

=

= وقريب منه قول بعض المولَّدين:

إذا نِلْتَ العطية بعد مَطْلٍ ... فلا كانت وإن كانت جزيلهْ

فسقياً للعطية ثم سقياً ... إذا سهلت وإن كانت قليلهْ

وقول الحماسي:

سئمت من الوقوف على الطريق ... أطالب بالقديم من الحقوق

وأنكد ما سمعت به طليحٌ ... يُعَلَّلُ باللوامع والبروق

الطليح: الذي خلا جوفه من الطعام.

وهذا المضرب قريب مما جاء في المضارب ١٥ و ٩٦ و ٩٨

١٠٧- وإذا رأى رجلاً هَمُّهُ نَفْسُه لا غيره أنشد :

دَعِ المكـــارمَ لا ترحَـــلْ لبغيتهـــا ... واقعد فإنك أنـت الطـاعم الكـاسي(١)(٢)

(١) البيت للحطيئة في ديوانه ٥٤ من قصيدة يهجو بها الزبرقان بن بدر.
الطاعم الكاسي: ذو الطعام والكسوة، أو هو المُطْعَمُ المَكْسُوّ كما في قول الله: (عيشة راضية) أي مرضية ، انظر اللسان (كسا) . (هـ)

(٢) البيت من البسيط وقريب منه قول حاتم الطائي:

لحـى الله صـعلوكاً منـاه وهمُّـه ... من العيش أن يلقى لبوساً ومطعما

وقول الآخر:

إذا مـا الفتـى لم يبـغ إلا لباسـه ... ومطعمـه فـالخير منـه بعيـد

١٠٨- وإذا لاجَّه[١] إنسان وطاوله أنشد:

إذا مــــا تحـــدثت في مجلــس ... تنــاهى حــديثي إلى مــا عَلِمْــتُ[٢][٣]

(١) الملاجة: التمادي في الخصومة.
وفي الأصل: (الملاحة)، تحريف. (هـ)

(٢) البيت ليزيد بن الوليد بن عبد الملك، كما في عيون الأخبار ٢: ١٢٥. وبعده:

ولم أَعْــدُ علمـــي إلى غــيره ... وكــان إذا مــا تنــاهى قَــصرتُ

(هـ)

(٣) البيت من بحر المتقارب، والمعنى أنني لا أتحدث إلا بما أعلم، ولا أتكلف ما لا أعلم.
ونحوه قول زيادة بن يزيد:

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنـده ... أطــال فــأملي أم تنــاهى فَأُقْــصِرا

وقول أعشى ربيعة:

وفـضَّلني في الـشعر واللُّـبِّ أننـي ... أقول على علـم وأعلـم مـا أَغنِـي

١٠٩- وإذا رأى امرأ تأمل حاشية زائره وغاشيته[١] أنشد:

وإذا مـــا جهلـــت ودَّ صـــديق فـــاعتبر مـــا جهلـــت بـــالغلمان

إن وجـــه الغـــلام يخـــبر عـــما في ضـــمير المـــولى مـــن الكـــتمان[٢]

---

(١) غاشية الرجل: من ينتابه من زواره وأصدقائه. (هـ)

(٢) البيتان من الخفيف، وهما لابن أبي عيينة كما في رسائل الجاحظ ص٩٣، ومعناها: أنك إذا أردت أن تعرف مكانك عند صديقك فانظر في استقبال غلمانه لك، ونظرهم إليك، وفرحهم بك، أو العكس من ذلك؛ فإن الغلام يعرف تلك الأحوال من سيده؛ لشدة قربه منه، وسماعه آراءه في الناس.

ونحوهما:

وأول خَـيْرٍ مـن صـديقٍ أَفَدْتـه رجوعي بتسهيل الصديق حجابي

وأعـرف مـا لي عنـده بغلامـه وبالبـشر منـه عنـد رجـع جـوابي

وقريب من ذلك قول الآخر:

اعلمـــنْ إن كنـــتَ تعلمـــه أن عِـــرض الـــمَلْكِ حاجبـــه

فَبِـــهِ تبـــدو محاســـنه وبـــه تبـــدو معايبـــه

ومنه قول ابن هَرمة يمدح رجلاً:

هَـشٌّ إذا نـزل الوفـود ببابـه سـهل الجنـاب مـؤَدبُ الخـدام

١١٠- وإذا رأى رجلاً انتمى إلى قوم غير كرام أنشد:

فَغُضَّ الطرف إنك من نمير فأصلهم ومنبتهم لئيم(١)(٢)

---

(١) كذا ورد إنشاده، والمعروف بيت جرير في ديوانه ٧٥:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

(هـ)

(٢) البيت من الوافر، قال أبو هلال العسكري: «قالوا: أهجى بيت قول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

كتاب ديوان المعاني ١/ ٣٦١

قال ابن رشيق القيرواني رحمه الله: «وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة، وقيل: سماها جرير الدَّمَّاغة». العمدة ١/ ٥١

وقال أبو هلال رحمه الله: «أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس، قال: قال عبدالملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه: هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شِعْرٌ ودُّوا أنهم افتدوا منه بأموالهم، وشِعْرٌ لم يَسُرَّهم به حُمُرُ النَّعم؟ فقال أسماء بن خارجة: نحن يا أمير المؤمنين، وقال: وما قيل فيكم؟ قال: قول الحارث بن ظالم:

وما قومي بثعلبة بن سعدٍ ولا بفزارةَ الشُّعْرِ الرقابا

فوالله يا أمير المؤمنين إني لألبس العمامة الضعيفة، فيخيَّل لي أن شَعْرَ قفاي قد بدا منها.

وقول قيس بن الخطيم:

هَمَمْنا بالإقامة ثم سِرْنا مسيرَ حذيفةَ الخيرِ بنِ بدرِ

فما يسرنا أنه بها أو بِهِ سودَ النَّعَم.

فقال هانئ بن قبيصة: أولئك نحن يا أمير المؤمنين، قال: وما قيل فيكم فيكم؟ قال: قول جرير:

فغضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

=

= والله لوددنا أننا افتديناه بأملاكنا، وقول زياد الأعجم:

لعمـرك مـا رِمـاحُ بنـي نمـير ... ببالغـة الـصدور ولا مَـصارِ

فو الله ما يسرنا به حُمُرُ النعم. كتاب ديوان المعاني ١/ ٣٦١-٣٦٢

وقال أبو هلال -أيضاً-: «وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني، قال: مرت امرأة ببني نمير، فتغامزوا إليها فقالت: يا بني نمير لم تعملوا بقول الله -تعالى-، ولا بقول الشاعر: يقول الله -تعالى-: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النور: ٣٠).

ويقول الشاعر جرير:

فغض الطرف إنك من نمير

فخجلوا، وكان النميري إذا قيل له ممن أنت؟ قال: من نمير، فصار يقول من بني عامر ابن صعصعة.

ولو قيل: إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو:

ولـو تُرْمَـى بلـؤم بنـي كليـب ... نجومُ الليل مـا وضـحت لـساري

ولـو يُرمـى بلـؤمهم نهـارٌ ... لـدنَّس لُـؤْمُهُمْ وضَـحَ النهـار

وهذا مثل قول الآخر:

ولو أن عبد القيس ترمي بلؤمها ... على الليل لم تَبْدُ النجومُ لمن يسري

وقال: أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى:

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم ... وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

ديوان المعاني ١/ ٣٦٢-٣٦٣

١١١- وإذا سبر حال صديق له فلم يحمده أنشد:

وما كل إخوان الفتى طوع همه ولا كل عود نابت بنضار[(١)(٢)]

---

(١) النضار: شجر الأثل، وهو أجود الخشب للآنية والأقداح. (هـ)

(٢) البيت من الطويل، ومعناه: أنه ليس كل صديق يكون لك كما تريد، بل هم يتفاوتون في ذلك كثيراً، وتجد فيهم من يُخْلِفُ ظنك فيه.

وقريب منه قول الأول:

وإخوان حسبتهم دروعاً فكانوها ولكن للأعادي

وقول الآخر:

وما كل من صادقتهم بأصادقٍ وما كل من صاحبتهم بصحاب

وفي الناس من يُجْلي لك المرَّ خدعةً وترجع من جَنَّاتِه بِعَذَاب

١١٢- وإذا توعَّده مَنْ لا يصدقُ في وعده أنشد(١):

فانظر إلى كفٍ وأسرارها هل أنت إن أوعدتني ضائري(٢)(٣)

---

(١) لعل الأنسب أن يقال: إذا توعده من لا يصدق في وعيده، أو تهديده؛ لأن المقام مقام عداوة وشنآن، ووعيد وتهديد، فهذه القصيدة قالها الأعشى في هجاء علقمة بن عُلاثة، ومَدْحِ عامر بن الطفيل في المناظرة التي جرت بينهما.

وقد قال الأعشى في البيت الذي قبل هذا البيت مخاطباً علقمة:

أجذعاً تُوعِدُني سادراً لستَ على الأعداء بالقادر

(٢) البيت للأعشى في ديوانه ١٠٧، واللسان (سرر) والمقاييس (سر)، الأسرار: خطوط باطن الراحة، واحدها سر. (هـ)

هكذا قال الأستاذ عبدالسلام هارون رحمه الله في معنى الأسرار، وهو صحيح من جهة أن الأسرار هي خطوط باطن الراحة.

لكن لعل المعنى الذي أراده الأعشى أن الأسرار هي: جمع سِرّ، وهو الغيب، فيكون المعنى: انظر إلى الكف، وما انطوت عليك من غيب وأسرار، ثم خبِّرني: هل أنت إن أوعدتني ضائري؟!

وقوله: فانظر إلى كف: كانوا في الجاهلية ينظرون إلى الكف، ويرون فيها دلائل المستقبل. انظر ديوان الأعشى الكبير شرح وتعليق د. محمد محمد حسين ص ١٤٤ـ١٤٥

ولا ريب أن ذلك خرافة من خرافات أهل الجاهلية، وهي ما يعرف الآن بقراءة الكف، أو علم الأسارير؛ وهو علم باحث في الاستدلال بالخطوط الموجودة في الأكف، و الأقدام، والجباه، بحسب التقاطع، و التباين، والطول، والعرض، والقِصَر، وبحسب ما بينها من الفروج المتسعة، أو المتضايقة ـ على أحوال الإنسان من طول الأعمار، وقصرها، والسعادة، والشقاوة، والغنى، والفقر، وما شابه ذلك.

(٣) البيت من السريع، والمعنى: هل أنت يا علقمةُ قادر على إلحاق الضرر بي حين تهددني؛ لا إخالك كذلك.

=

= ولهذا قال الأعشى بعد هذا البيت:

إني رأيت الحرب إن شمرت دارَت بِكَ الحربُ مع الدائرِ

حولي ذوو الأكمال من وائل كالليل من بادٍ ومن حاضر

إلى آخر ما قال في هذا المعنى.

ونحوه قول القائل:

فَدعِ الوعيد فما وعيدك ضائري أطنين أجنحة الذباب يضير

وقول الآخر:

أبرق وأرْعِد يا يزيدُ فما وعيدك لي بضائر

وقريب من هذا المضرب ما جاء في المضرب رقم ٧٦ .

١١٣- وإذا نُعِي له شخص أنشد:

علـى صـخر وأي فتـى كـصخر ليـوم كريهـة وسِـداد[1] ثغـر[2][3]

(١) السِّداد: بالكسر: ما سُدَّ به، والجمع: أسِدَّة.

وأما السَّداد بالفتح فمعناه الإصابة في المنطق والرمي. انظر لسان العرب ٣/ ٢٠٧ـ٢٠٨

(٢) البيت ملفق من بيتين، أحدهما للخنساء في رثاء أخيها صخر، وهو كما في الديوان ٢٣ وحماسة البحتري ٤٢٨:

علـى صـخر وأي فتـى كـصخر لِعَـانٍ عائـلٍ غلـقٍ بَـوْترِ

والآخر للعرجي في نزهة الألباء ١١٣ واللسان (سدد):

أضـاعوني وأي فتـى أضـاعوا ليـوم كريهـة وسِـدَاد ثغـر

وقد يقع التلفيق في استشهادات ابن فارس. انظر المقاييس (شنأ، علق، فأو). (هـ)

(٣) البيت من الوافر، وقريب منه قول متمم بن نويره في رثاء أخيه مالك:

نعيتَ امرأ لـو كـان لَحمُـكَ عنـده لآواه مجموعـاً لـه أو مُمَزَّعـاً

١١٤- وإذا رأى رجلاً اتهم بِدِعْوة[١] أنشد:

زنـــيم تـــداعاه الرجـــال زيـــادة كما زيد في عـرض الأديـم الأكـارع[٢][٣]

(١) الدِّعوة بكسر الدال: ادعاء الولد غير أبيه، يقال: دَعي بيِّنُ الدِّعوة.
قال ابن الأعرابي: المُدَّعي: المتهم في نسبه، وهو العيّ. انظر لسان العرب ١٤/ ٣٦١.

(٢) البيت للخطيم التميمي، جاهلي، ويروى لحسان بن ثابت، كما في اللسان (زنم) والكامل ٥٦٧ ليبسك. ورواه ابن فارس في المقاييس (زنم) بدون نسبة.
والزنيم: المستلحق في القوم وليس منهم.
الأديم: الجلد، وفي الكنايات للجرجاني ١٥: «ويكنون عن الدعي بأكارع الأديم». قال الفرزدق:

وأنـــت زنـــيم في كليـــب زيـــادة كما زيد في عرض الأديم الأكـارع

(هـ)

(٣) البيت من الطويل، وقريب منه قول عثمان بن الحويرث:

لــه أبــوانِ فهــو يُــدعى إلــيهما وشرُّ العبـــادِ مـــن لـــه أبـــوانِ
وقــد حَكَّـــا فيــه لتــصدق أمُّــه وكـــان لهـــا علـــم بـــه وبيـــان
فقالت: صراخٌ وهـي تعلـم غـيره ولكنهـــا تهـــذي بغـــير لـــسان

١١٥- وإذا رأى عدواً مخاشناً أنشد :

بنـــي تمـــاضر إني لا أحـــبكما ولا ألـــــومكما ألا تحبـــــاني[1]

---

(١) البيت من البسيط، وقريب منه قول الفضل العباس اللهبي:

مهـلاً بنـي عمنـا مهـلاً موالينـا لا تنبـشوا بيننـا مـا كـان مـدفونا

الله يعلـــم أنـــا لا نُحِـــبُّكُمُ ولا نلـــــومكم ألا تُحِبُّونـــــا

١١٦- وإذا قعد عن صديق بعذر أنشد:

فلا بأس بالهجر الـذي لـيس عـرقلاً إذا شـجرت عهـد الحبيـب شـواجر(١)(٢)

---

(١) في الأصل: «بالهجران» ولا يستقيم به الوزن، وباقي الصدر بعدها كذا ورد في الأصل.
ويقال شجر الشيء: صرفه ونحاه. (هـ)

(٢) البيت من الطويل، والمعنى: أنه لا بأس بالهجر الذي يكون لعذر ما دامت القلوب منطويةً على الود، على حد قول القائل:

إن التباعدَ لا يضُرُّ إذا تقاربت القلوب

وقول الآخر:

إن جـرى بيننـا وبينـك هجـر وتنـاءت منـا ومنـك الـديارُ
فالغليـل الـذي عَلِمْـتَ مقـيم والـدموع التـي عهـدتَ غِـزارُ

وقول الآخر:

أحـسنوا في وصـالكم أو فـسيئوا لا عـدمناكم عـلى كـل حـال

١١٧- وربما وصل حديثه عن الزمن الأول بقوله :

إِذِ النـــاسُ نـــاسٌ والزمـــانُ بغـــرة وإذ أمُّ عـــمارٍ صـــديق مـــساعف[(١)(٢)]

(١) يفهم من صنيع اللسان (سعف) أنه لأوس بن حجر ، ولم أجده في ديوانه. (هـ)

(٢) البيت من الطويل، وهو لأوس بن حجر كما في ديوانه ص ٤٦.

وقريب منه قول لبيد:

ذهـب الـذين يعـاش في أكنـافهم وبقيت في خَلْفٍ كجلـد الأجـرب

وقول حسان:

لله در عـــصابة نـــادمتهم يومـــاً بجلَّـــقَ في الزمـــان الأول

وقريب منه قول أبي الطيب:

سـقى الله أيـام الـصبا مـا يـسرها ويفعـــل فعـــل البـــابلي المعتـــق

١١٨- وإذا ذكر رجل بجود وسماحة أنشد :

يومان يومٌ يفيض نائله وخيرُ يومٍ ما بقيت غدا[(١)(٢)]

---

(١) أقاته : أعطاه قوته، ولعل الكلام : «وخير يوميه». (هـ)

(٢) البيت من المنسرح، وقريب منه قول أحدهم:

متدفقاً صقلوا به أحسابهم إن السماحة صيقل الأحساب

وقول الفرزدق، وقد دخل على يزيد بن المهلب وهو محبوس، فلما رآه مقيَّداً قال له الفرزدق:

أصبح في قيدك السماحةُ والجو دُ وحملُ الدياتِ والحسبُ

لا بطِرٌ إنْ ترادفت نِعمٌ وصابرٌ في البلاءِ محتسبُ

فقال له يزيد: ويحك! أتمدحني وأنا في هذه الحالة؟

فقال الفرزدق: وجدتك رخيصاً فاشتريتك.

فرمى إليه يزيدُ بخاتمٍ كان في أصْبُعه قيمته ألف دينار، وقال له: ويحك! أمسكه إلى أن يأتيك رأسُ المال. انظر كتاب نوادر في الأدب لمحمد المكي بن الحسين ص١٠١

وقول الأعشى في المحلق:

ترى الجود يجري ظاهراً فوق كما زان مَتْنَ الهندوانيِّ رونقُ

هذا البيت من قصيدة مشهورة ، ولها قصه معروفة تكاد تكون من أشهر القصص في الشعر العربي، ألا وهي قصيدة الأعشى التي قالها في المُحلَّق، فرفعته بعد خمول.

قال ابن رشيق القيرواني رحمه الله : «فممن رفعه ما قيل فيه من الشعر بعد الخمول المحلقُ؛ وذلك أن الأعشى قَدِم مكةَ، وتسامع الناس به، وكانت للمحلَّق امرأة عاقلة -وقيل: بل أمٌّ- فقالت له: إن الأعشى قَدِم، وهو رجل مُفوَّه، مجدود فى الشعر ، ما مدح أحداً إلا رفعه، ولا هجا أحداً إلا وضعه، وأنت رجل -كما علمتَ- فقيرٌ خاملُ الذِّكر ذو بنات، وعندنا لَقحَةٌ نعيش بها، فلو سبقت الناس إليه، فدعوتَهُ إلى الضيافة، ونحرت له، واحتلتُ لك فيما تشتري

=

= به شراباً يتعاطاه ـ لَرَجوت لك حسن العاقبة؛ فسبق إليه المُحَلَّقُ، فأنزله، ونحر له، ووجد المرأة قد خبزت خبزاً، وأخرجت نِحْياً فيه سمن، وجاءت بوَطْب لَبَنٍ، فلما أكل الأعشى وأصحابه، وكان في عصابة قيسية قَدَّم إليه الشراب، واشتوى له من كبد الناقة، وأطعمه من أطايبها؛ فلما جرى فيه الشرابُ، وأخذتْ منه الكأسُ سأله عن حاله وعياله، فعرف البؤس في كلامه، وذكر البنات، فقال الأعشى: كُفِيْتَ أمْرَهن، وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته:

أرقتُ وما هذا السهاد المؤرقُ ... وما بيَ من سُقْم وما بيَ معشقُ

ورأى المحلق اجتماع الناس، فوقف يستمع، وهو لا يدري أين يريد الأعشى بقوله، إلى أن سمع:

نفى الذمَّ عن آل المحلق جَفنةٌ ... كجابية الشيخ العراقيِّ تفهق

ترى القوم فيها شارعين وبينهم ... مع القوم ولْدان من النسل دَردقُ

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار باليفاع تحرقُ

تُشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلقُ

رضيعي لبانٍ ثدي أم تحالفا ... بأسحمَ داجٍ عَوضُ لا نتفرَّق

ترى الجود يَجرى ظاهراً فوق وجهه ... كما زان متن الهندوانيِّ رونق

فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المحلق يهنئونه، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جَرْياً يخطبون بناته؛ لمكان شعر الأعشى، فلم تُمْس منهن واحدة إلا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف». العمدة لابن رشيق ١/ ٤٨-٤٩

١١٩- وإذا خَبَرَ أن ولد رجل نجب أنشد:

وهـل ينبـت الخطـيَّ إلا وشـيجُه ... وتغـرس إلا في منابتهـا النخـل[1][2]

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ١١٥. الخطي: الرماح المنسوبة إلى الخط، وهي جزيرة بالبحرين.

والوشيج: القنا الملتف في منبته، الواحدة وشيجة: أي: لا تنبت القناة إلا القناة، ولا تغرس النخلة إلا بحيث نباتها وصلاحها. (هـ)

(٢) البيت من الطويل، وقريب منه قول نهشل بن حري:

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن ... لآبـاء سـوء يَلْقَهُـم حيـث سـيَّرا

أرى كـلَّ عـودٍ ثابتـاً في أرومـة ... أبـى نـسبُ الفتيـان أن يتغـيرا

ونحوه قول البحتري:

وأرى النجابـة لا يكـون تمامهـا ... لنجيـب قـوم لـيس بـابن نجيـب

وقريب من هذا ما في المضربين ٩ و ١١٩

١٢٠- وإذا أسعفه رجل في أمره أنشد:

أناة امرئ يأتي الأمور بقدرة متى ما يرد لم يَعْيَ بالأمر مصدرا[1]

(١) البيت من الطويل، ونحوه قول إبراهيم بن العباس:

وربَّ أخ ناديته لِمُلِمَّةٍ فألفيته منها أجلَّ وأعظما

وقريب منه قول بشار:

خير إخوانك المشاركُ في المرْ رِ وأين الشريك في المرِّ أينا

الذي إن شهدتَ سرَّك في الحيِّ وإن غبت كان أذناً وعينا

وقول الشاعر:

أخٌ لي كَذَوبِ الشَّهْد طَعْمُ إخائِهِ إذا اشتبهت بيض الليالي وسودها

كأمنية الملهوف بذلاً ونائلاً وعوناً على عمياءِ أمرٍ يكيدها

وذوب الشهد: طعم العسل، والعمياء: المشكلة.

وقول أبي هلال العسكري:

وصاحب الصدق حسامٌ منتضى يزين في السلم ويكفي في الوغى

وقوله:

ليس حدُّ الحسام أكفى وأغنى من أخ ذي كفاية وغناء

وأخ المرء عصمة من بلاءٍ يعتريه وزينة في رخاء

وقول الآخر:

ليس جوداً أُعْطِيتَه بسؤال قد يهز السؤال غيرَ الجواد

إنما الجود ما أتاك ابتداءً لم تَذُقْ فيه ذلةَ الترداد

١٢١- وإذا مر بدار صديق له أنشد:

ألا حـــي الـــديار بِـــسَعْدَ إني أحـــب لحـــب فاطمـــة الـــديارا[(١)(٢)]

---

(١) البيت لجرير في ديوانه ٢٨٠، ومعجم اللسان (سعد)، وأنشده ابن فارس في مقاييس اللغة: (سعد) مع نسبته. (هـ)

(٢) البيت من الوافر، وقريب منه قول الأحوص:

يـــا دار عاتكـــة التـــي أتعـــزَّل حذر العدا والقلـب فيكِ موكـل

إني لأمنحـــكِ الـــصدود وإننـــي قـسماً إليـكِ مـع الـصدود لأَمْيَـلُ

وقول الآخر:

أمـــرُّ عـــلى الـــديار ديـــارِ لـــيلى أقبـــل ذا الجـــدار وذا الجـــدارا

ومـا حــبُّ الـديارِ شـغفن قلبـي ولكـنْ حـبُّ مَـنْ سـكن الـديارا

وقريب منه قول الشيخ محمد الخضر حسين لما مرت به السفينة شاطئ المرسى في تونس مقر إقامة صديقه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور:

قلبـي يحييـك إذ مـرت سـفينتنا تُجـاه واديـك والأمـواج تلـتطم

تحيـة أبـرق الـشوق الـشديدُ بهـا في سلك ودٍّ بأقصى الـروح ينتظم

١٢٢- وإذا حضر مَجْلِسَ مناظرة، وطلب منه الكلام جثا على ركبتيه وأنشد:

ولا ينجـي مـن الغمـرات إلا براكـاءُ القتـال أو الفـرارُ(١)(٢)

---

(١) لبشر بن أبي خازم في اللسان ومقاييس اللغة.
(برك) وهو ختام قصيدة له في المفضليات ٢: ١٤٥، والبراكاء: الثبات في الحرب والجد، وأصله من البروك. (هـ)

(٢) البيت من الطويل، ومعناه: أنه لا نجاة من الشدائد إلا بالثبات في الحرب، أو الفرار منها.
وقريب منه قول سعيد بن مقروم الضبي:

ودَعَـوْا نـزالِ فكنـتُ أولَ نـازلٍ وعـلام أركبـه إذا لم أنـزل

وقول إبراهيم الأصبهاني:

إذا ارتجـل الكـلام بـدا خليـجٌ بفيـه يمـده بَحْـرُ الكـلام
كـلام بـل مـدامٌ بـل نظـامٌ مـن اليـاقوت بـل حـبُّ الغمام

وقول الآخر:

لك في المحافل منطق يشفي الجوى ويسـوغُ في أُذُنِ الأديـب سلافُه
فكـأن لفظَـك لؤلـؤٌ مُتنخَـلٌ وكـأنما آذاننـا أصـدافُه

وقريب منه ما في المضرب رقم ٤٧ .

١٢٣- وإذا ناظره فَتىً أنشد:

كيف ترجون سقاطي بعدما ... جَلَّلَ الرأسَ مَشِيبٌ وصَلَعْ[١][٢]

---

(١) لسويد بن أبي كاهل اليشكري في المفضليات ٢ : ١٩٨ .

سقاطي: فترتي وسقطي.

ويروى: «لاح في الرأس». (هـ)

(٢) البيت من الرَّمَل، ومعناه: كيف تؤملون أن أَسْقُطَ، وأُخْطِئَ بعدما حَنَّكَتني التجارب، وَوَسَمَتْنِي الأيام بميسمها، وبعد أن علا المشيب والصلع رأسي؟!.

وقريب من معنى المضرب قول جرير:

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

وقول الأعشى:

كناطح صخرة يوماً ليفلقها ... فلم يَضِرْها وأوهى قرنَهُ الوَعِلُ

(ليفلقها) هكذا في بعض نسخ ديوانه، والرواية المشهورة: (ليوهنها).

وقول الآخر:

ما استقامت قناة فكري إلا ... بَعْدَ أن عَوَّجَ المشيب قناتي

١٢٤- وإذا زاحمه خصماؤه، وكثروا عليه أنشد:

إذا اجتمعوا على فَخَلٍّ عنهم وعن أسد مخالبه دوام
إذا اجتمعوا على فَخَلٍّ عنهم وخربان تصيد حباريات(١)(٢)

---

(١) في الأصل: «وحريان تصيد حباريان».
الخربان بكسر الخاء: جمع خرب بالتحريك، وهو ذكر الحباري: ضرب من الطير. (هـ)
(٢) البيتان من البحر الوافر، ومعنى البيت الأول: أن هؤلاء الخصوم إذا اجتمعوا فدَعْهُم؛ فإنهم سيلاقون أسداً مخالبه مُخَضَّبةٌ بالدم، فهو ينتظر الانقضاض عليهم.
والبيت الثاني قريب من معنى الأول، وهو للفرزدق، ويروى:

.... وعن بازٍ يصيد حباريات

ولهذا البيت قصة ذكرها المعافى الجريري في كتابه الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي ١/ ٣٧٧-٣٧٩ قال: «حدثنا محمد بن إبراهيم بن عرفة المهلبي، قال: حدثني أبو عُتبة البصري، قال: قدم عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية البصرةَ، فأتاه الناس يكتبون عنه، فقال رجل حضره: أنشدني بعض ما قاله الفرزدق لجدي -يعني الشاعر المشهور جرير- وبعض ما قال جدي للفرزدق، فأنشده قول الفرزدق:

حلفت برب مكة والمصلى وأعناق الهدي مقلداتِ
لقد قلدت جلف بني كليب قلائد في السوالف باقياتِ
قلائد ليس من ذهب ولكن قلائد من جهنم منضجاتِ

حتى أتى عليها فجعل يتلظى، ثم قال: هات ما قال له أبي، فأنشده:

=

=

تُعَلِّلنا أُمامَةُ بالعِدات ... وما يشفي القلوبَ الصادياتِ

ولولا حبها وإلهِ موسى ... لودَّعْتُ الصَبا والغانياتِ

إذا رَضِيَتْ رَضِيتُ وتعتريني ... إذا غضبت كَهَيضات السبات

وما صبري عن الذلفاء إلا ... كصبر الحوت عن ماء الفراتِ

ثم قال: ماذا؟ قد قطع الفرزدق عرضه وهو في أمامة؟ حتى إذا بلغ إلى قوله:

رجوتم يا بني وقبان موتي ... وأرجو أن تطول لكم حياتي

إذا اجتمعوا علي فخل عنهم ... وعن بازٍ يصيد حباريات

إذا طرب الحمام حمام نجد ... نعى جار الأقارع والحتات

فقام يحجل طرباً، وقال: أكله كله».

ونحوه قول العباس بن مرداس السلمي:

أشدُّ على الكتيبة لا أبالي ... أحتفي كان فيها أم سواها

قال أبو هلال العسكري رحمه الله: «قالوا: هذا أشجع بيت قالته العرب».

كتاب ديوان المعاني ١/ ٢٦٧

ومنه قول الشاعر:

ولو كنت الحديد لكسروني ... ولكني أشدَّ من الحديد

وقول ابن الرومي:

ومن جاور البحرَ الغزيرَ بَجَّمه ... وسدَّ سبيلَ الماء فهو غريقُه

جم: كثر، والمجم: مجتمع الماء.

١٢٥- وإذا قيل له: إن فلاناً في فَضْلِهِ فُضِّل عليه من دونه أنشد:

كــم قــد رأينــا مــن أســد بالــت عــلى رأســه ثعالــب[1][2]

---

(١) كذا ورد صدر هذا البيت. (هـ)

(٢) البيت من مُخلَّع البسيط، وفي التمثيل والمحاضرة ص٨٨ جاء البيت لأبي سعيد المخزومي:

كـم رأينـا في الـدهر مـن أسـد بالـت عـلى رأسـه ثعالِبُـه

والمعنى أن الأمور قد تنقلب، فيكون الرأس ذنباً، والذنب رأساً، وقد يذل العزيز، ويضعف القوي.

وقريب منه قول الحارث بن نمر التنوخي:

وقد تقلب الأيام حـالاتِ أهلهـا وتعدو على أسـد الرجـال الثعالـبُ

وقول الآخر:

ولقــد أراني والأســود تخــافني فأخــافني مــن بعــد ذاك الثعلــبُ

وقول أبي تمام:

فلا عجب للأُسْدِ إن ظفرت بهـا كلابُ الأعادي من فصيح وأعجـم

ونحوه قول البحتري:

متــى أرتِ الـدنيا نباهـة خامـلٍ فــلا تنتظــر إلا خمــولَ نبيــه

وقول ابن الرومي:

إذا ذل في الدنيا الأعزاءُ واكتست أذلتهــا عِــزّاً وســاد مَــسُودها

هناك فلا جادت سماء بجودهـا ولا أمرعــت أرضٌ ولا اخــضر

وقول الشيخ الخضر:

يــسطو القــويُّ عــلى الـضعيف صار الضعيف عـلى القـوي رئيسـا

=

= وقول الشاعر:

قد يُحْطَمُ الفحل قسراً بعد عزته وقد يُرَدُّ على مكروهه الأسدُ

وقال أبو العلاء المعري معبراً عن هذا المعنى:

إذا وصف الطائيَّ بالبخل مادِرٌ وعيَّر قُسّاً بالفهاهة باقل
وقال السُّهى للشمس: أنت خفية وقال الدجى: يا صبح لونك حائل
وطاولت الأرض السماء سفاهة وفاخرت الشُّهبَ الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جِدِّي إن دهرك هازل

ويعني بالطائي: حاتم من أجواد العرب، ومادر: لقب أحد البخلاء في العرب من هلال ابن عامر بن صعصعة، ويضرب به المثل في البخل.

وقس: هو ابن ساعدة الإيادي من فصحاء العرب، والفهاهة: العي، وباقل: رجل يضرب به المثل في العي.

وإذا قيل له -أيضاً- أنشد:

صرت كأني ذُبالةٌ نُصبت … تضيء للناس وهي تحترق[(١)(٢)]

---

(١) للعباس بن الأحنف في ديوانه ١١١ والكامل ٥١٨ ليبسك، ومحاضرات الراغب ١: ٩، وديوان المعاني للعسكري ١: ٢٦٣.

الذبالة: الفتيلة التي تسرج في المصباح، وقبل البيت:

أُحْرَمُ منكم بما أقول وقد … نال به العاشقون من عشقوا

(هـ)

(٢) البيت من المنسرح، وقريب منه قول الشاعر:

وكنت أعزّ عزاً من قنوع … تَعَوَّضه صفوحٌ من عقوق

فصِرْتُ أذلَّ من معنىً دقيقٍ … به فقرٌ إلى فهم دقيق

وقول بعض العبديين:

ألا بلغا خُلَّتي راشداً … وصنوي قديماً إذا ما اتصل

بأن الدقيق يهيج الجليل … وأن العزيز إذا شاء ذل

١٢٦- وإذا استطال الليل أنشد:

أقول وليلتي تزداد طولاً ... أما لليل ويحكم نهار[(١)(٢)]

---

(١) البيت لبشار، في المختار من شعر بشار ص٧ برواية: «أما لليل بعدهم نهار».(هـ)

(٢) البيت من الوافر، وقريب منه قول المهلهل -ولعل بشاراً أخذه منه-:

وصار الليل مشتملاً علينا ... كأن الليل ليس له نهار

وقول جحظة البرمكي:

عدمت تَبَلُّج الإصباح فيه ... كأن الصبح جودٌ أو وفاء

وقول سويد بن أبي كاهل:

وإذا ما قلت ليل قد مضى ... عطف الأول منه فرجع

وقول عدي بن الرقاع:

وكأن ليلي حين تغرب شمسه ... بسواد آخرَ مثلِه موصولُ

وقول بشار -وقد أبدع وأحسن التعليلَ وهو من أكثر من وصف الليل-:

خليلي ما بال الدجى ليس يبرح ... وما بال ضوء الصبح لا يتوضَّحُ

أضَلَّ النهار المستنير طريقَه ... أم الدهرُ ليل كله ليس يبرحُ

أَظُنُّ الدجى طالت وما طالت الدجى ... ولكنْ أطال الليلَ همٌّ مُبرِّحُ

وقوله -أيضاً-:

يطوِّل الليلَ مراعاتُه ... فكلُّ أمرٍ لا يُراعَى قصيرْ

وهذا المضرب وشواهده قريب مما جاء في المضرب رقم ٣٠

١٢٧- وإذا مرض، وعاده عُوَّاده أنشد:

وهــل هــي إلا عِلَّــةٌ بعــد عِلَّــةٍ إلى العِلَّــةِ الكـبرى وتلـك هـي التـي[1]

(١) البيت من الطويل، ومعناه: أن الإنسان في عمره ينتقل من مرض وضعف إلى مرض وضعف يسلمانه إلى المنية.

ونحوه ما ذكره المبرد أن سيبويه كان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

إذا بــلَّ مــن داءٍ بــه خــال أنــه نجــا وبـه الـداء الـذي هـو قاتلـه

انظر البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ٦/ ١٧٩

وقول أحدهم:

مــا يُحــرز المـرء في أطرافِـه طرفـا إلا تخوَّفَـــه النقـــصانُ في طـــرفِ

وقول الآخر:

وبيْ مرضـــان مختلفـــان حـــالي الـــ ـــعليلةُ مـــنهما تمـــسي بحـــالِ

إذا عالجـــتُ هـــذا جـــف كبـــدي وإن عالجـــتُ ذاك رَبَـــا طُحـــالي

وقول حميد بن ثور:

أرى بـدني قـد رابنـي بعـد صـحة وحـــسبك داءً أن تَـــصِحَّ وتـــسلما

ولــن يلبــث العــصران يــومٌ وليلــةٌ إذا اختلفـــا أن يـــدركا مـــا تـــيمما

وقول الخريمي:

إذا ما مـات بعـضُك فابـكِ بعـضاً فـبعض الـشيء مـن بعـضٍ قريـبُ

وقول ابن مناذر:

وكأنَّــا للمــوت ركــبٌ يُجَبُّــو ن سراعـــاً لمنهـــلٍ مـــورودِ

وقول الآخر:

إن الفتـــى يـــصبح للأســـقام كـــالغرض المنـــصوب للـــسهام

=

= وقريب منه قول النمر بن تولب لما قيل له: كيف أصبحت يا أبا ربيعة فقال ارتجالاً على البديهة:

أصبحت لا يحمل بعضي بعضا ... أشكو العروقَ النابياتِ النبضا
كما تشكى الأرجي الغرضا ... كأنها كان شبابي قرضا

وقولُ معاوية ﷺ لما رأى هُزَالَه:

أرى الليالي أسرعت في نقضي ... أخذن بعضي وتركن بعضي
حَنَيْنَ طولي وتركن عرضي ... أقعدنني من بعد طول النهض

١٢٨ - وإذا رأى رجالاً لا حمية ولا منعة فيهم أنشد:

إذا ما عُدَّ مثلكم رجالٌ فما فضل الرجال على النساء(١)

---

(١) البيت من الوافر، ومعناه: إذا كانت هذه حالَكم من قلة الأنفة والحميةِ؛ فبأي شيء تفضلُون النساء؟!.

وقريب منه قول رجل من بني العنبر:

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شنوا الإغارة فرساناً وركبانا

ونحوه -وقيل أهجى ما قالته العرب- قول عويف القوافي:

اللؤم أكرم من وبْرٍ ووالده واللؤم أكرم من وبْرٍ وما ولدا

قومٌ إذا جَرَّ جانٍ منهم أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قَوَدا

وقول النجاشي في بني العجلان:

قُبَيِّلَة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبةَ خردل

ولا يَرِدُونَ الماءَ إلا عشيةً إذا صَدَرَ الوُرَّادُ من كل منهل

ولما قال ذلك استعدى بنو العجلان عليه عمرَ بنَ الخطاب ﷺ فقال: ما قال فيكم؟ فأنشدوه:

إذا الله عادى أهلَ لؤم ورقةٍ فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

قال عمر مُهَوِّناً عليهم: ذاك أقل للسُّكَاك -يعني الازدحام- قالوا: وقد قال:

تعاف الكلاب الضارياتُ ويأكلن من عوفٍ وكعبٍ ونهشلِ

قال: أحيا القوم قتلاهم، ولم يضيعوهم، قالوا: وقد قال:

وما سمي العَجْلانُ إلا لِقيلِهِمْ خُذِ القعْبَ واحلب أيها العبد واعجلِ

=

= فقال عمر: خير القوم خادمهم، ثم بعث إلى حسان فسأله، فقال: ما هجاهم، ولكن سلح عليهم فتهدد النجاشي، وقال: إن عدت قطعت لسانك.

انظر كتاب ديوان المعاني ١/ ٣٧٢-٣٧٣، والعمدة ١/ ٥٢

وعكس ما مر في الشواهد من قلة الحمية والمنعة - قول الأعشى في مدح قوم لحميتهم ومنعتهم:

قـومٌ بيـوتُهُمُ أمْـنٌ لجـارهم ... يوماً إذا ضَمَّتِ المحضورةُ الفزعا

المحضورة: القوم الحاضرون، والفزع: الخوف.

١٢٩- وإذا اشتكى إليه إنسان إقلالاً أنشد:

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن بمنزلةٍ إلا رضيتَ بدونها[1]

---

(١) البيت من الطويل، والمعنى: أن القناعة هي كنز الغنى، وهي التي تحسم مادة التسخط؛ فإذا شاء الإنسان أن يعيش غنيَّ القلب فليوطن نفسه على الرضا بالقليل، وعلى ما هو أقل مما هو فيه.

ونحوه قول ابن طباطبا العلوي:

كُنْ بما أوتيته مقتنعاً تَسْتَدِمْ عُشْرَ القنوع المكتفي

إن في نيلِ المنى وَشْكَ الردى وهلاك المرء في ذا الشَّرَفِ

قال الثعالبي عن هذين البيتين: "من أحسن ما سمعت في القناعة".

أحسن ما سمعت للثعالبي ص ٢٢

وقريب منه ما ينسب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ:

أفادتني القناعة كلَّ عزٍّ وهل عزٌّ أعزُّ من القناعة

فصيرها لنفسك رأسَ مالٍ وصيِّرْ بعدها التقوى بضاعةْ

تَحُزْ ربحاً وتغنى عن بخيل وتنعم في الجنان بصبر ساعة

وقول الشافعي ﷺ:

أمتُّ مطامعي فأرحت نفسي فإن النفس ما طمعت تهون

وأحييت القنوع وكان ميتاً ففي إحيائه عرضٌ مصون

إذا طمعٌ يَحِلُّ بقلب عبد عَلَتْه مهانة وعلاه هون

وقوله:

رأيت القناعةَ كنز الفتى فصرت بأذيالها ممتسك

فلا ذا يراني على بابه ولا ذا يراني به منهمك

وصرت غنيًّا بلا درهم أَمُرُّ على الناس شبه الملك

١٣٠- وإذا رأى ذا ضغن صاحب آخر أنشد:

إذا أنت لم تسقم وصاحبتَ مُسْقَماً وكنت له خِدْناً فأنت سقيم[1]

(١) البيت من الطويل، والمعنى: أنك إذا صاحبت المريض أعداك.

وكما تعدي الأمراض الحسية فكذلك تعدي الأمراض المعنوية، وذلك كعدوى الأخلاق.

ومنه قول أحدهم:

ولا ينفع الجرباءَ قربُ صحيحةٍ إليها ولكن الصحيحة تجرب

وقول الآخر:

الحرب يلحق فيها الكارهون كما تدنو الصحاح إلى الجربى فتعديها

وعكسه قول بشار:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ولم أدرِ أن الجودَ من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عندي

وقول أبي تمام:

ولو لم يزعني عنك غيرك وازع لأعديتني بالحلم إن العلا تُعدي

١٣١- وإذا دخل عليه ثقيل أنشد:

أيـا جـبلي نعـمانَ بـالله خَلِّيـا نـسيمَ الـصبا يَخْلُـصْ إليَّ نـسيمُها[(١)(٢)]

(١) البيت لمجنون ليلى، في الأغاني ١: ١٧٠/ ٥: ٣٤ وحماسة ابن الشجري ١٦٨، وهو في أمالي القالي ٢: ١٨١ بدون نسبة.

وفي الأغاني - ونحوه في حماسة ابن الشجري: أن أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القرى قبل توحُّشه؛ ليمتاروا خوفاً عليه أن يضيع، ويهلك، فمروا في طريقهم بجبلي نعمان، فقال له بعض فتيان الحي: هذان جبلا نعمان، وقد كانت ليلى تنزل بها.

قال: فأي الرياح يأتي من ناحيتها ؟ قالوا :الصبا.

قال: فوا الله لا أريم هذا الموضع حتى تهب الصبا؛ فأقام ومضوا، فامتاروا لأنفسهم ثم أتوا عليه، فأقاموا معه ثلاثة حتى هبت الصبا، ثم انطلق معهم، ففي ذلك يقول:

أيـا جـبلي نعـمان بـالله خليـا نـسيم الـصبا يخلـص إليَّ نـسيمها
أجد بَرْدَها أو تشفِ مني حرارةً علـى كبـد لم يبـق إلا صـميمها
فـإن الـصَّبا ريحٌ إذا مـا تنـسمت علـى نَفْـسِ محـزونٍ تجلَّـت همومُهـا

(هـ)

(٢) البيت من الطويل، ومن عجيب الموافقات، ولطيف الاستشهاد أنه كان لابن الجوزي امرأةٌ تسمى (نسيم) فطلَّقها، ثم ندم على ما كان منه، فحضرت يوماً مَجْلِسَ وَعْظِه، فعرفها، واتفق أن جلست امرأتان أمامها حجباها عنه؛ فأنشد مشيراً إلى تينك المرأتين:

أيـا جـبلي نعـمان بـالله خليـا نـسيم الـصبا يَخْلُـصْ إلي نـسيمها

الكشكول ٢/ ٣١

وقريب منه في ذم الثقلاء قول البهاء زهير:

ربَّ ثقيـل لـبغض طلعتـه أخـشاه حتـى كأنـه أجـلي
وكلـما قلـت لا أشـاهده ألقـاه حتـى كأنـه عمـلي

=

= وقال آخر:

ثقيــل يطالعنــا في أَمَــمْ ... إذا سره رغــم أنفــي أَلَمْ
لِطَلْعَتِــه وخــزةٌ في الحــشا ... كــوخزِ المــشارط في المحــتجم
أقــول لــه إذ بــدا طالعــاً ... ولا حملتــه إليَّ قــدم
فقــدتُ خيالَــك لا مــن عمــىً ... وأذني كلامَــك لا مــن صــمم

وقال بشار:

ربــما يثقــل الجلــيس وإن كــا ... ن خفيفــاً في كفــة الميــزان
ولقــد قلــت حــين وتِّــدَ في الأر ... ض ثقيــلٌ أربــى عــلى ثهــلان
كيــف لم تَحْمِــلِ الأمانــةَ أرضٌ ... حملــت فوقهــا أبــا مــروان

وقال:

وكيف يَخِفُّ لي بَصَرِي وسَمْعي ... وحــولي عــسكران مــن الثقــال

وقال الثعالبي: «ومن أحسن ما قيل في الثقيل قول إبراهيم:

إذا أَقْبَلَ لا أقــبــلَ قــلنــا كُلُّنا آه

أحسن ما سمعت ص ١٣١

وقال ابن قتيبة: أخبرنا النوشجاني عن عمر بن سعيد القرشي، قال: حدثني صدقة ابن خالد قال: أتيت الكوفة، فجلست إلى أبي حنيفة، فقام رجل من جلسائه فقال:

فــما الفيــل تحملــه ميتــاً ... بأثقــل مــن بعــض جلاســنا

فما حملت عنه شيئاً. عيون الأخبار ١/ ١٣٠

وقال أحدهم وقد ذكر وصفةً للتخلص من الثقيل:

إذا استثقلت أو أبغضت خلقاً ... وسرك بُعْــده حتــى النفــاد
فَــشَرِّده بقــرضِ دريهــمات ... فــإن القــرضَ داعيــةُ الفــساد

=

= وقال آخر في حاجبين ثقيلين:

ولي صـــاحبان عـــلى هـــامتي جُلوسُـــهما مثـــل حـــدِّ الوتـــدْ
ثقـــيلان لم يعرفـــا خِفَّـــةً فهـــذا الـــصداع وذاك الرمـــدْ

وقال ابن الرومي في ثقيل:

أثقـــل مـــن طلعـــة يـــوم الـــسبت عـــلى ابـــن خمـــس وعـــلى ابـــن ســـت

وكان يقال في الأمثال: (أثقل من يوم السبت على الصبيان) .انظر التمثيل والمحاضرة ص٢٢٠

١٣٢- وإذا جاد عليه بنزر يسير أنشد:

توتيك نزراً قليلاً وهي خائفة كما يخاف مسيسَ الحية الفَرِقُ[(١)(٢)]

---

(١) البيت لابن هرمة. المختار من شعر بشار ٩٦.

وصدره فيه: «تبدي بذاك سرورا وهي مشفقة كما يهاب».

في الأصل: «وهي جائعة»، صوابه: ما أثبت.

المسيس: المس. والفَرِق: الخائف الفزع. (هـ)

(٢) البيت من البسيط، وقريب منه قول أحدهم:

فَرِشْني بسيب لا أكونن ومدحتي كناحت يوماً صخرة بعسيل

والمعنى: رِشْني: أي أعطني أو أكرمني، بسيب: أي بعطاء، والعسيل: مكنسة العطار.

يعني: لا تجعلني كالذي ينحت الصخر القاسي بمكنسة العطار اللينة؛ فإنه لن يحصل على مراده.

وهذه جمعية[٣] لم أظفر بمثلها، فرحم الله من فهمها وحفظها، وأورد كلَّ بيت في محلِّه[٢]، ليجلَّ عند خِلِّه[٣].

---

(١) يقصد بالجمعية تلك المضارب والشواهد التي أوردها.

(٢) أي جعل المضرب مناسباً للشاهد، والشاهد مناسباً للمضرب.

(٣) أي ليكبر في عيون أحبائه، والمتلقين عنه.

وبهذا ينتهي متن أبيات الاستشهاد، وشرحها؛ فعسى الله أن ينفع بالمتن، وشرحه؛ إنه سميع قريب.

ذيلُ أبياتِ الاستشهادِ

ذيل أبيات الاستشهاد

مدخل

وبعد أن فرغتُ من الدراسة والشرح لكتاب (أبيات الاستشهاد) لابن فارس ـ خطر ببالي أن أكتب شيئاً على منوال ما كتبه ابن فارس في كتابه هذا؛ لأن هناك مضاربَ كثيرة، وشواهد أكثر تصلح للاستشهاد بها في مواطنها على نحو ما ذُكر في كتاب (أبيات الاستشهاد).

ثم رأيت أن أُذَيِّل بها هذا الكتاب؛ رجاء أن تتسع الفائدة، وتكون في مكان واحد.

وما سأذكره من المضارب والشواهد هي مما أَسْتَشْهِدُ به أحياناً، أو أسمع غيري يستشهد به في مناسبات شتى؛ فرغبت أن أُقَيِّده ههنا، وأن أسير على نهج ابن فارس في كتابه (أبيات الاستشهاد) من جهة إيراد المضارب والشواهد على لسان رجل من الناس؛ فالفكرة فكرة ابن فارس، وهو أبو عُذْرتها، والفضل للمتقدم:

وهو بسبقٍ حائزٌ تفضيلا مستوجبٌ ثنائي الجميلا

وقد حرصت ألا أكرر شيئاً من المضارب والشواهد التي أوردها ابن فارس، وإن كان هناك بعض التشابه في أصل المضارب أحياناً.

كما أنني لم أراعِ الترتيب الموضوعي للمضارب، وإن كان يأتي أحياناً على شيء من المراعاة.

ولعل لي أسوة في هذا ببعض العلماء الذين ذيلوا الكتب كصنيع الحافظ ابن

رجب الحنبلي الذي ذيل كتاب (طبقات الحنابلة) لأبي يعلى رحمه الله.

قال ابن رجب رحمه الله في مقدمة كتابه (الذيل على طبقات الحنابلة): «هذا كتاب جَمَعْتُـهُ، وجعلته ذيلاً على كتاب: طبقات فقهاء أصحاب الإمام أحمد للقاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلي رحمه الله»[1].

فصار كتاب الذيل من أحسن ما كتب في بابه[2].

ولما نظم القاضي تاج الدين بن السبكي رحمه الله سبعة وعشرين لفظاً من الألفاظ المُعَرَّبة في القرآن في أبيات ـ ذيَّل عليه الحافظ أبو الفضل ابن حجر رحمه الله بأبيات فيها أربعة وعشرون لفظاً، ثم ذيَّل عليها السيوطي بالباقي، وهو بضع وستون، فتمت أكثر من مائة لفظة ـ كما يقول السيوطي رحمه الله ـ[3].

فأسأل الله ـ عز وجل ـ أن ينفع بذيل أبيات الاستشهاد كما نفع بأصله؛ إنه سميع قريب[4].

وهذه هي مضارب الذيل، وتحت كل واحدٍ منها شاهد أو أكثر من الشعر، وستكون ـ كما مر ـ على لسان رجل من الناس، ومما كان يستشهد، ويتمثل به أنه:

١ ـ إذا أوصى أحداً بالتَّقوى أنشد:

إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يكن ... على أهله كلاًّ فقد كمل الفتى

أو أنشد:

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١/ ٥.

(٢) قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: «كتاب طبقات الحنابلة كالطاووس أجمل ما فيه ذيله».

(٣) انظر الإتقان للسيوطي ٢/ ١١٩.

(٤) سأفرد ـ بإذن الله ـ هذا الذيل في مؤلف خاص بعنوان (التمثل بالشعر ـ ذيل أبيات الاستشهاد) وسأزيد في مضاربه، وشواهده.

وأحكـمُ ألبـاب الرجـالِ ذوو التقـى وكـلُّ امـرئٍ لا يتَّقِـي الله أحمـقُ

٢ـ وإذا قيل له: من السعيد حقاً أنشد:

ولسـت أرى السـعادة جمـع مـالٍ ولكـن التقـيَّ هـو السـعيد

٣ـ وإذا حثَّ أحداً على مراقبة الله ـعز وجل ـ قال:

وما أبصرت عينايَ أجملَ من فتىً يخـاف مقـامَ الله في الخلـوات

٤ـ وإذا رأى ناسكاً مقبلاً على ربه، متلذذاً بعبادته أنشد:

كيـف يرجـو البقـاءَ إن فـارق المـاءَ حوتُـه

٥ـ وإذا أملى على أناسٍ، وأراد منهم الإسراع في الكتابة أنشد:

حـدثنا شـيخنا الكنـاني عـن أَبِـهِ صـاحب الخِطابـهْ

أسرع أخـا العلـمِ في ثـلاثٍ في الأكـل والـشرب وفي الكتابـهْ

٦ـ وإذا أعجبه إنسان شهم أنشد:

وأهـوى مـن الفتيـان كـلَّ سُـمَيذَعٍ نجيـبٍ كـصدرِ الـسمهريِّ المقـوّمِ

خطت تحته العيسُ الفلاة وخالطـت بـه الخيـل كبَّـات الخَميسِ العرمـرم

٧ـ وإذا قيل له: هل سيذكرك أحدٌ، ويرثيك بعد موتك؟ أنشد:

تـسائلني هـل في صـحابك شـاعرٌ إذا مـتَّ قـال الـشعر وهـو حـزينُ

فقلـت لهـا: لا هـمَّ لي بعـد مـوتتي سـوى أن أرى أخـراي كيـف تكـون

وما الشِّعر بالمغني فتيلاً عـن امـرئٍ يلاقـي جـزاءًا والجـزاءُ مُهـين

وإن أحظَ بالرُّحمَى فمالِيَ من هوىً سـواها وأهـواء النفـوس شـجونُ

فَخَـلِّ فعـولنْ فـاعلاتن تُقَـال في أنـاسٍ لهـم فـوق الـتراب شـؤون

وإن شـئت تـأبيني فـدعوةُ سـاجدٍ لهـا بـين أحنـاء الـضلوع حنـينُ

٨- وإذا حث أحداً على طلب العلم قال:

اطلبِ العلمَ ولا تكسلْ فما أبعدَ الخيرَ على أهل الكسل

وربما قال:

لا فخر في الدنيا لمن لم يفتخر بالعلم لولا الناب ذل الضيغم

٩- وإذا تذكر أحبته وَهُمْ على البعد أنشد:

عُمْرُه واصطبارُه في انتقاصِ وَجَوَاهُ وَوَجْدُه في ازديادِ

في قرى مِصْرَ جسمُه والأصيحاب شاماً والقلبُ في أجيادِ

١٠- وإذا قدم شهر رمضان أنشد:

سقياً لشهر الصوم من شهر عندي له ما شاء من شُكْرِ

١١- وإذا انقضى شهر رمضان، وأقبل عيد الفطر أنشد:

مضى رمضان محموداً وأوفى علينا الفطرُ يَقْدُمُهُ السرورُ

١٢- وإذا شاهد أحداً يتطلع إلى ما عند غيره، وعنده أحسن منه أنشد:

وكَمْ مالئٍ عينيه مِنْ شيء غيره إذا راح نحو الجمرةِ البيضُ كالدُّمى

١٣- وإذا رأى إنساناً يرمي إلى أغراض سامية أنشد:

ونفاسةُ الأشياء في غاياتها فاحْمَدْ رماءك إن أصبت نفيسا

١٤- وإذا قيل له: رُدَّ على إساءة فلان بمثلها أنشد:

ويمنعني من ذاك نفسٌ عزيزةٌ غلا سِعْرُها في السوق يومَ كساده

وإني لأكسو الخِلَّ حُلَّة سندسٍ إذا ما كساني من ثياب حداده

١٥- وإذا أشار إلى أحدٍ إشارة خفية، ففهمها أنشد:

فأومأتُ إيماءً خَفِياً لِحبترٍ فَلِلّه عَيْنَا حبترٍ أيما فتى

١٦ـ وإذا أراد تسليةَ أحدٍ طال بلاؤه أنشد:

وراء مضيقِ الخوفِ مُتَّسعُ الأمنِ وأولُ مفروحٍ به غايةُ الحزنِ

ألم تَرَ أن الله ملَّك يوسفاً خزائنه بعد الخلاص من السجن

١٧ـ وإذا أشار على أحد بتركِ استعداءِ الناسِ، والبعد عن التعرضِ لهم أنشد:

ولم أرَ في الخطوب أشدَّ وقعاً وكيداً من معاداة الرجال

١٨ـ وإذا حثَّ على المداراة، وإحسان سياسة الناس، وأخذهم على ظواهرهم أنشد:

وحيِّ جميع الناس تَسْبِ عقولهم تحيتك الأدنى فقد تذهبُ النَّغلْ

فإن أظهروا بِشراً فأظهرْ جَزاءه وإن ستروا عنك القبيح فلا تَسَلْ

النغل: الإفساد بين القوم.

١٩ـ وإذا رأى إنساناً مخاشناً، قليل المداراة أنشد:

ومن لم يصانعْ في أمور كثيرة يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويوطأْ بمنسم

٢٠ـ وإذا شاهد قوماً يلومون أناساً، ولما يقوموا مقامهم قال:

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سدوا

٢١ـ وإذا أراد توصية مُبتلىً ببلية أنشد:

ما ضاق بالمرء أمرٌ فاستعد له عبادةَ الله إلا جاءه الفرج

ولا أناخ بباب الله ذو ألمٍ إلا تزحزح عنه الهم والحرج

أو قال:

والجأ لسيدك الذي لا تأتلي أبداً بفيض حنانه تتمتع

أوليس ما تشكوه بعضَ قضائه فعلام تجزع للقضاء وتهلع

٢٢ـ وإذا حدَّثته نفسه بأمر سوء أنشد:

وأقـــول للــــنفس احمليـــــ ـــني فالـــشجاعةُ صـــبرُ ســـاعةْ

٢٣ـ وإذا أثنى على رجل يبتسم وهو في غاية الضيق أنشد:

ولــربما ابتــسم الكــريم مــن الأذى وفـــؤاده مـــن حـــرِّه يتـــأَوَّهُ

وربما قال:

تَمُــرُّ بِــكَ الأبطــالُ كلمــى هزيمــةً ووجهــك وضَّــاحٌ وثغــرك باســمُ

أو قال:

متبــسمٌ في الخطــب تحــسب أنــه تحــت العجـــاج مُلَـــثَّمٌ بفعالـــه

أو أنشد:

وبِيْ كــلُّ مــا يبكــي العيــونَ أقلُّــه وإن كنـــت منـــه دائـــماً أتبـــسم

٢٤ـ وإذا أرسل إلى أحد أحبته على البعد كتب:

بَعُـــدْتَ ونفـــسي في لقـــاك تـــصيد فلـــم يُغْـــنِ عنهـــا في الحنـــان قـــصيدُ

وخَلَّفــت مــا بــين الجــوانح غــصة لهـــا بـــين أحـــشاء الـــضلوع وقـــودُ

أو قال:

كَتبــتُ ولــو قــدرتُ هــوىً وشــوقاً إليـــك لكنـــتُ ســـطراً في الكتـــاب

٢٥ـ وإذا تاق إلى صديق غائب عنه أنشد:

فإن يــك عــن لقائــك غــاب وجهــي فلـــم تَغِـــبِ المـــودةُ والإخـــاء

ولم يغـــبِ الثنـــاءُ عليـــك منـــي بظهــــر الغيــــب يتبعــــه الـــدعاء

ومـــا زالـــت تتـــوق إليـــك نفـــسي عـــلى الحـــالات يحـــدوها الوفـــاء

وربما قال:

شوقاً إليك تفيضُ منه الأدمع وجوىً عليك تضيق عنه الأضلع

٢٦ـ وإذا خلا المكان من أحبته لسفر، أو نحوه أنشد:

كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامرُ

أو أنشد:

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزوَّدوك اشتياقاً أيَّةً سلكوا

أو أنشد:

أجيراننا ما أوحش الدار بعدكم إذا غبتمُ عنها ونحن حضور

٢٧ـ وإذا رأى شخصاً يَحْسُدُ مَنْ يحسن إليه أنشد:

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

٢٨ـ وإذا توفي عزيز لديه قال:

قد كدت أقضي حسرةً لو لم أكن متوقعاً لقياك يوم معادي

٢٩ـ وإذا رأى أحداً يبكي على مصيبة حلَّت به أنشد:

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفي نَجِيَّ البلابل

أو أنشد:

وإن شفائي عبرةٌ مُهَرَاقَةٌ وهل عند رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ

٣٠ـ وإذا قيل له: إن فلاناً قصد فلاناً ولم يسعفه أنشد:

وإذا قصدتَ لحاجةٍ فاقصد لمعترفٍ بفضلك

٣١ـ وإذا رأى أو سمع أن أحداً غضب على أحدٍ؛ لأنه لم يعطِهِ ما سأله أنشد:

لا تغضبنَّ على امرئٍ لك مانعٌ ما في يديه

واغضب على الطمع الذي اســ ــتدعاك تطلب ما لديه

٣٢- وإذا زار أحبةً له، وجلس إليهم، ثم ودعهم، وفي نفسه أشواق، ورغبة في المكث عندهم أنشد:

تزودت من ليلى بتكليمِ ساعة فما زاد إلا ضعفَ ما بي كلامُها(١)

٣٣- وإذا أمّل بلقاء مطول عند أحد أحبته، ولم يتيسر له إلا لقاءٌ خاطف أنشد:

وقنعتُ باللقيا وأول نظرةٍ إن القليل من المحبِّ كثير

٣٤- وإذا تغرب، ونزل ضيفاً على أناس، وأقام بينهم مدة، ورأى من إكرامهم، وحفاوتهم الشيء الكثير أنشد:

نزلتُ على آل المهلبِ شاتياً غريباً عن الأوطانِ في بلدٍ مَحْلِ

فما زال بي إكرامهم وافتقادهمْ وبرُّهُمُ حتى حسبتهمُ أهلي

أو أنشد:

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

٣٥- وإذا كان في بلد غربة، وسمع نَوْحَ حمامة، أو تذكر أهله، وأولاده أنشد:

وأرقني بالريِّ نوح حمامة فَنُحْتُ وَذُو الشَّجْوِ القَريح يَنُوحُ

على أنها ناحت ولم تَذْرُ عَبْرَةً وَنُحْتُ وأسرابُ الدُّموعِ سُفُوحُ

---

(١) في يوم من الأيام ذهبت بصحبة بعض أهل العلم لزيارة الشيخ العلامة حماد الأنصاري رحمه الله في المدينة ولم يكن يعرف أحداً منا، فجلسنا عنده من بعد العصر حتى أذان المغرب، وكانت جلسة ماتعة رائعة، فلما هممنا بتوديعه قلت له: لقد أثقلنا عليك، وما حالنا إلا كما قال الأول:

تزودت من ليلى بتكليم ساعة فما زاد إلا ضعف مابي كلامها

فطرب رحمه الله وقال: إذاً نكمل الجلسة بعد المغرب، فجلسنا حتى أذان العشاء.

وناحت وفرْخَاها بِحيثُ تراهما ... ومن دُونِ أفراخِي مَهَامِهُ فِيحُ

أو أنشد:

ألا ياحمامَ الأيكِ إلْفُكَ حاضرٌ ... وغصنُك ميَّادٌ ففيم تنوحُ

٣٦ـ وإذا قدم صاحب له من سفر أنشد:

قدوم سعادة وقفول يُمْنِ ... هي السراء تمحق كل حزن

أظلتك السلامةُ ما تغنت ... مُطوقةٌ على فنن تغني

المطوقة: الحمامة.

٣٧ـ وإذا زاره أحد أحبته بعد فراق طويل، وشوق إلى اللقاء، ثم همَّ ذلك الزائر بالانصراف، أو صار ينظر إلى الساعة بين الفينة والأخرى أنشد:

تنظر الساعة من حين لحين ... ليت شعري ما الذي يستعجلكْ

إن هذا الوصل أحلام سنين ... فاتقِ الله ودع ما يشغلُكْ

٣٨ـ وإذا تقوَّل عليه متقولٌ ما ليس فيه أنشد:

لِي حيلةٌ فيمن يَنِمُّ ... وليس في الكذاب حيلةْ

من كان يخلق ما يقول ... فحيلتي فيه قليلةْ

٣٩ـ وإذا أساء إليه شخص، وهو مُعْرِضٌ عنه، وقيل له في ذلك أنشد:

وأتعب من ناداك من لا تجيبه ... وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

٤٠ـ وإذا رأى كبيراً يفرح الناس بمقدمه أنشد:

يجدون رؤيتك التي فازوا بها ... من أنعم الله التي لا تُكْفَرُ

٤١ـ وإذا رأى عظيم قَدْرٍ قَدِم إلى بلد، وترتب على قدومه خير كثير متنوع أنشد:

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة ... سال النُّضار بها وقام الماء

النضار: الذهب

٤٢ـ وإذا قيل له: فلان يحسد فلاناً الفاضلَ، وينتقصه أنشد:

وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويجهد أن يأتي لها بضريب

٤٣ـ وإذا رأى ذا شهرة واسعة، أو سمع بمن يريد إخمال ذا صيت أنشد:

أغرُّ شهيرٌ في البلاد كأنه به البدر يعلو أو سنا الصبحِ يسطع

أو أنشد على لسان ذلك الشهير:

إني إذا خفي الرجال وجدتني كالشمس لا تخفى بكل مكانِ

٤٤ـ وإذا رأى نُذُر الفتنة بدأت، وأراد توصية أطرافها بتداركها أنشد:

وإن النار بالعودين تُذكى وإن الحرب مبدؤها كلامُ

وربما قال:

ولقد رأيت الشرَّ بين الحيِّ تبدؤه صغارُه

ولو آنهم يأسونه لَتَنهْنَهتْ عنهم كبارُه

أو أنشد:

والشرُّ كالنار تبدو حين تَقْدُمُهُ شرارةٌ فإذا بادرته خمدا

٤٥ـ وإذا حذر من عواقب مقابلة الشر بمثله، ورَغَّب بمقابلة الإساءة بالإحسان أنشد:

إذا دُفع الشر القبيح بمثله تحصَّل شرٌّ ثابت وتولدا

وأمست دواعي الشر ذاتَ تسلسلٍ مديدٍ وصار الشر في الناس سرمدا

٤٦ـ وإذا دبَّ خلاف في بيت أو جماعة، ورغب إلى أحدٍ منهم في رأب الصدع أنشد:

إذا اشتعلت في البيت نارٌ ولم يكن لها مطفئ لم يلبثِ البيتُ أن يقعْ

٤٧ـ وإذا رأى أناساً يهوون الشر، ويميلون إليه كل الميل أنشد:

يطيعون الغواةَ وكان شراً لمؤتمر الغواية أن يطاعا

٤٨ـ وإذا رأى أناساً يسمعون الشر، فيذيعونه، ويسمعون الخير؛ فيطوونه أنشد:

الخير يُهمسُ بينهم ويقام للسوآت منبرْ

أو أنشد:

أعوذ بالله من قوم إذا سمعوا خيراً أسروه أو شراً أذاعوه

أو أنشد:

إن يسمعوا سُبةً طاروا بها فرحاً عني وما سمعوا من صالح دفنوا

٤٩ـ وإذا رأى قوماً يتنازعون على الرئاسة دون تدبرٍ للعواقب، ونظرٍ في المصالح العامة أنشد:

إن التنازع في الرئاسة زَلَّةٌ لا تستقال ودعوة لم تُنْصَرِ

أفنى أوائل جُرْهمٍ إفراطُهم فيه وأَسْرَعَ في مَقاولِ حميرِ

٥٠ـ وإذا رأى إنساناً يحرص على تتبع العورات، ونشر المثالب أنشد:

وأجرؤ من رأيت بظهر غيب على نشر العيوب ذوو العيوب

٥١ـ وإذا رأى قرناءَ سوءٍ يركن بعضهم إلى بعض، ويألف بعضهم بعضاً أنشد:

وكلُّ قرينٍ إلى شكله كأنس الخنافس بالعقرب

٥٢ـ وإذا أراد مغادرة بَلَدِه، وودَّع أصحابه، وأحبابه أنشد:

قفا ودِّعا نجداً ومن حلَّ بالحمى وقلَّ لنجد عندنا أن يودعا

٥٣- وإذا جاوز بلده لسفر أنشد:

فتلفتت عيني فمُذْ خَفِيَتْ عني الطَّلول تَلَفَّت القَلْبُ

٥٤- وإذا كتب لبعض أحبابه، ورأى أنه لم يوفِّهم حَقَّهم كتب:

وإذا ما قصَّرت أقلامُنا عن حقوقٍ للأخلاء كبار

فالذي قد حلَّ بالصدر من الـ ـودِّ يكفي عن كثير الإعتذار

٥٥- وإذا أوصى أناساً بالاجتماع، ونبذ الفرقة أنشد:

إن الرماح إذا اجتمعن فَرَامها بالكسرِ ذو حَنَقٍ وبَطْش أيِّدِ

عَزَّت ولم تُكْسَرْ وإن هي بُدِّدت فالوهنُ والتكسيرُ للمُتَبَدِّدِ

أو أنشد:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت آحادا

٥٦- وإذا رأى كبيراً غَضِبَ على قوم، وهو قادر عن إنزال غضبه عليهم، ورغب في إسكات غضب ذلك الكبير أنشد:

تَرَفَّق أيها المولى عليهم فإن الرفقَ بالجاني عتابُ

٥٧- وإذا بُلي بإنسان لا يطاق، ولا مناص له منه أنشد:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بدُّ

٥٨- وإذا رأى شخصاً يُمدح بما ليس فيه أنشد:

كالعطر يَعْبِقُ في المجالس نشره والفضل منسوبٌ إلى المتعطر

٥٩- وإذا رأى رجلاً يريد المحمدة، وهو لم يُعَنِّ نفسه أنشد:

والحمدُ لا يشترى إلا له ثمن مما يَضَنُّ به الأقوام معلوم

أو أنشد:

ومن يعطِ أثمانَ المحامدِ يحمدِ

أو أنشد:

ولا يُشترى الحمدُ أُمْنِيَّةً ولا يُشترى الحمدُ بالمُقْصِرِ

المُقصِر: الشيء الدُّون اليسير.

أو أنشد:

والحمدُ شَهْدٌ لا ترى مشتارَه يجنيه إلا من نقيع الحنظلِ

غُلٌّ لحامله ويحسبه الذي لم يُوْهِ عاتِقَه خفيف المحملِ

٦٠ـ وإذا رأى إنساناً غُلِب على أمره في شأن لا حيلة له فيه، وهو يبالغ في التعزز والعناد أنشد:

بُنيَّ إذا ما سامك الضيمَ قاهرٌ مَقيتٌ فبعضُ الذلِّ أوقى وأحْرَزُ

ولا تَحْمِ من بعض الأمور تعززاً فقد يورث الذُّلَّ الطويلَ التعزُّزُ

٦١ـ وإذا غاب عن مسقط رأسه أنشد:

قلبي يحنُّ إلى الزلفي وساكنها وما حنيني إلى الأحباب ملكُ يدي

٦٢ـ وإذا رأى إنساناً لا يميز الصحيح من الزيوف أنشد:

ما زَكَى تفاحُ لبنانَ على حَسَكِ السعدان في ذوق مَذِرْ

هكذا في نظر الأعشى استوى زهرُ روضٍ وهشيم المُحْتَظِرْ

٦٣ـ وإذا رأى رجلاً فاق مَنْ قبله في أمرٍ ما، وأراد التنويه به أنشد:

.... طلع الصباح فأطفئوا القنديلا

٦٤ـ وإذا أشار على أحد بألا يحقر الفائدة من أي أحد أنشد:

فاضـــمم أقاصـــيهم إليـــك فإنـــه لا يزخـــر الـــوادي بغـــير شـــعاب

٦٥ـ وإذا رأى مدخناً، وله دالَّةٌ عليه أنشد:

وبفضل جهدك قد غدوت لـصانعي تلـك الـسموم الـسود خـير معـين

٦٦ـ وإذا رأى شاباً يترقى في المكارم، ويتدرج في العلم، والمروءات أنشد:

إن الهـــلال إذا رأيـــتَ نُمـــوَّه أيقنـــت أن ســيكونُ بــدراً كـــاملا

أو أنشد:

متنقـــل مـــن ســؤددٍ في ســؤددٍ مثـــل الهـــلال جـــرى إلى اســتكماله

٦٧ـ وإذا رأى شاباً حاز الفضائل، ورأى من لا يعتد به؛ لصغر سنه أنشد:

لا تنظـــرنَّ إلى الفيَّـــاض في صِـــغَرٍ في السن وانظـر إلى المجـد الـذي شـادا

إن النجـومَ نجـومَ الليـل أصـغرُها في العـين أبعـدُها في الجـو إصـعادا

٦٨ـ وإذا رأى شاباً، حليماً، وقوراً، عاقلاً أنشد:

فـما الحداثـة مـن حلـم بمانعـة قـدْ يوجـد الحلمُ في الشبان والـشيب

٦٩ـ وإذا رأى ذا خفة وطيش، وكثرةِ حركةٍ، واضطرابٍ والتفاتٍ أنشد:

كأنـــك مـــن جمـــال بنـــي أقـــيشٍ يقعقـــع بـــين رجليـــه بِـــشَنٍّ

بنو أقيش: الجن.

٧٠ـ وإذا رأى كبيرَ سنٍّ يقوم بتثاقل أنشد:

وإذا الـــشيخ قـــال: أفٍّ فـــما مـــلَّ حيـــاةً وإنـــما الـــضعفَ مـــلَّا

٧١ـ وإذا رأى كبيرَ سِنٍّ قد احدودب ظهره، وتقوَّس، وتقاربت خطاه أنشد:

حَنَتْنِـــي حانيـــاتُ الـــدهر حتـــى كـــأني خاتـــلٌ أدنـــو لـــصيدِ

قريـــبُ الخطـــوِ يحسب مـــن رآني ولـــست مقيـــداً أمـــشي بقيـــد

٧٢- وإذا تذكر أيام الحج أنشد:

أيا عذبات البان من أيمن الحمى رعى الله عيشاً في رباك قطعناه

أو أنشد:

إن يكن قلبُك الغداةَ خلياً ففؤادي بالخَيْفِ أمسى مُعارا

٧٣- وإذا رأى ما حلَّ ببعض المسلمين من الأذى والذل أنشد:

كأن لم يكونوا حِمىً يُختشى إذِ الناس إذ ذاك من عَزَّ بزَّا

أو أنشد:

فبينا نسوس الناسَ والأمْرُ أمْرُنا إذا نحن فيهم سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

٧٤- وإذا تذكر عَدْلَ المسلمين أيامَ عزِّهم، وظلمَ غيرهم أنشد:

ملكنا فكان العدلُ منا سجيةً فلما ملكتُمْ سال بالدَّمِ أَبْطحُ

٧٥- وإذا حثَّ أحداً على التنعم بما في يده من النعم الحاضرة، وتَرْكِ ما تتطلع إليه نفسه من المنى الدنيوية التي قد تكون كاذبة أنشد:

خذ ما أتاك ودع شيئاً سمعت به في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

٧٦- وإذا رأى إنساناً يسترسل مع أمانيه دون سعي إلى تحقيقها أنشد:

من كان مرعى عزمه وهمومه روضَ الأمانيْ لم يزل مهزولا

وربما أنشد:

إذا تمنيت بتَّ الليل مغتبطاً إن المنى رأسُ أموالِ المفاليسِ

٧٧- وإذا رأى إنساناً ضيِّق الخيال، لا يتمنى، ولا يتطلع إلى شيء يُروِّح به عن نفسه أنشد:

حَرِّك مناك إذا اغْتممتَ فإنهن مراوحُ

أو أنشد:

إذا ازدحمت همومي في فؤادي طلبت لها المخارج بالتمني

٧٨ـ وإذا رأى جاهلاً لا يقبل النصح أنشد:

والغُمْرُ يأبى أن يَطُوعَ لفاصد ينفي دماً من راهِشَيْهِ خسيسا

٧٩ـ وإذا رأى شهماً ذا همة وروية أنشد:

والشهم من عانى الخطوب وراضها فغدت أرقَّ من النسيم مسيسا

وربما أنشد:

وإذا الرَّويَّة أيقظت عزم الفتى ملأت معاليه الفِخَامُ طروسا

٨٠ـ وإذا رأى رجلاً معتدلاً في سرائِهِ وضرائِهِ أنشد:

إذا مسَّهُ الشرُّ لم يكتَئِبْ وإنْ مسَّهُ الخيرُ لم يُعْجَبِ

أو أنشد:

ولست بمفراحٍ إذا الدهرُ سرَّني ولا جازعٍ من صِرْفِه المتَقَلِّبِ

أو أنشد:

كُلاًّ بلوتُ فلا النعماء تُبْطِرُنِي ولا تَخَشَّعْتُ من لأوائها جَزَعا

٨١ـ وإذا أقلقه أمر لا بد منه أنشد:

على أي شيء يصعب الأمرُ قد ترى بعينك أن لا بد أنك راكبه

٨٢ـ وإذا رأى طالباً كسولاً قال:

غير أن الكسول في كل يوم يجد اليومَ كله أهوالا

ويرى الكُتْبَ والدفاتر والأقـ ـلام والدرس كلَّها أحمالا

من يَقُمْ بالأمور بالجد يهنا والشَّقا للذين (قاموا كسالى)

٨٣ـ وإذا رأى موظفاً أو طالباً يتأخر عن عمله أنشد:

بَكِّـرا صـاحبيَّ قَبْـلَ الهجـيرِ   إن ذاك النجـاحَ في التبكـيرِ

٨٤ـ وإذا رأى أحداً يفتخر بأسلافه، وهو لم يفعل فعلهم أنشد:

إذا العـودُ لم يثمـر وإن كـان شُـعبةً   من المثمرات اعتَـدَّه النـاس في الحَطَـبْ

أو أنشد:

لا عـذرَ للـشجر الـذي طابـت لـه   أعراقُـه أن لا يطيـب جنـاه

٨٥ـ وإذا أراد تنبيه مبتلىً بمصيبة أنشد:

كـم نعمـة لا تـستقل بـشكرها   لله في طـيِّ المكـارهِ كامنـه

٨٦ـ وإذا قيل له: إن فلاناً يغتابك أنشد:

وأُكْـبِرُ نفـسي عـن جـزاء بغيبـة   وكلُّ اغتيـابٍ جهـدُ مَـنْ مـا لـه جُهـد

٨٧ـ وإذا لقي أحداً من أهل دمشق أنشد:

سـلام مـن صَـبا بـردى أرقُّ   ودمـعٌ لا يكفكـف يـا دمـشق

٨٨ـ وإذا زاره أحدٌ من أهل اليمن أنشد:

بـالله قـولي لـه مـن غـير معتبـة   مـاذا أردت بطـول المكـث في الـيمن

إن كنت حاولت دنيا أو نعمـت بهـا   فـما وجـدت بـترك الحـج مـن ثمـن

٨٩ـ وإذا رأى إنساناً يتكلف غير طبعه أنشد:

ومن يبتدعْ خُلُقاً سوى خُلْـقِ نفـسه   يَدَعْـهُ وترجِعْـهُ إليـه الرواجـعُ

وربما قال:

وأسرعُ مفعـولٍ فعلـت تغـيراً   تكَلُّـفُ شيءٍ مـن طباعـك ضِـدُّه

٩٠ـ وإذا رأى إنساناً يرفع صوته في المحاورة أو الخصومة أنشد:

لا ترفعنْ صوتَك يا عَبْد الصمد ... إن الصواب في الأَسَدِّ لا الأشَدّ

٩١- وإذا رأى أناساً مختلفين في الآراء، ولم يسلكوا أدب الاختلاف أنشد:

وإذا الخصمان لم يهتديا ... سنةَ البحث عن الحق غبر

٩٢- وإذا شهد أناساً يتجاذبون الآراء بأدب، وسموٍّ أنشد:

يحلو النضالُ ولا نضال ألذُّ مِنْ ... تَنْقادِ آراءٍ بغير خصام

والرأي يَخْلُصُ بالنقاش الحُرِّ مِنْ ... صدإِ الخمولِ ولُبْسَةِ الإبهام

هي كالسحائب هذه وطْفاءُ إن ... مرَّت وتلك تَمُرُّ مَرَّ جهام

وجآذر الأفكار لا تَرِدُ الحِمى ... مالم تُسَسْ برويةٍ ونظام

٩٣- وإذا رأى إنساناً يبدي آراءه بشجاعة ولباقة أنشد:

إن الشجاعة في الرجال مراتب ... وأجلهن شجاعة الآراء

٩٤- وإذا رأى شجاعاً عاقلاً أنشد:

وكل شجاعة في المرء تُغْني ... ولا مثل الشجاعة في الحكيم

أو أنشد:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مِرَّةٍ ... بلغت من العلياء كل مكان

أو أنشد:

إن الشجاعة في الرجال كثيرة ... ورأيت شجعان العقول قليلا

٩٥- وإذا رأى جاهلاً متجاسراً على الشريعة، متطاولاً على أحكامها أنشد:

هي فِطْرَةُ الخلاَّق كالمرآة لا ... تلقى بها عِوَجاً ولا تدنيسا

تزدادُ يُمناً ما اتقيت فإن دنا ... منها الخَنَا عَادَتْ عليك بَسوسا

٩٦ـ وإذا سمع أحداً يُقَدِّمُ العقلَ على النقل أنشد:

يعــترض العقــلُ عــلى خــالقٍ ... مــن بعــض مخلوقاتِــهِ العقــلُ

٩٧ـ وإذا سمع أو قرأ عن البحث في ماهية العقل، وكثرة الاختلاف في ذلك أنشد:

سَلِ الناسَ إن كانوا لـديك أفاضـلاً ... عن العقل وانظـر هـل جـواب مُحَصَّلُ

٩٨ـ وإذا سمع أو قرأ عن الخوض في الروح، وعن خرافة تحضير الأرواح أنشد:

لا تَــسْمَعنْ لعــصابة الأرواح مــا ... قــالوا ببــاطن علمــه وكِذابــه

الــروح للــرحمن جــل جلالــه ... هــي مــن ضَــنائن علمــه وغيابــه

ضنائن علمه: خصائص علمه مما اختص به ـسبحانهـ نفسه؛ فلا يعلم به سواه، وغيابه: أي غيبه ـعز وجلـ.

٩٩ـ وإذا مات إنسانٌ، وخلَّف علماً نافعاً، أو ذكراً حسناً أنشد:

ذكـر الفتـى عمـره الثـاني وحاجتـه ... مــا قاتــه وفــضولُ العــيشِ أشــغال

أو أنشد:

عمــر الفتــى ذكــره لا طــولُ مُدَّتِــهِ ... وموتُــه خزيُــه لا يومُــه الــداني

فــأحيي نفــسك بالإحــسان تزرعــه ... تُجْمَــع بــه لــك في الــدنيا حياتــانِ

أو أنشد:

وإنـــما المـــرءُ حـــديث بعـــده ... فكــن حــديثاً حــسناً لمــن وعــى

١٠٠ـ وإذا شاهد جمال الربيع أنشد:

رقّــت حــواشي الــدهر فهــي تَمْرْمَـرُ ... وغــدا الثــرى في حَلْيِــهِ يتكــسر

وربما قال:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً من الحسن حتى كاد أن يتكلما

١٠١ـ وإذا أوصى رجلاً بعلو الهمة أنشد:

فكن رَجُلاً رِجْلُه في الثرى وهامةُ همتِهِ في الثريا

ولربما أنشد:

ومن كان ذا نفسٍ ترى الأرض جولةً فلا بدَّ يوماً للسموات يرتقي

أو أنشد:

إذا ما علا المرءُ رام العلا ويقنع بالدون من كان دونا

١٠٢ـ وإذا رأى رجلاً مسترسلاً مع شهواته أنشد:

ومَنْ يطعمِ النفسَ ما تشتهي كَمَنْ يطعمُ النارَ جَزْلَ الحطبْ

وربما قال:

كالحوت لا يرويه شيءٌ يَلْهَمُهْ يصبح ظمآنَ وفي الماء فَمُهْ

أو أنشد:

ولله في عرض السموات جنةٌ ولكنها محفوفةٌ بالمكارهِ

١٠٣ـ وإذا رأى شَرِهاً متكالباً على الدنيا غير راض بما يتيسر له من متاعها أنشد:

تُنَافِسُ في طيب الطعام وكُلُّهُ سواءٌ إذا ما جاوز اللهواتِ

أو أنشد:

مُلْكُ كسرى عنه تغني كسرةٌ وعن البحر اجتزاء بالوشل

أو أنشد:

الجـوع يُطـرد بـالرغيف اليـابس فَعَـلامَ تكثـرُ حسرتي ووسـاوسي

١٠٤- وإذا كاتب أخاً له في الغربة، وأراد إخباره أنه باقٍ على العهد أنشد:

لا تحسبوا نـأيكم عنـا يغيِّرنـا أن طالمـا غَـيَّرَ النـأيُ المحبينـا

١٠٥- وإذا هبَّ نسيم الصبا، وتذكر أحبته البعيدين عن عينه أنشد:

ويـا نسيمَ الصبا بلِّـغ تحيتَنـا مَـنْ لَـوْ عـلى البُعـد حَيًّا كـان يُحْيِيْنـا

أو أنشد:

هَبَّـت شـمالاً فـذكرى مـا ذكـرتكم إلى الصفاة التـي شَرقـيّ حورانـا

١٠٦- وإذا قال له أحدٌ: إنني مشتاق إلى زيارتك، وما يمنعني عنها إلا الشغل أنشد:

ومـا أنـا ممـن يـدَّعي الشوقَ قَلْبُـه ويحـتج في تـرك الزيـارة بالـشغل

١٠٧- وإذا أوصى أحداً بحاجة، وكررها عليه، ثم نسي المُوْصَى ما طُلِب منه أنشد:

وأكثـر نـسياني لمـا لا يهمنـي وإني لمـا أُعنـى بـه لَـذَكورُ

١٠٨- وإذا شاهد أحمق الطبع لا يعرف ما يضره مما ينفعه أنشد:

لكـل داءٍ دواء يـستطب بـه إلا الحماقـةَ أعيـت مـن يـداويها

وربما أنشد:

ومـن البليـة عـذلُ مـن لا يرعـوي عـن غيِّـه وخطـاب مـن لا يفهـم

١٠٩- وإذا قيل له: نراك تغض الطرف عن كثير من الأمور أنشد:

أُغَمِّـضُ عينـي عـن أمـور كثـيرة وإني عـلى تـرك الغُمـوضِ قـديرُ

وما مـن عمـى أغـضي ولكـن لـربما تعـامى وأغـضى المـرء وهـو بـصير

١١٠ـ وإذا شكا إليه أحدٌ ما يلاقيه من إساءة وكنود، وأراد تصبيره أنشد:

يـا مـن تـضايقه الفعـا ل مـن الـذي ومـن التـي
ادفـع فـديتك بـالتي حتـى تـرى فـإذا الـذي

١١١ـ وإذا رأى أحداً يسعى لعزِّ أناسٍ ومصلحتهم، وهم يسعون لحِطَّتِه وضرره أنشد:

أريـد حياتـه ويريـد قـتلي عـذيرُك مـن خليلـك مـن مـرادِ

أو أنشد:

أهـوى بقـاءهمُ جهـدي وأكثـر مـا يهـوون أن أغتـدي في حفـرة الـتربِ

أو أنشد:

فـما بـال مـن أسـعى لأجـبرَ كـسرَهُ حفاظـاً ويهـوى مـن سـفاهتِه كـسري

١١٢ـ وإذا قيل له: إن فلاناً لا يزال عاتباً زارياً على أصحابه دون سبب مع سعيهم لإرضائه أنشد:

شرُّ الأخـلاء مـن تـسعى لترضـيَهُ ولا يـزال عليـك الـدهرَ غـضبانا

١١٣ـ وإذا أوصى إنساناً بالمحافظة على صديقه، ومياسرته، وإحسان سياسته، وقبوله على علاته، وبيّن له أن ذلك أمارةُ نباوةِ الشأن، وكمالِ العقل، وكِبَرِ النفس أنشد:

احفـظ أخـاك وإن تبـيَّن أنـه بـالي الـودادِ ضـعيفُه مُختلَّـهُ
فـالبُرْدُ يكفيـك العيـونَ دريـسُه والعـضو ينفـع في الخطـوب أشـلُّهُ

البرد: الثوب، والدريس: الثوب الخَلِق.

١١٤ـ وإذا بدرت جفوةٌ من صديق، وحدَّثته نفسُه بصرمِه ولكنه تأنّى، وجعل

فرصة للوفاق أنشد:

جفا الصديقُ فناجيت الفؤادَ بأن ... يبيت في جفوة تلقاء جفوته
أبى وقال أصون العهد متَّئداً ... فَرُبَّ ودٍّ صفا من بعد غُبرتهِ
عاد الصديق فأصفى ودَّه فإذا ... حديث نجواي منسوخٌ برُمَّتِهِ
إن تلقَ طبعاً رقيقاً فاغرسنَّ به ... مودَّةً يُسقِها من ماء رقته

١١٥ - وإذا رأى رجلاً ذا مروءة، وتكرم، وتحمُّل للناس أنشد:

تَلَذُّ له المروءةُ وهي تؤذي ... ومن يعشق يلذُّ له الغرامُ

١١٦ - وإذا شكا إليه أحدٌ ما يلقاه في سبيل العلم والمكارم أنشد:

دون الحلاوة في الزمان مرارةٌ ... لا تُختَطى إلا على أهواله

١١٧ - وإذا رأى رجلاً لا يزن كلامه أنشد:

وإن كلام المرء في غير كنهه ... لكا النبل تهوي ليس فيها نصالها

أو أنشد:

وإن لسانَ المرءِ ما لم تكن له ... حصاةٌ على عوراته لَدليلُ

أو قال:

رأيت اللسان على أهله ... إذا ساسه الجهل ليثاً مُغيرا

١١٨ - وإذا رأى إنساناً ثرثاراً، كثير السقط أنشد:

هِذريانٌ هَذِرٌ هَذَّارةٌ ... موشك السَّقْطة ذو لبٍّ نَثِرْ

الهذر: الكلام الكثير، والنَّثِر: المتساقط.

١١٩ - وإذا قيل له: فلان يحسن الحديث، ويتفنن في طرحه، ويغري باستماعه ولو كان حديثه مكروراً أنشد:

يعاد حديثه فيزيد حسناً وقد يُستقبح الشيءُ المعادُ

أو أنشد:

سبحان ربي تبارك الله ما أشبهَ بعض الكلام بالعسلِ

١٢٠ـ وإذا أراد المقارنة بين متحدث بارع يأخذ بالألباب، وآخرَ يلغو بكلام فارغ ثقيل على المخاطبين أنشد:

من الناس من لفظُه لؤلؤ يبادره اللفظ إذ يَلْفُظُ

وبعضهمُ قوله كالحصى يقال فَيُلغى ولا يُحْفَظُ

١٢١ـ وإذا رأى إنساناً يسيء إلى صاحبه، ولا يراعي مشاعر جلسائه؛ بحجة المزاح أنشد:

أفي كلِّ يومٍ أنت قائلُ سوءةٍ تسوء بها وجهي كأنك مازح

١٢٢ـ وإذا سمع بولدٍ لم يكن كما أمَّل به أهله أنشد:

ولربَّ أمٍّ أمَّلت في طفلها هِمَمَ الملوك فقام يحدو العيسا

أو أنشد:

كم حسرةٍ لي في الحشا من ولد إذا نَشا

وكم أردت رشده فما نَشَا كما نَشا

١٢٣ـ وإذا كثر سفره في بعض الأحيان أنشد:

أكلَّ الدهر حَلٌّ وارتحال أَمَا يبقي علي ولا يقيني

١٢٤ـ وإذا قيل له: فلان يُسَاءُ إليه، ويُحْسِن إلى من أساء أنشد:

يجني عليَّ وأحنو صافحاً أبداً لا شيء أحسن من حانٍ على جانِ

١٢٥ـ وإذا رأى عاقلاً غضب على أمر يستحق الغضب، وليم على ذلك، وأراد

أن يسوغ فعل ذلك العاقل أنشد:

عجبوا لِحلمك أن تحوَّل سطوةً وزُلال خُلقِكَ كيف عاد مكدراً

لا تعجبوا من رقة وقساوةٍ فالنار تقدح من قضيب أخضرا

وربما أنشد:

إذا قيل رفقاً قال للحلم موضعٌ وحلم الفتى في غير موضعه جهل

١٢٦ـ وإذا رأى متجاهلاً يَتَسَفَّه، ويسيء كلما حُلِمَ عليه، ثم قوبل بالحزم والحسم أنشد:

والجهل إن تلْقه بالحلم ضُقْتَ به ذرعاً وإن تلقه بالجهل ينحسم

أو أنشد:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادِرُ تحمي صفوه أن يكدرا

١٢٧ـ وإذا أراد أن يبين حاجة الحليم إلى السفيه الذي يردُّ عنه بعض الجهل أنشد:

لابد للسّيد من أرماح ومن عديدٍ يُتَّقى بالراح

ومن سفيه دائم النباح

١٢٨ـ وإذا نزل ببلدة لا يعرف فيها أحداً قال:

شر البلاد بلاد لا صديق بها وشَرُّ ما يكسب الإنسان ما يَصِمُ

١٢٩ـ وإذا مر ببلدة أو مَحِلَّةٍ، وله فيها أحباب وأصحاب أنشد:

أسكانَ نعمانَ الأراكِ تيقنوا بأنكمُ في رَبْعِ قلبيَ سكانُ

١٣٠ـ وإذا عاد من سفر أنشد:

وألقت عصاها واستقر بها النوى كما قَرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

١٣١ـ وإذا رأى إنساناً يكثر من زيارة أناس، وشعر منهم ملالة منه أنشد:

عليك بإقلال الزيارة إنها ... تكون متى دامت إلى الهجر مسلكا

فإني رأيت القطر يُسأم دائباً ... ويطلب بالأيدي إذا هو أمسكا

١٣٢ـ وإذا قيل له: نراك تقلل من الزيارة أنشد:

وأغببت الزيارة لا ملالاً ... ولكن من محاذرة المِلالِ

أو أنشد:

من أكثر الغِشْيان خس قدرُه ... لو كثر الياقوت هان أمره

١٣٣ـ وإذا قيل له: تركت زيارة فلان مع مواصلتك إياه آنفاً أنشد:

إني كثرتُ عليهِ في زيارته ... فملَّ والشيء مملول إذا كثرا

قد رابني منه أني لا أزال أرى ... في عَيْنِه قِصَراً عني إذا نظرا

١٣٤ـ وإذا قال له أحد أحبته: أخشى أن تَمَلَّني من كثرة زيارتي إياك أنشد:

ولو واصلتني في كل يوم ... إلى يوم القيامة ما كفاني

أو أنشد:

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ... ولكن لا خيار مع الليالي

١٣٥ـ وإذا شاهد كبير قومٍ حليم أنشد:

لقد كان أما حِلمُه فَمُروَّحٌ ... علينا وأما جهلُه فعزيب

١٣٦ـ وإذا رأى رجلاً يرعى مصالح قومه، ويقوم بحقوق الكبار والصغار أنشد:

ولم يكن أحدٌ يلهيه عن أحدٍ ... كأنه والدٌ والناس أطفال

وربما أنشد:

فكنتَ لناشيهم أباً ولِكَهْلِهم أخاً ولذي التقويسِ والكَبْرةِ ابنما

أو أنشد:

وكنت لهم عَمّاً لطيفاً ووالداً رؤوفاً وأماً مَهَّدتْ فأنامتِ

ذو التقويس والكَبْرة: هو كبير السن الذي تقوس ظهره من الكِبَر.

١٣٧- وإذا رأى إنساناً ساقطاً لا يعجبه صنيعٌ حَسَنٌ أنشد:

وما على العنبر الفواح من حرج أنْ مات مِنْ شمِّه الزبَّال والجُعَل

١٣٨- وإذا بدت جبال بلده تلوح أمامه وهو قادم من سفر أنشد:

فأجهشت للتوباد حين رأيته وكَبَّر للرحمن حين رآني

١٣٩- وإذا رأى كريماً لا ينبعث لإسعاف ذوي الحاجات إلا إذا عوتب وحُرِّك للعطاء أنشد:

في الناس من لا يُرتجى نفعُه إلا إذا مُسَّ بأضرار

كالعود لا يُطْمع في طيبه إلا إذا أُحْرق بالنار

وربما أنشد:

قد يُهزُّ الهنديُّ وهو حسامٌ ويُحَثُّ الجوادُ وهو جواد

١٤٠- وإذا رأى رجلاً يروي الشِّعْرَ، ويَقْرضُه أنشد:

لقد خشيت أن تكون ساحرا روايةً مَرّاً ومَرّاً شاعرا

١٤١- وإذا رأى رجلاً يُخَطِّئ الأكابر، وهو مخطئ أنشد:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفتُه من الفهم السقيم

١٤٢- وإذا قيل له: ما ترك الأول للآخر شيئاً أنشد:

يقول من تَقْرَعُ أسماعَه كم ترك الأول للآخر

أو أنشد:

كم غادر الشعراء من مُتَرَدَّمِ ولَرُبَّ تالٍ بَذَّ شأوَ مُقدَّمِ

١٤٣ـ وإذا رأى شباباً لا ينظرون في مآلات الأمور أنشد:

لم أر مثل الفتيان في غِيَرِ الأيام ينسون ما عواقبُها

١٤٤ـ وإذا رأى رجلاً ذا شطط ومبالغة أنشد:

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعبا

أو أنشد:

إن بين التفريط والإفراطِ مَسلكاً منجياً من الإيراط

الإيراط: الهلكة والورطة.

١٤٥ـ وإذا قيل له: إن فلاناً يتنكر للمعروف، ولا يحفظ الود أنشد:

نبئت عمراً غيرَ شاكرِ نعمتي والكفرُ مَخْبَثَةٌ لنفس المنعم

١٤٦ـ وإذا رأى شاكراً لمن أحسن إليه، معترفاً لأهل الفضل بفضلهم أنشد:

الشكر أفضلُ ما حاولتَ ملتمساً به الزيادةَ عند الله والناسِ

١٤٧ـ وإذا أسدى إليه أحدٌ معروفاً، ورغب في شكره أنشد:

أذكرُ النُّعمى التي لم أنْسَها لك في السَّعْيِ إذا العبدُ كَفَرْ

أو أنشد:

فلو كان للشكر شَخْصٌ يبين إذا ما تأمَّله الناظرُ

لمَثَّلْتُهُ لك حتى تراه فَتَعْلَمَ أني امرؤ شاكرُ

١٤٨ـ وإذا ناله ضررٌ من صديق أنشد:

ومن العداوة ما ينالك نفعُه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

١٤٩ـ وإذا رأى أحداً يدعي محبة أحدٍ من الناس دون أن يسعى إلى منفعته مع قدرته على ذلك أنشد:

أخوك الذي ترضيه لا من توده ألا ربَّ ودٌّ لا يفيد فتيلا

أو أنشد:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتيَ ما زودتني زادي

١٥٠ـ وإذا قال له أحد: إنني أشتاق إلى فلان، وأُصْفِيْهِ الودَّ، ولا أرى منه إلا صدوداً، وبروداً، وشروداً أنشد:

أقِلَّ اشتياقاً أيها القلب ربما رأيتك تصفي الودَّ من ليس صافيا

١٥١ـ وإذا قيل له: إن فلاناً تولَّى عملاً، أو أصاب ثروةً، فبخل على قومه، ولم ينفع أحداً منهم مع أن ذلك لا يضيره بشيء أنشد:

ومن يك ذا فضل ويبخل بفضله على قومه يُستغن عنه ويُذمم

أو أنشد:

يا أبا جعفر لكم من نعيم عاد في أهله بلاءً وبُؤسا

اعلمنْ عن تيقنٍ واختبار (إن قارون كان من قوم موسى)

١٥٢ـ وإذا استنجد أحدٌ بأخٍ له حقٌّ عليه، فقصَّر في إنجاده، ولم يعره اهتماماً أنشد:

وإني في دعائك من خطوب ألَمَّتْ أرتجيك لهن آسي

كمرسل دعوةٍ بفلاة أرض متى تبلغ مدىً ترجع بياسِ

١٥٣ـ وإذا أثنى على أحد بسرعة النجدة، وإنجاح الطَّلبة أنشد:

إذا أيقظتك حروب العدى فَنَبِّه لها عمراً ثم نَمْ

١٥٤ـ وإذا رأى أحداً لا يحرص على رفعة شأن غيره؛ رغبة منه في الانفراد بخصال الحمد، وخشية أن ينافسه أحدٌ في ذلك أنشد:

أبـا جعفـر هـلا اصـطنعت مـودتي وكنـت مـصيباً فيَّ أجـراً وموضـعا
فكم صاحب قد جلَّ عن قدر صاحبٍ فمـدَّ لـه الأسـباب فارتفعـا معـا

١٥٥ـ وإذا أراد تحذير إنسانٍ يَظْلِم مَنْ تحت يَدِه، ويُحَرِّض من فوقه على الظلم أنشد:

إيهـاً أبـا جعفـر وللـدهر كَـرَّا تٌ وعـما يريـب متـسعُ
بعثـت ليثـاً عـلى فرائـسه وأنـت منهـا فـانظر متـى تقـعُ

أو أنشد:

أبـا جعفـر خَـفْ نبوةً بعـد صـولة وقـصِّرْ قلـيلاً عـن مـدى غُلَوائكـا
فـإن يـكُ هـذا اليـوم يومـاً حويتُـه فـإن رجـائي في غـدٍ كرجائكـا

١٥٦ـ وإذا أوصى أحداً بالرفق والأناة أنشد:

الرفـق يُمْـنٌ والأنـاةُ سـلامةٌ فاسـتأن في رفـقٍ تـلاقِ نجاحـا

١٥٧ـ وإذا ذكر مخادعاً مخلفاً أنشد:

كلامُـه أخـدعُ مـن لحظـه ووعـدُه أكـذب مـن طيفـه

١٥٨ـ وإذا ذم كذوباً بكثرة الحلف أنشد:

وأكـذب مـا يكـون أبـو المثنـى إذا آلى يمينـاً بـالطلاق

١٥٩ـ وإذا أثنى على إنسان بالصدق، وقلة الحلف أنشد:

قليـل الألايـا حـافظ ليمينـه وإن بَـدَرَت منـه الأليـة بـرتِ

أو أنشد:

الحـــرُّ عـــزامٌ بــلا يمـــين وعزمـــةُ الأحـــرار كـــاليمين

١٦٠- وإذا رأى أحداً يفهم الكلام على غير وجهه، ويحمله على أسوأ محامله أنشد:

ومـــن يــكُ ذا فـــم مـــرٍّ مـــريض يجـــد مُـــرّاً بـــه المـــاءَ الـــزلالا

١٦١- وإذا حذَّر أحداً من مجلس سوء أنشد:

إن الـسلامة مـن سـلمى وجارتهـا ألا تَمُـــرُّ بواديهـــا عـــلى حـــالِ

١٦٢- وإذا ذَكَر مجالسَ الأكابر أنشد:

وفـيهم مقامـاتٌ حِـسانٌ وجوههـا وأنديـــةٌ ينتابهـــا القـــول والفعـــل

وإن جئـتهم ألفيـت حـول بيـوتهم مجـالسَ قـد يَـشْفى بأحلامهـا الجهـلُ

أو أنشد:

لا يُقَـــال الفُحـــش في نـــاديهمُ لا ولا يَبخَـــلُ مـــنهم مـــن يُـــسَلْ

١٦٣- وإذا جالس عاقلاً، وانصرف من مجلسه أنشد:

وكنـت جلـيسَ قعقـاعِ بـنِ شَـور ولا يـــشقى بقعقـــاع جلـــيسُ

ضـحوك الـسن إن نطقـوا بخـير وعنـــد الـــشر مطـــراقٌ عبـــوسُ

١٦٤- وإذا حث على مصاحبة جليس صالح كريم أنشد:

هـو بحـر الـسماح والجـود فـازدد منـــه قربـــاً تـــزددْ مـــن النـــار بُعـــدا

١٦٥- وإذا رأى إنساناً متوانياً عن المعالي، وهو مستطيع لذلك أنشد:

ولم أرَ في عيـــوب النـــاس شـــيئاً كـــنقص القـــادرين عـــلى الـــتمام

١٦٦- وإذا رأى رجلاً يحرص على مالا يجب عليه من الحقوق، ويضيع الواجباتِ المنوطةَ به أنشد:

كمرضعةٍ أولادَ أخرى وضَيَّعَتْ بنيها فلم تَرْقَعْ بذلك مَرْقَعا

أو أنشد:

كساعيةٍ إلى أولادِ أخرى لِتَحضِنَهم وتَعْجِزُ عن بنيها

أو أنشد:

كتاركةٍ بيضَها بالعراء ومُلحفةٍ بيضَ أخرى جناحا

١٦٧ـ وإذا قيل له: لم لا تعاتب فلاناً على هجره أنشد:

ولعل أيامَ الحياةِ قصيرةٌ فعلام يكثر عَتْبُنا ويطول

وربما أنشد:

حَسْبُ الأحبة أن يُفَرِّقَ بينهم ريبُ المنون فمالنا نستعجل

أو قال:

العمر أقصر مدةً من أن يُمَحَّقَ بالعتاب

١٦٨ـ وإذا رأى إنساناً يكثر من العتاب بلا داعٍ أنشد:

وأراكَ تَكْلَفُ بالعتاب ووُدُّنا صافٍ عليه من الوفاء دليل

١٦٩ـ وإذا رأى شخصاً يريد التخفيف عن نفسه بعتاب غيره أنشد:

فدعِ العتاب فرب شرٍ هاج أوَّلُه العتاب

أو قال:

لا تُطْفِئَنَّ جوىً بلومٍ إنه كالريح تغري النار بالأحراق

١٧٠ـ وقد يعزم على معاتبة صاحب له، فيقابله ذلك الصاحب بوجهٍ طلق، وجبين وضَّاح، فيدع معاتبته، وينشد:

أزور محمداً وإذا التقينا تكلمت الضمائر في الصدور

فأرجع لم أَلُمْهُ ولم يَلُمْني وقد رضي الضميرُ عن الضمير

١٧١ـ وإذا قيل له: لِمَ تعاتبُ فلاناً، وعاتبت فلاناً، ثم بَيَّن أن ذلك المعاتب تكرر منه الخطأ أنشد:

أعاتب ذا المودة من صديقٍ إذا ما سامني منه اغتراب
إذا ذهب العتاب فليس ودٌّ ويبقى الود ما بقي العتاب

١٧٢ـ وإذا قيل له: عاتبْ فلاناً لعله يُقْصِرُ عن زلَلِهِ وتقصيره، ويرجع إلى سالف عهده، وأراد أن يبين أن العتاب لا ينفع مع ذلك الرجل؛ لأنه منصرف عن المودة، زاهدٌ في الصحبة أنشد:

أقلل عتاب من استربت بودِّه ليست تنال مودة بعتاب

أو أنشد:

أعاتب من يحلو عليَّ عتابُه وأترك ما لا أشتهي وأجانبه

أو أنشد:

وإذا ما القلوبُ لم تضمرِ الودَّ فلن يَعْطِفَ العتابُ القلوبا

١٧٣ـ وإذا قيل له: فلان تضايق من عتابٍ يستحقه أنشد:

لا تأنفنَّ من العتاب وَقَرْصِه فالمسك يُسحقُ كي يزيدَ فضائلا

١٧٤ـ وإذا رأى إنساناً متقلب المزاج، لا يعرف رضاه من سخطه أنشد:

فلا صرمه يبدو وفي اليأس راحةٌ ولا وصله يبدو لنا فَنُكَارِمُهْ

١٧٥ـ وإذا أراد إرضاء عاتب عليه أنشد:

.... سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري

١٧٦ـ وإذا حثَّ إنساناً على التشمير والجد قال:

ما أبيض وجهُ المرءِ في طلب العلا حتى يُسَوَّد وجْهَه في البيدِ

١٧٧ ـ وإذا ناله إساءةٌ من صديق، وصبر عليها أنشد:

وأُغْمِضُ للصديق عن المساوي مخافة أن أعيش بلا صديق

أو قال:

وكنت إذا الصديق أراد غيظي وأشرقني على حنقٍ بريقي

عفوت ذنوبه وصفحت عنه مخافة أن أعيش بلا صديق

١٧٨ ـ وإذا رأى جفوةً، وتغيراً من صديق دون أن يعرف سبب ذلك أنشد:

يا صديقي بالأمس صِرْت عدواً سُؤتني ظالماً ولم تَرَ سُوَّا

صِرْتَ تُغْري بِيَ الهمومَ وقد كنـ ـت لقلبي من الهموم سُلُوَّا

أيُّ واشٍ وشى وأيُّ عَدُوٌّ دبَّ حتى نبوتَ عني نُبُوَّا

كلما ازددتُ صحةً لك في الودِّ تزيَّدتَ نبوةً وعتوَّا

١٧٩ ـ وإذا لقي صاحباً بعد طول انقطاع، فتنكر له ذلك الصاحب، وأظهر عدم معرفته بعده أنشد:

أتناسيت أم نسيت إخائي والتناسي شر من النسيان

١٨٠ ـ وإذا رأى كريماً يحسن، ويتبع الإحسانَ الإحسانَ أنشد:

وما كلُّ هاوٍ للجميل بفاعل ولا كلُّ فعالٍ له بمتمم

أو أنشد:

ولا مجدَ إلا حين تُحْسِنُ عائداً وكل فتىً في الناس يُحْسِنُ باديا

١٨١ ـ وإذا شكا إلى أحد أحبته بَعْضَ ما يلقاه أنشد:

وأبثثت عَمْراً بعض ما في جوانحي وجرَّعْتُه من مُرِّ ما أتجرع

ولا بد مــن شــكوى إلى ذي حفيظـة   إذا جعلـــت أسرارُ نفـــسٍ تَطَلَّـــعُ

وربما قال:

شـكوت ومـا الـشكوى لمثلي عـادةٌ   ولكــن تفـيض الكـأس عنـد امتلائهـا

أو قال:

لا يـــبرأ المـــصدور مـــن ســـقم   في صــــــدره إلا إذا نَفَثـــــا

١٨٢ـوإذا رأى أحداً يشكو إلى من لا يعنيه شأنه، أو إلى من لا يُشكِّي ولا يبالي بأحد أنشد:

تمـــوت النفـــوسُ بأوصـــابها   ولم يَـــذْرِ عُوَّادُهـــا مـــا بهـــا

ومـــا أنـــصفت مهجـــةٌ تـــشتكي   إلى غـــير أحبابهـــا مـــا بهـــا

أو أنشد:

لا تـــشكون إلى خلْـــقٍ فتُـــشْمِتَهُ   شـكوى الجـريح إلى الغربـان والـرَّخم

١٨٣ـ وإذا حث على ارتفاع النفس، وبث الشكوى إلى الخالق ـجل جلالهـ أنشد:

وإذا عرتـــك بليـــة فاصـــبر لهـــا   صـــبر الكـــريم فإنـــه بـــك أعلـــمُ

وإذا شـــكوت إلى ابـــن آدم إنـــما   تـــشكو الـــرحيم إلى الـــذي لا يـــرحمُ

١٨٤ـ وإذا كثرت عليه المصاعب، والمتاعب أنشد:

حتـــى كـــأني للحـــوادث مـــروةٌ   بِـــصَفا المـــشَقَّرِ كـــلَّ يـــومٍ تقـــرع

١٨٥ـ وإذا حزن على أمرٍ أنشد:

الحـــزن يقلـــق والتجمـــل يـــردعُ   والـــدمع بيـــنهما عـــصيٌّ طيِّـــعُ

يتنازعـــانِ دُمـــوعَ عـــينٍ مُـــودَّعٍ   هـــذا يجـــيء بهـــا وهـــذا يرجـــع

١٨٦ـ وإذا دهاه أمرٌ لا يمكنه تغييره أنشد:

وأحقُّ ما صبر امرؤ من أجله ... ما لا سبيل له إلى تغييره

أو أنشد:

أفوِّض ما تضيق به الصدورُ ... إلى من لا تغالبه الأمورُ

أو أنشد:

ربما تكره النفوسُ من الأمرِ له فَرْجَةٌ كَحَلِّ العقالِ

أو أنشد:

انعم ولَذَّ فللأمور أواخرٌ ... أبداً إذا كانت لهن أوائل

١٨٧ـ وإذا رأى ظالماً تسلط على ظالم أنشد:

ولكل شيءٍ آفةٌ من جنسه ... حتى الحديدُ سطا عليه المِبْردُ

أو أنشد:

وما من يدٍ إلا يدُ الله فوقها ... ولا ظالمٍ إلا سيبلى بظالم

١٨٨ـ وإذا قيل له: إن فلاناً يُلِحُّ إذا أراد حاجة، وإذا أريد منه شيء بادر بالعذر أنشد:

وأخٍ إن جاءني في حاجة ... كان بالإلحاح مني واثقا

وإذا ما جئته في حاجة ... كان بالرد بصيراً حاذقا

يُعْمِلُ الفكرةَ لي في الردِّ مِنْ ... قبْلِ أن أبدأ فيها ناطقا

١٨٩ـ وإذا قيل له: إلى مَنْ تشتاق مِنْ أصحابك أنشد:

وإني لمشتاقٌ إلى ظل صاحبٍ ... يروقُ ويصفو إن كَدِرْتُ عليه

١٩٠ـ وإذا قيل له: من تحب من الإخوان أنشد:

أحب من الإخوان كل مُواتِ وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يساعدني في كل أمر أحبه ويحفظني حياً وبعد مماتي
فمن لي بهذا ليت أني وجدته لقاسمته مالي من الحسناتِ

وربما قال:

بنفسي أخي برٌّ شددت به أزري فألفيته حُرّاً على العسر واليسر
أغيب فَلِيْ منه دعاءٌ ومِدحةٌ وأحْضُر منه أحسن القول والبشرِ

١٩١ - وإذا قيل له: من صاحبك حقاً أنشد:

حبيبُك من يغار إذا زللتا ويغلط في الكلام متى أسأتا
يُسَرُّ إذا اتصفت بكل فضل ويحزن إن نَقَصْتَ أو انتُقِصْتا
ومن لا يكترثْ بك لا يبالي أَحُذْتَ عن الصواب أو اعتدلتا

١٩٢ - وإذا قال له محب: هل ضَيَّقْتُ عليك في المجلس أنشد:

يرى الأحبابُ ضنكَ العيش وَسْعاً ولا يَسَعُ البغيضين الفضاءُ

١٩٣ - وإذا وقعت عينه على أحد أحبته في جمع من الناس أنشد:

أقلِّب طرفي بينهن فيستوي وفي القلب بونٌ بينهن بعيد

١٩٤ - وإذا سمع عن فضائل شخص، وأحبه قبل أن يراه أنشد:

وكم من محبٍّ قد أحبَّ وما رأى وعشق الفتى بالسمع مرتبة أخرى

أو أنشد:

.... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

١٩٥ - وإذا قيل له: إن فلاناً يتقدم في السن، ولما يزل عقله صغيراً أنشد:

إذا لم يكن مرُّ السنين مترجماً عن الفضل في الإنسان سميته طفلا

١٩٦ـ وإذا رأى أناساً مُغْضبين يتكلمون ويرفعون أيديهم عند كلام الغضب أنشد:

غُلْبٌ تَشَذَّر بالدخول كأنهم جِنُّ البديِّ رواسياً أقدامُها

التشذر: رفع اليد عند كلام الغضب.

١٩٧ـ وإذا حث متخاصمين على الصلح أنشد:

خليليَّ إن لم يغتفر كلُّ واحدٍ عثارَ أخيه منكما فترافضا

وما يلبث الحيَّانِ إن لم يجوِّزوا كثيراً من المكروه أن يتباغضا

خليليَّ بابُ الفضلِ أن تتواهبا كما أن باب النقص أن تتعارضا

١٩٨ـ وإذا ذكر قوماً خياراً عدولاً، يُصْلِحون بين الناس أنشد:

هُمُ وسطٌ يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بِمُعْضِلِ

١٩٩ـ وإذا أثنى على قوم أصلحوا بين فئتين متنازعتين، فرأبوا الصدع، وجمعوا الكلمة بعد أن طالت مدة الخصومة أنشد:

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ منشم

٢٠٠ـ وإذا أثنى على أناس بالطهر والعفاف أنشد:

ثيابُ بني عوفٍ طهارى نقيةٌ وأوجههم عند المشاهد غُرَّانُ

٢٠١ـ وإذا أساء إليه أحد، ورماه بذنب في العلانية، ثم اعتذر إليه في السر أنشد:

وذنبي ظاهر لا شك فيه لطالبه وعذري بالمغيب

أو قال:

ومن الظُّلْمِ أن يكون الرضى سرّاً ويبدو الإنكار وسْطَ النادي

أو أنشد:

جفاءٌ جرى جهراً لدى الناس وانبسطْ وعــذرٌ أتــى سراً فأكَّــد مــا فَــرطْ

ومــن ظــن أن يمحــو جــليَّ جفائــه خفــيُّ اعتــذارٍ فهــو في أعظــم الغلــطْ

٢٠٢ـ وإذا قال له أحدٌ: إن فلاناً ينكر فضلي وهو يراه رأي العين أنشد:

ويُظْهِــــرُ الجهــــلَ بي وأعرفــــه والــــدُّرُّ دُرٌّ بــــرغم مــــن جهلــــه

٢٠٣ـ وإذا وصف إنساناً بأصالة الرأي، وتدبر العواقب، وكثرة المخارج قال:

عليم بــها خلــف العواقــب إن سرت بديهتــه فــضلاً بــها في العواقــب

وصـــيقلُ آراءٍ يبيـــت يَكُـــدُّها ويــشحذها شَــحْذَ المُــدَى للنوائــب

أو قال:

حُــــوَّلٌ قُلَّــــبٌ مِعَــــنٌّ مِفَــــنٌّ كــــلُّ داءٍ لــــه لديــــه دواءُ

أو أنشد:

بــصير بأعقــاب الأمــور كــأنما تخاطبــه في كــل أمــر عواقبُــه

٢٠٤ـ وإذا رأى إنساناً هَمُّهُ جمعُ المالِ، ولا يجعله سبباً لسعادته في دنياه وأخراه أنشد:

فيــا موقــداً نــاراً لغــيرك ضــوؤها ويــا حاطبــاً في حبــل غــيرك تحطــب

أو أنشد:

اسْــــلَمِي أمَّ خالــــدِ ربَّ ســــاعٍ لقاعــــدِ

ربَّ مــــالٍ جمعتُــــه لامــــرئ غــــير حامــــدِ

أو أنشد:

ربَّ نــارٍ جــدَّ في إيقادهــا موقــدٌ لكنَّــه لم يــصطلِ

٢٠٥- وإذا رأى إنساناً يكدح، وينفق على آخر قاعد، أو رأى إنساناً يقتنص الفوائد، وينقب عن الفرائد، ويبثها عند قوم لا يُعَنُّون أنفسهم من أجلها أنشد:

هذا يصيد وهذا يأكل السَّمكة

٢٠٦- وإذا مات عالم أو كبير له وزنه في ضبط الأمور أنشد:

أودى الخيار من المعاشر كلهم ... واسْتَبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ

وتنازعوا في كلِّ أمرٍ عظيمة ... لو كنت حاضرهم بها لم ينبسوا

وربما أنشد:

الناسُ بعدك قد خَفَّت حلومُهُمُ ... كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصيرُ

أو أنشد:

هذا أبو القاسم في نعشه ... قوموا انظروا كيف تزول الجبالْ

٢٠٧- وإذا رأى أناساً حزانى مجتمعين عند مَيْتٍ عزيز إلى نفوسهم أنشد:

والناس من حوله هذا يساعفه ... دَمعٌ وهذا شجيُّ القلب مكمودُ

٢٠٨- وإذا مات ذو قدر وفضل، ثم تناساه الناس سريعاً أنشد:

في الحال يعتاضون عنه بغيره ... ويعود ربُّ الحزن غير حزين

الوردُ كان العندليبُ حَلِيفَه ... لما انقضى غنى على النسرين

٢٠٩- وإذا نعى إنساناً حاذقاً في فنٍّ من الفنون، أو صنعة معينة أنشد:

فَمَنْ للقوافي شانها مَنْ يحوكها ... إذا ما ثوى كَعْبٌ وفَوَّز جرولُ

ثوى وفَوَّز: هلك، وكعب: هو الشاعر ابن الشاعر زهير ابن أبي سُلمى، وجرول: الحطيئة.

٢١٠- وإذا رأى رجلاً تولى منصباً، ولم يسبق له سابق خبرة فيه أنشد:

مـن لم يُسَسْ فيطـيرَ في خيـشومه رَهَـجُ الخمـيس فلـن يقـود خميـسا

٢١١ـ وإذا شكى إليه أَحَدٌ ورودَ خاطرِ اليأس على قلبه أنشد:

ولا بُعْـدَ مـن خـير وفي الله مطمـع ولا يـأسَ مِـنْ رَوْح وفي القلـب إيـمانُ

٢١٢ـ وإذا تفكر في ذنوبه، وتفريطه في جنب الله، وتذكر فضل الله، وسعة عفوه قال:

تعـاظمني ذنبـي فلـما قَرَنْتُـهُ بعفـوك ربي كـان عفـوك أعظـما

٢١٣ـ وإذا رأى كبيرَ سِنٍّ سادراً في غيِّه، ماشياً في غُلَوائه أنشد:

ذا ارعـواءٍ فلـيس بعـد اشـتعال الـرأس شـيباً إلى الـصبا مـن سـبيل

أو أنشد:

أطربـاً وأنـت قَنَّـسريُّ والـدهرُ بالإنـسان دوَّاريُّ

القَنَّسري: الكبير السن الذي أتى عليه الدهر.

٢١٤ـ وإذا عزَّى أحداً بابنه أنشد:

عليك بثـوب الـصبر إذ فيـه ملـبسٌ وإن ابنَكَ المحمودَ ـ بعد ابنك ـ الـصبرُ

ومـا أوحـش الـرحمنُ سـاحةَ عبـده إذا عـاشرَ الجـلَّى ومؤنِـسُه الأجـر

٢١٥ـ وإذا مات لأحدٍ ابنُه الأكبرُ الذي يكنى به أنشد:

كيـف الـسلوُّ وكيـف صـبري بعـده وإذا دعيـتُ فـإنها أُكْنَـى بـه

٢١٦ـ وإذا عزَّى أحداً ببلية أنشد:

إذا حـلَّ بـك الأمـر فكـن بالـصبر لَـوَّاذا

وإلا فاتَـكَ الأجـرُ فـلا هـذا ولا هـذا

٢١٧ـ وإذا رأى كبيرَ قَدْرٍ بلي بمصيبة، وأراد تسليته أنشد:

اصبر نكن بك صابرين فإنما صبرُ الرعيةِ عند صبر الراس

٢١٨ـ وإذا كان في رحلة عبر الطائرة لزيارة صديق أنشد:

الشوق يحدونا إلى لقياكا والمقلتان سوادها يرعاكا

يابن الأكارم ذي تحيةُ مشفقٍ في الجو قبل نزوله بحماكا

٢١٩ـ وإذا شرب من ماء زمزم، أو رأى أناساً يشربون منه أنشد:

وَرِدُوا زمزمَ يَشفونَ بها ظمأَ الأكباد حيناً بعد حين

لو شفى عمرو بن كلثوم بها غُلَّه عافَ خمورَ الأندرين

٢٢٠ـ وإذا رأى رجلاً يثق بكل أحد، ويفضي إليه بشقوره ـأي همومه ومكنونات سرائره ـ أنشد:

أكلَّ امرئٍ تحسبين امرءًا ونارٍ توقَّدُ بالليل نارا

٢٢١ـ وإذا رأى زحاماً عند باب كريم يُرْجى نوالُه، وكرمُه أنشد:

يسقط الطيرُ حيث يلتقطُ الحبُّ وتُغشى منازلُ الكرماءِ

وربما أنشد:

يزدحم الناسُ على بابه والمنهلُ العَذْبُ كثيرُ الزحامْ

أو أنشد على لسانهم:

أكابِرَنا عطفاً علينا فإننا بنا ظمأٌ بَرْحٌ وأنتم نواهل

برح: شديدٌ مؤذٍ.

٢٢٢ـ وإذا رأى زهداً، أو تزهيداً بالأكابر أنشد:

فكبيرٌ ألا يصان كبيرٌ وعظيمٌ أن يُنبذَ العظماءُ

٢٢٣ـ وإذا رأى كبيرَ قدرٍ يحط من كبير قدر أنشد:

لا تَضَعْ مِنْ عظيمِ قدرٍ وإن كُنْـ ـتَ مشاراً إليه بالتعظيم

فالكبير العظيم يصغر قدراً بالتَّجَرِّي على الكبير العظيم

٢٢٤ـ وإذا رأى وضيعاً ينتقص كبيراً، ويظن أنه يضيره أنشد:

كناطحٍ صخرة يوماً لِيفْلِقَها فلم يَضِرْها وأوهى قرنَه الوعِلُ

أو أنشد:

ضَرَبَتْني بكفِّها ابنةُ مَعْنٍ أوجعت كفَّها وما أوجعتني

أو أنشد:

وإنا وما تلقي لنا إن هجوتنا لكا البحر مَهما يُلْقَ في البحر يَغْرقِ

٢٢٥ـ وإذا أراد واشٍ، أو شانئٌ أن يحط من قدر أحد إخوانه عنده أنشد:

وماحِلٌ حطَّ قدراً من نَفْسه لم يَصُنْهُ

أراد نقصَ أخٍ لي بما يبلِّغُ عنه

فكان ما سَمِعَتْهُ مسامعي عنه مِنْهُ

الماحل: الذي يكيد بالسعاية.

٢٢٦ـ وإذا قال له صديق فاضل عاقل: هل نزلت من عينك بسبب فلانٍ الذي أراد الحط من شأني عندك أنشد:

ما حطك الواشون من رتبةٍ عندي ولا ضرك مغتاب

كأنها أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا

٢٢٧ـ وإذا رأى إنساناً يسعى بين الناس بالوشاية أنشد:

لعمرك ما سب الأميرَ عدوُّه ولكن من سَبَّ الأميرَ المبلغُ

أو أنشد:

من يُخَبِّرْكَ بِشَتْمٍ عن أخ فَهُو الشاتمُ لا من شتمك
ذاك شيء لم يواجهك به إنما الذنب على من أعلمك

٢٢٨ـ وإذا رأى عامة الناس أجمعوا على إجلال أحد من الناس ومحبته، وأراد أحد إسقاطه من أعينهم أنشد:

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلاً حتى يروا عنده آثار إحسان

أو أنشد:

والنجم تستصغر الأبصار رؤيتَه والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

٢٢٩ـ وإذا أثنى على كبير في أنه لا يُغْفِل صغارَ الأمور ولا كبارَها أنشد:

لولا ملاحظةُ الكبيرِ صغيرَه ما كان يُعرف في الأنام كبيرُ

٢٣٠ـ وإذا رأى طالبَ علمٍ عاقلاً أنشد:

العلمُ للرجل اللبيب زيادةٌ ونقيصةٌ للأحمق الطيَّاش
مثلُ النهارِ يزيد أبصار الورى نوراً ويعمي أعين الخفَّاش

٢٣١ـ وإذا قام بواجباته، وما أنيط به من عمل أنشد:

وقمتُ على ريش النعام فلم أجِدْ فراشاً وثيراً مثل إتمام واجبي

٢٣٢ـ وإذا رغب في الائتلاف، وحذّر من الاختلاف أنشد:

وَيْحُ الرجال من القلو ب إذا تنافرت القلوب
لا الرأي يرأب صَدْعَها يوماً ولا النَّطِسُ الطبيب

٢٣٣ـ وإذا رأى قوماً تفرقوا، فَلَقُوا ذلاً بعد عز، وخمولاً بعد شَمَم أنشد:

فيالكِ مِنْ دار تَفَرَّق أهلُها أياديْ سباً عنها وطال انتظارها

٢٣٤ـ وإذا تفكر في عظمة الإسلام، وأمْرِهِ بالائتلاف، واجتماع الكلمة، ورأى

حال المسلمين وما هم عليه من التفرق أنشد:

بحثت عن الأديان في كل ملةٍ وطُفت بلاد الله غرباً ومشرقا
فلم أرَ كالإسلام أدعى لألفةٍ ولا مثل أهليه هوىً وتفرقا

٢٣٥- وإذا رغب من أهل الفضل والعلم أن يحافظوا على اجتماع كلمتهم أنشد:

يا معشر القراء يا ملحَ البلدْ من يُصْلِحُ الملحَ إذا الملحُ فَسَدْ

٢٣٦- وإذا رغب في حلِّ مشكلة يسيرة، وأطرافُها رافضون متعنتون أنشد:

فيا دارها بالحزن إن مزارها قريبٌ ولكن دون ذلك أهوالُ

٢٣٧- وإذا رأى إنساناً أمامه طعام يشتهيه وهو محميٌّ عن أكله؛ لمرض، أو نحوه أنشد:

وفي نظرة الصادي إلى الماء حسرةٌ إذا كان ممنوعاً سبيل الموارد

أو أنشد:

أرى ماءاً وبي عطش شديد ولكن لا سبيل إلى الورود

٢٣٨- وإذا رأى أحداً يفتخر على غيره، ويباهي بعلم ناله أنشد:

فقل لمن يدَّعي في العلم فلسفة عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

٢٣٩- وإذا أشار حكيم برأي، فأعجبه، وأراد من الآخرين أن يأخذوا برأي ذلك الحكيم أنشد:

إذا قالت حذامِ فصدقوها فإن القول ما قالت حَذامِ

٢٤٠- وإذا حثَّ على الأخذ بنصح اللبيب العاقل أنشد:

وما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه ولا كل مؤتٍ نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند واحد فَحُقَّ له من طاعةٍ بنصيب

٢٤١ـ وإذا رأى إنساناً يمارس مهنة الطب دون علم، وأراد تحذيره، أو التحذير منه أنشد:

أقول لنعمان وقد ساق طبُّه نفوساً نفيسات إلى باطن الأرض

أبا منذر أفنيت فاستبقِ بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعضِ

٢٤٢ـ وإذا رأى ذا همة عالية، وحظٌّ عاثر أنشد:

هِمَّةٌ تنطح النجومَ وجَدٌّ آلفٌ للحضيض فهو حضيضُ

أو قال:

متحيِّرٌ يغدو بعزم قائمٍ في كل نائبة وجَدٌّ قاعدِ

٢٤٣ـ وإذا قال له أحد: إن فلاناً تنكَّر لي، ونسي إحساني إليه أنشد:

إذا المرءُ ألقى في السباخ بذورَه أضاع فلم ترجع بزرع ولا بذر

٢٤٤ـ وإذا قال له أحدٌ أسديتُ معروفاً لأناس فضاع عند بعضهم أنشد:

إذا الأرض أدَّت رُبْعَ ما أنت زارعٌ من البذر فيها فهي ناهيك من أرض

٢٤٥ـ وإذا حث محسناً على أن يصنع المعروف دون نظر إلى موقعه، ودون انتظار جزاء أو شكور أنشد:

بُثّ الصنائعَ لا تَحْفَلْ بموقعها فيمن نأى أو دنا ما كنت مقتدرا

فالغيث ليس يبالي حيثما انسكبت منه الغمائم ترباً كان أو حجراً

وربما قال:

واشكر فضائل صنع الله إذ جعلت إليك لا لك عند الناس حاجات

٢٤٦ـ وإذا قيل له: إن فلاناً الكريمَ تعتريه حدةٌ قد تُنَفِّرُ منه، وتجعل الناس

لا يرجون نفعه أنشد:

لا يؤيسنك مِنْ عثمانَ جِدَّتُه   وإن تطاير من نيرانه الشررُ
فإن حدَّتَه -والله يكلؤه-   كالبرقِ والرعدِ يأتي بعده المطرُ

٢٤٧- وإذا قيل له: إن فلاناً يجود بعطائه غير أنه يُكَدِّره بالتأخير أنشد:

عَجِلٌ بالذي تنيل يداه   إن بطء النوال من تنكيده

٢٤٨- وإذا رأى أحداً يسخو بماله، وجاهه غير أنه يفسده بالمن أنشد:

أفسدت بالمنِّ ما أسديت من حَسَنٍ   ليس الكريمُ إذا أسدى بمنانِ

٢٤٩- وإذا رأى أحداً يسخو بالكثير من ماله وجاهه دون أن يستكثر شيئاً من ذلك أنشد:

ما زال يعطي ساكتاً أو ناطقاً   حتى ظننتُ أبا عقيل يمزح

٢٥٠- وإذا رأى إنساناً يبذل ويخفي ما يقوم به من بَذْل أنشد:

يخفي محاسِنَهُ والله يظهرها   إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

٢٥١- وإذا رأى إنساناً يَدَعُ الإنفاقَ، أو القيامَ بعمل الخير؛ استقلالاً لما عنده، أو احتقاراً لما يُقَدِّم من معروف أنشد:

إذا تكرَّمت عن بذل القليل ولم   تَقْدِرْ على سعة لم يَظْهرِ الجودُ
بُثَّ النوال ولا تمنعْك قِلَّتُه   فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمود

أو أنشد:

من لم يواسِكَ في قليل لم يواسِك في الكثير
والحق يلزم في الكثير وليس يسقط في اليسير

أو أنشد:

افعـلِ الخـير مـا اسـتطعت وإن كـا ن قلــيلاً فلــن تحــيط بكُلِّــهْ
ومتــى تفعــلُ الكثــير مــن الخــير إذا كنــت تاركــاً لأقلــهْ

أو أنشد:

لا تحقــرن صــغير الخــير تفعلــه فقــد يــروِّي غليــلَ الهاشــمِ الثَّمَــدُ

الثمد: القليل.

٢٥٢ـ وإذا رأى إنساناً يبخل بالسلام، ولا يبادر إلى إلقاء التحية أنشد:

أتَــراك تــسمح بــالنوا لِ وأنــت تبخــل بالــسلام
قــد ضــل مــن لا يبتغــي ودَّ الأكــارم بــالكلام

٢٥٣ـ وإذا رأى أناساً يحتقرون الفقير؛ لفقره، ويبالغون في إكرام الغني؛ لمجرد غِناه أنشد:

يحيِّــي النــاسُ كــلَّ غنــيٍّ قــومٍ ويُبْخــلُ بالــسلام عــلى الفقــير
ويُوْسَــعُ للغنــي إذا رأوه ويُحيــى بالتحيــة كــالأمير

٢٥٤ـ وإذا رأى رجلاً يبخل على الناس من مال غيره أنشد:

وإن امـرءاً ضَـنَّتْ يـداه عـلى امـرئٍ بنيـل يـدٍ مـن غـيره فهـو باخـلُ

٢٥٥ـ وإذا رأى إنساناً يبذل الشفاعات في سبيل تفريج أو تنفيس الكربات أنشده:

وعطــاءُ غــيرك إن بذلـــ ـــت عنايــةً فيــه عطــاؤك

أو أنشد:

وإذا امـرؤ أهـدى إليـك صـنيعةً مـن جاهـه فكأنهـا مـن مالـه

٢٥٦ـ وإذا رأى بخيلاً يغتاظ ممن يجود أنشد:

وغَـيْظُ البخيـلِ عـلى مـن يجـو ... دُ أعجـب عنـديَ مِـنْ بُخلـه

٢٥٧ـ وإذا قيل له: إن فلاناً البخيل أثرى؛ فلعله يسخو أنشد:

إذا غمـر المـالُ البخيـل فإنـه ... يزيـد بـه يبـساً وإن ظُـنَّ يَرْطُـبُ

ولـيس عجيبـاً ذاك منـه فإنـه ... إذا غمـر المـاءُ الحجـارةَ تـصلُب

٢٥٨ـ وإذا رأى غنياً بخيلاً ينتقص فقيراً أنشد:

لـيس عـاراً بـأن يقـال: فقـيرٌ ... إنـما العـار أن يقـال: بخيـل

٢٥٩ـ وإذا رأى بخيلاً يشكو قلة محبيه أنشد:

أرى النـاس خـلانَ الجـواد ولا أرى ... بخـيلاً لـه في العـالمين خليـل

٢٦٠ـ وإذا رأى إنساناً همه جمع المال دون أن يكون له نصيب من العطاء والرفد أنشد:

إنْ حَبَـاك القـدير كالنيـل تِـبْراً ... فَلْيُفْـضِهُ العطـاء والتنويـل

لا تُعَـوِّلْ عـلى اختـزانٍ فـما للـ ... ـبِدَرِ الـصّفْرِ إثْـرَ مَيْـتٍ عَويـلُ

التبر: الذهب، والبِدَر: جمع بَدْرَة، وهي الجائزة التي مقدارها عشرة آلاف درهم؛ لوفورها وتمامها.

٢٦١ـ وإذا حذَّر أحداً من صحبة عاقٍّ لوالديه أنشد:

ومـا صِـلٌّ ترافقـه المنايـا ... ويجـري الـسمُّ قتـالاً بفيـه

بـأقبحَ مـن عَقُـوقٍ لا يراعـي ... كرامـةَ أمِّـه ورِضى أبيـه

٢٦٢ـ وإذا ذكر رجلاً تَنكَّر لأصحابه الأوائلِ بعد أن صار ذا جاهٍ ومنزلة أنشد:

إن الكـرام إذا مـا أسـهلوا ذكـروا ... مَـنْ كـان يـألفُهم في المنـزل الخـشن

٢٦٣ـ وإذا تذكر غائباً قريباً من قلبه، ورأى حوله من لا يرغب في قربه أنشد:

عجبتُ لتطويح النوى مَنْ نُحِبُّه ... وتدنو بمن لا يُستلذُّ له قربُ

٢٦٤ـ وإذا أعجبه حسن استماع إنسان أنشد:

وتراه يصغي للحديث بقلبه ... وبسمعه ولعل أدرى به

٢٦٥ـ وإذا رأى إنساناً يتكلم حيث يَحْسُنُ به الكلام، ويسكت حيث يَجْمُل به السكوت أنشد:

واعلم بأن من السكوتِ إبانةً ... ومن التكلم ما يكون خبالا

٢٦٦ـ وإذا حذر إنساناً من الكلام الساقط أنشد:

وحذارِ من سفه يشينك وصفُه ... إن السفاهَ بذي المروءة زاري

٢٦٧ـ وإذا لم يعجبه سلوكُ إنسانٍ في المحادثة أو المجالسة أنشد:

فلا أَعْرِفَنْك بين القوم توحي ... بطعن في محدثهم بغمزِ

ولا تهمز جليسك من قريب ... تنبهه على سقط بهمزِ

فشرُّ الناسِ معروف لديهم ... بقولٍ في مثالبهم ولَمْزِ

٢٦٨ـ وإذا حذر من الخمر وسائر المخدرات أنشد:

البابلية شرُّ كلِّ بليةٍ ... فتوقينَّ هجومَ ذاك الباب

جَرَّت ملاحاةَ الصديقِ وهجرَه ... وأذى النديم وفرقةَ الأحباب

البابلية: الخمرة نسبة إلى بابل مدينة في العراق معروفة قديماً بصناعة الخمر.

أو أنشد:

جاءتك لذة ساعةٍ فأخذتها ... بالعار لم تحفلْ سواد العار

وعَرَيْتَ بالكأس الكُميت عن التقى ... فاعجب لجسمك وهو كاسٍ عارِ

٢٦٩ـ وإذا رأى أحداً زَهِدَ بأخٍ أو صديق بسبب زلة أنشده:

لا يزهـــدنك في أخٍ ... لـــك أن تـــراه زلّ زلـــةْ

أو أنشد:

مـــا غُـــبن المغبـــونُ مثـــلَ عقلـــه ... مـــن لـــك يومـــاً بأخيـــك كُلَّـــه

٢٧٠ـ وإذا قال له أحدٌ: إن فلاناً سقط من عيني بمجرد خطأ ارتكبه، وأراد أن يعتذر للمخطئ أنشد:

عَـزَّ الكـمال فـما يحظـى بـه أحـدٌ ... فكـلُّ خلْـقٍ وإن لم يَـدْرِ ذو عـابِ

٢٧١ـ وإذا اعتذر عن محبٍّ محسنٍ أنشد:

وإذا الحبيـب أتـى بـذنبٍ واحـد ... جـاءت محاسـنُه بـألف شـفيع

وربما قال:

فإن يكن الفعـل الـذي سـاء واحـداً ... فأفعالـه الـلاتي سَرَرْن ألـوفُ

٢٧٢ـ وإذا بدرت من فاضل هفوة، فنزلت برتبته، وأراد أن يبين أنه حقيق بالرجوع إلى مكانته، أو أرفع منها أنشد:

وللنجم مـن بعـد الرجـوع اسـتقامةٌ ... وللـشمس مـن بعـد الغـروب طلـوعُ

٢٧٣ـ وإذا أثنى على رجل فاضلٍ نَفَّاع مبارك أنشد:

إذا ورد الـشتاء فأنـتَ شـمسٌ ... وإن ورد المـصيفُ فأنـتَ ظـلُّ

٢٧٤ـ وإذا رأى فذاً جامعاً لمكارم الأخلاق، وخلال المروءة، ورأى قلوب الناس تهوي إليه، وتقبل عليه أنشد:

كأنـك مـن كـل الطبـاع مُركَّـبٌ ... فأنـت إلى كـل النفـوس مُحَبَّـبُ

أو أنشد:

وليس لله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحد

أو أنشد:

إن المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ أحلك اللهُ منها حيث تجتمع

أو أنشد:

ولربَّ فردٍ في سموٌ فعاله وعلوّه خلقاً يعادل جيلا

أو قال:

فتىً جمع العلياءَ علماً وعِفَّةً وبأساً وجوداً لا يُفيق فُواقا

كما جمع التفاحُ حسناً ونضرة ورائحةً محبوبةً ومذاقا

٢٧٥- وإذا رأى عالماً جواداً يسخو بعلمه، وجاهه، وماله، ووقته للقريب والبعيد أنشد:

كالبدر من حيث التفتَ رأيتَه يُهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا

كالبحر يقذف للقريب جواهراً جوداً ويبعث للبعيد سحائبا

كالشمس في كَبِد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

٢٧٦- وإذا أثنى على أناس بطيب الحديث والمجلس في الحضر والسفر أنشد:

كأنكمْ شجر الأُترُجِّ طاب معاً حَمْلاً ونوراً وطاب العودُ والورقُ

٢٧٧- وإذا رأى كريماً ينخدع؛ تكرماً وإغضاءًا أنشد:

استمطروا مِنْ قريشٍ كُلَّ منخدعٍ إن الكريم إذا خادعته انخدعا

٢٧٨- وإذا رأى ثرياً جامعاً بين حقوق الدنيا والدين أنشد:

فلا هو في الدنيا مضيعٌ نصيبَه ولا عرضُ الدنيا عن الدين شاغله

أو أنشد:

ما أحسن الدينَ والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفرَ والإفلاسَ في الرجل

٢٧٩ـ وإذا رأى رجلاً صقلته التجارب، ووسمته الأيام بميسمها أنشد:

وقد شذبتك الحادثات وإنما يُفَرِّع غُصنُ الدوحِ حين يُشَذَّبُ

أو أنشد:

عرفتَ الليالي بؤسَها ونعيمَها وجَرَّبتَ حتى أَحْكَمَتكَ التجارِبُ

٢٨٠ـ وإذا أثنى على رفيع قدر، كريم، متواضع أنشد:

إذا أحسن الأقوامُ أن يتطاولوا بلا مِنَّةٍ أحسنت أن تَتَطَوَّلا

تَعَظَّمتَ عن ذاك التعظُّم منهم وأوصاك نُبلُ القَدْرِ أن تَتَنَبَّلا

التطاول: التعالي، والتَّطوُّل: الإحسان.

أو أنشد:

دانٍ إلى أيدي العفاة وشاسعٌ عن كل نِدٍّ في الندى وضريبِ

كالبدر أفرط في العلوِّ وضوؤه للفتية السارين جدُّ قريبِ

أو أنشد:

دنوتَ تواضعاً وبَعُدْت قدراً فشأناك انحدارٌ وارتفاع

كذاك الشمس تَبْعُد إن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

٢٨١ـ وإذا رأى شريفاً كبيراً متكبراً أنشد:

وإذا ما الشريف لم يتواضع للأخلاء فهو عين الوضيع

٢٨٢ـ وإذا رأى إنساناً يبالغ في الجبن، ويسترسل مع الوهم أنشد:

قل للجبان إذا تأخر سَرْجُهُ هل أنت مِنْ شَرَكِ المنية ناجِ

٢٨٣ـ وإذا رأى إنساناً لا يشير إذا استشير إلا بعد فوات الأمر أنشد:

تَتَبُّعُ الأمـرِ بعـد الفـوت تغريـرُ ... وتَرْكُـهُ مقـبلاً عجـزٌ وتقـصيرُ

٢٨٤ـ وإذا رأى إنساناً يسترسل مع الشكوك، ويدع التعامل مع الحقائق أنشد:

والصبح يظلـم في عينيـك ناصـعُه ... إذا سـدلتَ عليـه الـشك والرّيبـا

٢٨٥ـ وإذا حث على إحسان الظن، والبعد عن إلقاء التهم على الأبرياء جزافاً أنشد:

ومـن العجائـب تهمتـي لـك بعـدما ... كنـت الـصفيَّ لـدي والخُلْـصانا

وتـوقعي منـك الإسـاءة جاهـداً ... والعـدل أن أتوقـع الإحـسانا

٢٨٦ـ وإذا شاهد إنساناً كثير التردد أنشد:

فـإذا عزمـت فـلا تكـن مـترددا ... فـسد الهـوا بـتردد الأنفـاس

٢٨٧ـ وإذا رأى رجلاً يبالغ في توقع الشر، ويسرف في خشية حدوثه أنشده:

وربَّ أمـورٍ لا تـضيرك ضـيرةً ... وللقلـب مـن مخشاتهنَّ وجيـبُ

أو أنشد:

ودعِ التوقـع للحـوادث إنـه ... للحـيِّ مِـن قبـل الممات ممـاتُ

٢٨٨ـ وإذا رأى متشائماً متطيراً أنشد:

تعلَّـمْ أنـه لا طـير إلا ... عـلى مُتَطَـيِّرٍ وهُـوَ الثبـورُ

بـلى شيءٌ يوافِـقُ بعـضَ شيءٍ ... أحايينـاً وباطلـه كثـيرُ

٢٨٩ـ وإذا رأى إنساناً يُغَلِّب جانب اليأس أنشد:

أيهـا اليـائس مـت قبـل الممات ... أو إذا شـئت حيـاة فالرجـا

لا يـضِقْ ذَرْعُـك عنـد الأزمـات ... إنْ هـي اشـتدت وأمِّـل فَرَجـا

٢٩٠ـ وإذا حث إنساناً على التفاؤل، والابتهاج بالحياة أنشد:

إلا إنـــما بـــشر الحيـــاة تفـــاؤلٌ　　　تفـــاءلْ تعـــشْ في زمـــرة الـــسعداء

٢٩١- وإذا رأى فاضلاً يَدَعُ القيام بالمبادرات النافعة مع قدرته عليها؛ خوفاً من نقد ناقد، أو اعتراض معترض أنشد:

من راقـب النـاس لم يظفـر بحاجتـه　　　وفـــاز بالطيبـــاتِ الفاتِـــك اللّهِـــجُ

أو أنشد:

مـــن راقـــب النـــاسَ مـــات همّـــاً　　　وفـــــاز باللـــــــذةِ الجـــــــسورُ

٢٩٢- وإذا رأى إنساناً يستصعب الأمور، ولا يكاد يُقْدم على أمرٍ إلا تَهَيَّبه أنشد:

وكـــل أمـــرٍ عـــلى مقـــدار هيبتـــه　　　وكـــــل صـــــعب إذا هونتـــــه هانـــــا

أو أنشد:

ولا أهـــاب عظـــيماً حـــين يـــدهمني　　　ولـــيس تغلـــب شـــيئاً أنـــت هائبـــه

أو أنشد:

لا تكـــــونن للأمـــــور هيوبـــــاً　　　فـــإلى خيبـــة يـــؤول الهيـــوبُ

أو أنشد:

وأركـــبُ الكُـــرْهَ أحيانـــاً وأكرهُـــه　　　وربـــما نـــالَ في الكُـــرْهِ الفتـــى الرُّغُبـــا

لا تجـــزعنَّ لكُـــرهٍ أنـــت راكبُـــهُ　　　واجـــسر عليـــه ولا تُظهـــر لـــه رُعُبـــا

٢٩٣- وإذا ذم الجبن والبخل، وأثنى على الشجاعة والجود أنشد:

يفـــر جبـــانُ القـــومِ عـــن أُم رأســـه　　　ويحمـــي شـــجاع القـــوم مـــن لا يناســـبه

ويـــرزق معـــروفُ الجـــواد عـــدوَّه　　　ويُحـــرم معـــروف البخيـــل أقاربُـــه

٢٩٤- وإذا قيل له: إن فلاناً يكثر الوعيد، وليس عنده إلا التهديد أنشد:

إن الوعيد سلاح العاجز الورع

أو أنشد:

وكثرة الصوت والإيعاد من فشلِ

٢٩٥ـ وإذا أراد تنبيه أحدٍ على تفريطه، وخطأ تدبيره أنشد:

أوردهــا ســعدُ وســعدٌ مــشتملْ ... مــا هكــذا تــوردُ يــا ســعدُ الإبــلْ

٢٩٦ـ وإذا زار سجناً، وسمع بعض شكوى المساجين أنشد:

مـا يـدخل الـسجنَ إنـسانٌ فتـسأله ... مــا بــال ســجنك إلا قــال مظلــوم

٢٩٧ـ وإذا رأى إنساناً يؤثر العزلةَ والعيشَ بالصحاري، ويضيق ذرعاً بالمدينة ومخالطةِ الناس أنشد على لسانه:

عوى الذئب فاستئنست بالذئب إذ عـوى ... وصــوَّت إنــسان فكِــدْت أطــير

أو أنشد:

ولي دونكــم أهلــون سِـيْدٌ عَمَلَّـسٌ ... وأرقــطُ زهلــولٌ وعرفــاءُ جيــألُ

أولئــك لا مــستودع الــسر ذائــع ... لــديهم ولا الجــاني بــما جــرَّ يخــذلُ

السيد العملس: الذئب، والأرقط الزهلول: النمر، وعرفاء جيأل: الضبع.

٢٩٨ـ وإذا حذر من الحسد وغوائله أنشد:

فلا تحسدنْ يوماً عـلى فـضل نعمـةٍ ... فحــسبك يومــاً أن يقــال: حــسود

أو أنشد:

إن كــان قلبُــك فيــه خــوفُ بارئــه ... فــلا تجــاوز حــذارَ الله بالحــسد

٢٩٩ـ وإذا قال أحد: إن فلاناً يحسدني أنشد:

وإذا حُـسِدْتَ فـإن شـكر فـضيلةٍ ... ألا تؤاخــذ بالإســاءة حاســدا

٣٠٠- وإذا أراد تسليةَ محسودٍ، وإعلامَه أن العاقبة تكون حميدة له إن صبر واحتسب أنشد:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعْرَف طيبُ عَرْفِ العود

٣٠١- وإذا رأى رجلاً يعترف له خصومه وأعداؤه ببعض خصال الحَمْد أنشد:

ومليحةٍ شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء

٣٠٢- وإذا رأى إنساناً تضيع الفرص من بين يديه أنشد:

كم فرصة ذهبت فعادت غصةً تُشجي بطول تلهف وتندم

وربما أنشد:

لحى الله ملآن الفؤاد من المُنى إذا أمكنته فرصةٌ لا يُشَمِّر

يلاحظها حتى يفوتَ طِلابُها ويصبح في أدبارها يتدبر

٣٠٣- وإذا رأى رجلاً واتته الأمور، وسنحت له الفرص، وأراد توصيته باغتنامها أنشد:

إذا هبَّت رياحُك فاغتنمها فعقبى كُلِّ خافقةٍ سكون

ولا تقعد عن الإحسان فيها فلا تدري السكونَ متى يكون

أو أنشد:

إن أمكنت فرصةٌ فانهض لها عجلاً ولا تؤخرْ فللتأخير آفات

أو أنشد:

بادرِ الفرصةَ واحذر فوتها فبلوغُ العزِّ في نيل الفرص

٣٠٤- وإذا رأى إنساناً لا يعتبر بالماضي، فيجعله نبراساً له في قابل أيامه أنشد:

وإذا فاتـــك التفـــات إلى المـــا ضي فقـد غـاب عنـك وجـهُ التـأسّي

٣٠٥- وإذا طال أمدُه في انتظار أمر من الأمور أنشد:

يُطَـــوِّل الليـــلَ مراعاتُـــه فكـــلُّ أمـــر لا يراعـــى قـــصيرْ

٣٠٦- وإذا اغتمَّ في ليلٍ، أو سُرَّ به أنشد:

ورأيـــت الهمـــوم بالليـــل أدهـــى وكـــذاك الـــسرور بالليـــل أَعْـــذَبْ

٣٠٧- وإذا رأى أحداً يحتقر طالباً، أو صغيراً، أو ضعيفاً أنشد:

ولا تحقـــرنْ ذا بُؤســـةٍ أن تنيلـــه وإن عـاش بـين النـاس وهـو حقـيرُ

فـإنَّ عـسى أن يرفـع الـدهرُ طرفَـه والله راعٍ بالعبـــــاد بـــــصيرُ

فيلقـاك يومـاً ثـم يجزيـك مِثْلَهـا وأنـــت إليهـــا عنـــد ذاك فقـــير

٣٠٨- وإذا رأى أولاداً صلحوا بعد وفاة والدهم، أو رأى مشروعاً استوى على سوقه بعد رحيل مؤسِّسه أنشد:

ليـــت للـــبراق عينـــاً فـــيرى ....

٣٠٩- وإذا رأى إنساناً تاه في منصبه، وتكبر على الناس أنشد:

كـــم تائـــه بولايـــة وبعزلـــه ركـــض البريـــد

ســـكر الولايـــة طيـــبٌ وخمارهـــا صـــعب شـــديد

أو أنشد:

يـــا مَـــنْ تـــولى فأبـــدى لنـــا الجفـــا وتَبَـــدَّل

ألـــيس منـــك ســـمعنا مَـــنْ لم يَمُـــتْ ســـوف يُعْـــزَل

٣١٠- وإذا رأى متواضعاً في منصب كبير أنشد:

فتىً زاده السلطان في الخِلِّ رغبةً ... إذا غيَّرَ السلطانُ كلَّ خليل

٣١١ـ وإذا اعتذر لشخص تغيرت حالُه بعد الولاية أنشد:

وكلُّ ولايةٍ لا بدَّ يوماً ... مُغيِّرَةُ الصديق على الصديق

٣١٢ـ وإذا تولى أحدُ معارفه ولايةً ما، وأراد تذكيره بما ينبغي عليه أنشد:

إذا كنت في أمرٍ فكن فيه محسناً ... فعمَّا قليلٍ أنت ماضٍ وتاركُهْ

فكم دحتِ الأيامُ أرباب دولةٍ ... وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالِكُهْ

٣١٣ـ وإذا قيل له: فلان أصاب ثروةً وغنىً، فتغيرت حاله، ولم يعد كسالف عهده من الود والوفاء أنشد:

فإن تكن الدنيا أنالتك ثروة ... فأصبحت ذا يسرٍ وقد كنت ذا عسرِ

لقد كشف الإثراء عنك مساوياً ... من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقرِ

٣١٤ـ وإذا رأى ذا فضل عند قوم لا يَقْدُرونه قَدْرَهُ أنشد:

وما أنا إلا المسك في أرض غيركم ... أضوع وأما عندكم فأضيع

أضوع: من ضاع يضوع مِنْ تضوَّع المسك، وقوله أضوع: أي ينتشر فضلي.

٣١٥ـ وإذا أراد التنويه بفضيلة الوفاء لمن سبقوا إلى مكرمة، وحذر من نسيان أولئك، والتنكر لهم أنشد:

ومن نسي الفضلَ للسابقين ... فما عرفَ الفضل فيما عرفْ

٣١٦ـ وإذا رأى عالماً فترت همته بسبب كساد علمه بين قومه أنشد:

غَزَلْتُ لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد ... لغزليَ نسَّاجاً فكسرت مغزلي

٣١٧ـ وإذا قيل له: بعض الناس يقصِّر في زيارتك، ومواصلتك أنشد:

لست ممن يفقد الأنس إذا ... أصبح الروضُ كئيباً أغبرا

لست آسى إن مَضَى ليلٌ وما صاحبٌ زار ولا طيف سرى

فليكن في الناس بُخْلٌ إنني لست ممن يشتكي بخل الورى

٣١٨- وإذا أعجبه كاتب، وأراد الإشادة به أنشد:

لك القلم الأعلى الذي بِشَباته يصاب من الأمرِ الكُلى والمفاصلُ

٣١٩- وإذا سمع، أو قرأ بعض ما لا يروقه من الشعر أنشد:

والشعر كالبيداء هذا مَهْمَهٌ قفرٌ وهذا مرتعُ الآرام

أو قال:

إن بعضاً من القريض هُذَاءٌ ليس شيئاً وبعضُه أحكام

٣٢٠- وإذا قيل له: ما الشعر الذي يروقك؟ أنشد:

الشعر ما روَّى النفوسَ معينُه وجَرَتْ برقراق الشعور عيونُه

وصَفَتْ كلألاء الضياءِ حروفُه وزهت بوضَّاء البيان متونُه

متألقُ القسماتِ فتانُ الرؤا يزهو صِبا الفصحى الطريرَ رصينُه

حُرُّ المذاهب لا يشوبُ أصولَه كَدَرٌ ولا واهي اللغات يشينُه

ابنُ الحقيقةِ والحقيقةُ نهجُه والصدق في أَرَب الحياة خدينُه

العبقريةُ نفثُه والبابليةُ فِعْله وهوى الطَّرافة دينُه

أو أنشد:

الشعر ما قوَّمت زيغَ صدوره وشدَدْت بالتهذيب أَسْرَ متونِه

ورأبتَ بالإطناب شَعْبَ صُدوعه وفتحتَ بالإيجاز عُوْرَ عيونِه

وجمعتَ بين قريبه وبعيده ووصلتَ بين مُجَمِّه ومَعينه

فيكون جزلاً في اتساق صنوفه ويكون سهلاً في اتفاق فنونه

٣٢١ـ وإذا قيل له ما الشعر الذي يبقى أثره، ويخلد في الناس ذكره؟ قال: هو ما كان:

مزمــار أو طــارٍ وحــادي أمــةٍ يحــدو عــلى شرف الحيــاة مبينُــه
إن راقــص الآمــالَ أنعــش يائــساً وارتــاح مكــروبُ الفــؤاد حزينُــه
أو رنَّ مكتئبــاً بــبرح شــجونه أورى الجــوى في ســامعيه أنينُــه
أو حــنَّ مــشتاقاً إلى أوطــاره بعــث المِــراحَ إلى النفــوس حنينُــه
أو رَنَّ بالــشدوات مــن تــشبيهه أذكــى أوارَ العاشــقين رنينُــه
أو هــاج غــضبانَ الحفيظــة ثــائراً بعــث الجبــان إلى الــوغى تلحينُــه

أو أنشد:

فــإذا بكيــتَ بــه الــديارَ وأهلَهــا أجريــتَ للمحــزون مــاءَ شــؤونِه
وإذا مــدحتَ بــه جــواداً ماجــداً وفَّيتــه بالــشكر حَــقَّ ديونِــه
أصــفيته بنفيــسه ورصــينه وخَصَــصْتَه بخطــيره وثمينــه
وإذا عتبــت عــلى أخٍ في زلــة أدمجــت شِــدَّتَه لــه في لينِــه
وإذا اعتــذرت إلى أخٍ في زلــة واشــكتَ بــين مُحيلــه ومُبينِــه

٣٢٢ـ وإذا أعجبه خطيب أنشد:

ركــوبُ المنــابر وثَّابُهــا مِعَــنٌّ بخطبتــه مِجْهــرُ
تُريــع إليــه هــواديْ الكــلام إذا ضَــلَّ خُطبتَــه المِهْــذَرُ

أو أنشد:

لقــد علــم الحــيُّ اليمانــون أننــي إذا قلــت أمــا بعــد أني خطيبهــا

٣٢٣ـ وإذا أراد أن ينوه بخطباء العربية وشعرائها أنشد:

فاسأل التاريخَ ينبئْك بما أنجبت أرض قريش أو مُضرْ

من خطيب مِصْقعٍ أو شاعرٍ مُفْلِقٍ يسحب أذيال الفخرْ

٣٢٤- وإذا رأى تنكراً للعربية، ورمياً لها من بعض أهلها بالجمود والتخلف أنشد:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي وناديت قومي فاحتسبت حياتي

رموني بعقم في الشباب وليتني عَقِمْتُ فلم أجزعْ لقول عُداتي

٣٢٥- وإذا فاخر بالعربية، وأنها أفضل اللغات أنشد:

أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ فهل سألوا الغواصَ عن صدفاتي

أو قال:

لُغَةٌ أودع في أصدافها من قوانين الهدى أبهى دُرَرْ

أوَلمْ يَنْسِجْ على منوالها كَلِمُ التنزيل في أسمى سُوَرْ

هي بحرٌ غُصْ على حِلْيتها فلآلِئ البحر ليست تنحصرْ

٣٢٦- وإذا سمع كلاماً كثيراً لا فائدة فيه أنشد:

كلامُ أكثرِ مَنْ تلقى ومنظرُه مما يشق على الآذان والحدق

٣٢٧- وإذا رأى أحداً يهذي بمجمع من أهل الفضل أنشد:

أتى زيدٌ وأسرف في هَذاءٍ تضيق به صدورُ السامرينا

يُحدِّثنا فلا يروي غريباً ولا يبدي لنا رأياً رصينا

كمثل رَحىً تجعجع طولَ ليلٍ ولا تُلْقِي على ثُفْلٍ طحينا

الثُّفْل: جلد يبسط، فتجعل الرحى فوقه، فتطحن باليد؛ ليسقط عليه الدقيق.

٣٢٨- وإذا أوصى أحداً بإصلاح خواطره أنشد:

لا تُخْلِ نفسك من فكرٍ تجول به ... في الصالحات فَحَبْسُ الفكرِ يُضْنيها

والقلب إن لم يَدُرْ يوماً على رَشَدٍ ... دارت عليه همومٌ عزَّ راقيها

مثل الرحى إن تُدِرْها وهي خاويةٌ ... من الطعام فإن الطحن يُرْدِيها

٣٢٩- وإذا رأى إنساناً بدأ في الكتابة، وقَرْضِ الشعرِ أنشد:

حَرِّرْ لمعناك لَفْظاً كي تُزانَ به ... وقُلْ من الشعر سحراً أو فلا تقلِ

٣٣٠- وإذا سئل عن التأليف وأغراضه التي يَحْسُنُ الكتابةُ فيها أنشد:

ألا فاعلمنْ أن التآليف سبعةٌ ... لكل لبيب في النصيحة خالصِ

فشرحٌ لإغلاقٍ وتصحيحُ مخطئٍ ... وإبداعُ حَبْرٍ مُقْدِمٍ غير ناكصِ

وترتيبُ منثور وجمعُ مُفَرَّقٍ ... وتقصيرُ تطويلٍ وتتميمُ ناقصِ

٣٣١- وإذا تنازع في فؤاده أمران أنشد:

وإذا تشاجر في فؤادك مرة ... أمران فاعمد للأعف الأجمل

وإذا هممتَ بأمر سوء فاتئد ... وإذا هممتَ بأمرِ خير فاعجل

٣٣٢- وإذا كاتب صاحباً غائباً ذا علم، ومروءة، وأراد التنويه به كتب:

إذا ذكروا للود شخصاً محافظاً ... تجلى لنا مرآك وهو بعيد

إذا قيل: من للعلم والفكر والتقى ... ذكرتُك إيقاناً بأنك فريد

٣٣٣- وإذا طالت صحبته لإنسان، ثم فَرَّقَ بينهما مُفرِّق أنشد:

وكنا كندماني جذيمةَ حِقبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلة معا

٣٣٤- وإذا رأى آثار أصحابه بعد فراقهم عنه أنشد:

من لم يذق فُرْقةَ الأحباب ثم يرى ... آثارهم بعدهم لم يدرِ ما الحزنُ

٣٣٥ـ وإذا رأى أحداً يشكو رداءةَ خطِّ أحدٍ أنشد:

اعذر أخاك على رداءة خَطِّه واغفر رداءته لجودة ضبطه

فإذا أبان على المعاني لم يكن تحسينُه إلا زيادةَ شرطه

واعلم بأن الخط ليس يراد من تركيبه إلا تَبَيُّنُ سمطه

أو أنشد:

والخط ليس له في العلم فائدة وإنما هو تزيين بقرطاس

٣٣٦ـ وإذا أشاد بجمال خطِّ أحدٍ أنشد:

وسوارٍ كأنها في اعتدالٍ ألفاتُ الوزير في عَرْضِ طِرسِ

المقصود بالوزير ههنا: ابن مُقْلَة الخطاط المشهور.

٣٣٧ـ وإذا قيل: فلان يَدْفن إربه، ولا يُظْهِرُ مقدارَ عقله أنشد:

وقد يتغابى المرء مِنْ عِظْمِ مالَهُ ومن تحت ثوبيه المغيرةُ أو عمرو

وربما أنشد:

ليس الغبيُّ بسيدٍ في قومه لكنَّ سيدَ قومِه المتغابي

٣٣٨ـ وإذا رأى حازماً حليماً لا يُفْطَن له أنشد:

له حِلْمُ كهلٍ في صرامةِ حازم وفي العين إن أبصرتَ أبصرتَ ساهيا

٣٣٩ـ وإذا قيل له: فلان عاقل ولا يُؤْبَهُ لعقله؛ لفقره، وفلان أحمق وله صولة وجولة؛ بسبب غناه أنشد:

ربَّ حِلْمٍ أضاعه عدم الما لِ وجهلاً غطى عليه النعيم

٣٤٠ـ وإذا رأى ذا حشمة ووقار يَتَبَسَّط مع خاصته، وينطلق معهم على سجيته أنشد:

بِيَّ انقبــاضٌ وحــشمةٌ فــإذا لاقيــت أهــل الوفــاء والكــرم

خليــت نفــسي عــلى ســجيتها وقلــت مــا قلــت غــير محتــشم

٣٤١ـ وإذا كانت له حاجةٌ عند ذي منةٍ وفخر تركها وأنشد:

ولَلْموتُ خيرٌ من تَخَشُّعِ ذي الحجى لــذي مِنَّــةٍ يَــزْورُ للــؤم جانبــه

لــه كــلَّ يــوم نزحــةٌ وغــضاضةٌ إذا مــا انــزوى أنــفُ اللئـيم وحاجبُـه

أو أنشد:

يقولون هـذا موردٌ قلـت: قـد أرى ولكــنَّ نفــس الحــرِّ تحتمــل الظــما

٣٤٢ـ وإذا كان له حاجة، وضاقت عليه بها السبل، ولا يدري بمن ينزلها أنشد:

إليــك المــشتكى لا منــك ربي وأنــت لنائبــات الــدهر حــسبيْ

تُــرَوِّيْ غُلَّتِــيْ وتَــرُمُّ حــالِيْ وتُــؤْمِنُ روعَتــي وتُزيــل كــربِيْ

٣٤٣ـ وإذا رأى إنساناً مولعاً بما ليس من حاجته أنشد:

عــشيةَ مــالي حيلــة غــير أننــي بلقــط الحــصا والخــطِّ في الــدار مولــعُ

٣٤٤ـ وإذا رأى من أحدٍ توانياً عن المساعدة والإسعاف بلا مسوغ أنشد:

واقــضِ الحــوائج مــا اســتطعت وكُــنْ لِهَــمِّ أخيــك فَــارِجْ

فَلَخــيْرُ أيــامِ الفتــى يــومٌ قــضى فيــه الحــوائجْ

٣٤٥ـ وإذا رأى إنساناً يريد من الناس أن يخدموه دون مقابل، ويعتب عليهم إذا قصروا في ذلك أنشده:

مــا بعــث المــرءُ في حوائجــه أنجــحَ مــن درهــم ودينــار

أو أنشده:

وأَقْضى على الهول من صارمٍ وأنجع سعياً من الدرهم

أو قال:

إذا كنت في حاجة مُرْسِلاً وأنت بها كَلِفٌ مُغْرَمُ

فأرسل حكيماً ولا توصِه وذاك الحكيم هو الدرهم

٣٤٦ـ وإذا قال له أحد: إن فلاناً يغضب، ويعتب من دون سبب أنشد:

إذا كنت تغضبُ من غير ذنبٍ وتعتبُ من غير جرمٍ عَليَّا

طلبتُ رضاك فإن عَزَّني عَدَدْتُك ميْتاً وإن كنتَ حيا

٣٤٧ـ وإذا قيل له: إن فلاناً اعتذر من فلان فلم يقبل عذره أنشد:

إذا ما امرؤٌ من ذنبه جاء تائباً إليك فلم تغفر له فلك الذنب

وربما أنشد:

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا إن برَّ عندك فيما قال أو فجرا

لقد أجلَّك مَنْ يرضيك ظاهرُه وقد أطاعك من يعصيك مستترا

أو أنشد:

وإن كان ذنبي كلَّ ذنبٍ فإنه محا الذنبَ كُلَّ الذنب مَنْ جاء تائبا

٣٤٨ـ وإذا حذر نفسه، أو غيرها من الذنوب أنشد:

النفس أكرم موضعاً من أن تُدَنَّس بالذنوبْ

ما لذةُ الدنيا لها ثمناً وإن مُزِجَت بطيبْ

أو أنشد:

تتوب من الذنوب إذا مَرِضْتا وترجع للذنوب إذا بَرِئْتا

إذا ما الضر مسَّك أنت باكٍ وترجع للذنوب إذا قويتا

أمـا تخشى بـأن تـأتي المنايـا ... وأنـت عـلى الخطايـا قـد دُهيتـا

٣٤٩ـ وإذا حث أحداً على المشاورة أنشد:

اقـرن برأيـك رأيَ غـيرك واستـشر ... فـالحق لا يخفـى عـلى الاثنـين

للمـرء مـرآةٌ تريـه وجهـه ... ويـرى قفـاه بجمـع مـرآتين

أو أنشد:

إذا بلـغ الـرأيُ المـشورةَ فاسـتعن ... بـرأي نـصيح أو نـصيحة حـازم

ولا تجعل الشورى عليك غـضاضة ... فـإن الخـوافي قـوة للقـوادمِ

٣٥٠ـ وإذا رأى إمَّعةً يسير مع الناس حيث ساروا دون نظر وتبصُّرٍ أنشد:

ولـست بـذي رِثيـةٍ إمَّـرٍ ... إذا قِيْـدَ مـستكرَهاً أصـحبا

٣٥١ـ وإذا رأى جماعة يتبعون شخصاً في كل شيء حقاً كان أو باطلاً أنشد:

قـومٌ إذا مـا حـجَّ عيـسى حجُّـوا ... وكُلّهُـمْ حَجُّهُـمُ معـوجُّ

٣٥٢ـ وإذا رأى جاهلاً أحمق يَتْبَعُ رأيَ جاهلٍ أحمقَ أنشد:

كبهيمـةٍ عميـاءَ قـاد زمامَهـا ... أعمـى عـلى عـوج الطريـق الحـائر

٣٥٣ـ وإذا رأى جاهلاً يتمادى في سفهه، وطيشه، وحمقه؛ بسبب مسايرة بعض العقلاء له، ومجاملتهم إياه أنشد:

ذو جنـونٍ وزاد فيـه جنونـاً ... أن يـرى ذا الحِجـا يطيـع جنونَـهْ

٣٥٤ـ وإذا رأى رجلاً صاحب مبادراتٍ طيِّبة أنشد:

رأيـت عَرابـةَ الأوسيَّ يـسمو ... إلى الخـيراتِ منقطـعَ القـرينِ

إذا مـا رايـة رُفعـت لمجـدٍ ... تلقاهـا عَرابـةُ بـاليمين

٣٥٥ـ وإذا قيل له: إن فلاناً يدرك الأمور بتؤدة أنشد:

رقيق حواشي العلم حين تبور   يريك الهوينى والأمور تطير

٣٥٦ـ وإذا قيل له: إن ذلك العالم أو الوجيه يَحْطِمُهُ الناس؛ لطلب العلم أو الشفاعة أنشد:

ولا ذنب للعود الذَّماريِّ إنما   يُحَرَّق مَنْ دلَّت عليه روائحُه

أو أنشد:

لا غرو أن تجني عليَّ فضائلي   سببُ احتراق المندلي دُخَانُه

٣٥٧ـ وإذا قيل له: إن فلاناً عُزِل من منصبه، أو أصيب بخسارة فادحة، أو نحو ذلك أنشد:

ولا عار أن زالت عن المرء نعمةٌ   ولكنَّ عاراً أن يزول التجملُ

٣٥٨ـ وإذا أراد تعزية معزول ذي مروءة، وعدل أنشد:

لِيهْنَك إن أصبحت مجتمعَ الشملِ   وراعي المعالي والمحامي عن المجد

وإنك صنت الأمر فيما وَلِيْتَه   وفرقت ما بين الغواية والرُّشْدِ

فلا يحسبِ الأعداءُ عَزْلَك مغنماً   فإنَّ إلى الإصدار ما غايةُ الورد

وما كنت إلا السيف جُرِّد للوغى   وأحمد فيه ثم رُدَّ إلى الغِمْدِ

أو أنشد:

فإن تكن إلا مار عنك زالت   فإنك للمغيرة والوليد

وقد مَرَّ الذي أصبحت فيه   على مروانَ ثم على سعيد

أو أنشد:

أبا إسحاق إن تكن الليالي   عطفن عليك بالعزل اللئيم

فلم أرَ صِرْفَ هذا الدهر يجري   بمكروه على غير الكريم

٣٥٩- وإذا قيل له: إن فلاناً يُبَدِّد ماله فيما لا ينفع أنشد:

شر المواهب ما تجود به ... من غير محمدة ولا أجر

٣٦٠- وإذا أحسن فَقُلِبَ عليه الأمر أنشد:

إذا محاسني اللاتي أُدِلُّ بها ... كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

أو أنشد:

تتهشم الأعذارُ وهي فتيَّةٌ ... إن عُدَّ ذنبُ الصبحِ في أضوائِهِ

٣٦١- وإذا سعى في مصلحة أحد، فأدركها، ولم يجد إلا الكُنودَ، وإساءةَ الفهم أنشد:

أحمامةَ الوادي بشرقيِّ الغَضا ... إن كنت مسعفةَ الكئيب فرجّعي

إنا تقاسمنا الهوى فغصونُه ... في راحتيك وجَمْرُه في أضلعي

٣٦٢- وإذا أراد تنبيه محبٍّ على بعض الخلل، وخشي نفورَه أنشد:

أنت عيني وليس من حق عيني ... غضُّ أجفانها على الأقذاء

أو أنشد:

ما ناصحتْك خبايا الودِّ من رجل ... ما لم ينلْك بمكروه من العَذَلِ

محبتي فيك تأبى عن مسامحتي ... بأن أراك على شيء من الزللِ

٣٦٣- وإذا لقيه محبٌّ في طريق، وأراد إيقافه؛ للسلام عليه أنشد:

قِفْ لنا في الطريق إن لم تَزُرْنا ... وَقْفَةٌ في الطريق نصفُ الزيارةْ

٣٦٤- وإذا رأى إنساناً يسألُ من لا يجيبه، أو يجيب من لا يسأله أنشد:

وسألت من لا يستجيب وكنت في استخباره كمجيبِ مَنْ لا يسألُ

٣٦٥- وإذا قيل له: فلان بلي ببلية فأظهر تجلداً، وصبراً، ومروءة أنشد:

مِحَنُ الفتى يُخْبِرْن عن فضل الفتى   كالنار مُخْبِرةٌ بفضل العنبر

أو أنشد:

....   كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك

٣٦٦- وإذا حذر أحداً من صحبه كسلان أنشد:

لا تصحبِ الكسلان في حاجاته   كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعةٌ   كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

٣٦٧- وإذا قيل له: كيف يُذَمُّ فلان وهو هو في الفضل أنشد:

ذو الفضل لا يسلم من قَدْحِ   ولو غدا أقومَ من قِدح

القَدْح: الذم، والقِدْح: السهم.

وربما أنشد:

لو كنت كالقِدْح في الميزان معتدلاً   لقالت الناس هذا غير معتدل

٣٦٨- وإذا رأى إنساناً يُعَرِّض نفسه للهوى والعشق أنشد:

دخولك من باب الهوى إن أرَدْتَه   يسيرٌ ولكن الخروج عسير

أو أنشد:

رأيت الهوى سهل المبادي لذيذَها   وعقباه مُرُّ الطعم ضَنْك المسالك

أو قال:

أول العشق مزاح وولعْ   ثم يزداد فيزداد الطمعْ

كلُّ مَنْ يهوى وإن عالت به   رتبةُ الملك لمن يهوى تبع

٣٦٩- وإذا رأى إنساناً يغشى الرِّيب، ولا يفكر في العواقب أنشد:

ومَنْ لا يُمَكِّنْ رجلَه مطمئنةً   لِيُثْبِتَها في مستوى الأرض تَزْلَقِ

٣٧٠- وإذا حذَّر إنساناً من القرب من مواقع الفتن أنشد:

لا تقربْ عرفجاً من لهب وإذا قربتَهُ قامت دُخنْ

أو قال:

لا تتبع النفس الهوى ودع التعرض للمحنْ

إبليس حيٌّ لم يَمُتْ والعين باب للفتن

٣٧١- وإذا رأى ساعياً بالصلح بين قريبين أو صاحبين، وأراد تحذيره من الوقيعة بأحد منهما عند الآخر، أو معاداة أحدهما؛ محاباة للآخر أنشد:

كم صاحبٍ عاديته في صاحب فتصالحا وبقيت في الأعداء

٣٧٢- وإذا قيل له: أمَّلنا الخير في فلان فلم يكن كذلك أنشد:

وما كنتَ إلا الماء جئنا لشربه فلما وردناه إذا الماءُ جامدُ

أو أنشد:

ظننت به ظناً فقصَّر دونه فيارُبَّ مظنونٍ به الخير يُخلِفُ

٣٧٣- وإذا رأى إنساناً يسيء إلى من يحسن إليه، ويحسن إلى من يسيء إليه أنشد:

كعنز السوء تَنْطح من خلاها وترأم من يحد لها الشِّفارا

٣٧٤- وإذا رأى إنساناً بلغ به الغرور مبلغه أنشد:

وإذا استوت للنمل أجنحةٌ حتى يطير فَقَدْ دنا عَطَبُه

٣٧٥- وإذا رأى رجلاً تيَّاهاً معجباً بنفسه لا يقبل من أحد نصحاً أنشد:

إذا المرء لم يَدْرِ ما أمكنه ولم يأت من أمره أحسنهْ

وأعجبه العجبُ فاقتاده وتاه به التيهُ فاستحسنهْ

فَدَعْــهُ فقــد ســاء تــدبيرُه سيــضحك يومــاً ويبكــي ســنهْ

٣٧٦ـ وإذا رأى أحداً يمدح صديقَ سوءٍ، ويقربه أنشد:

متى تحمـدْ صـديقَ الـسوءِ فـاعلم بأنــك بعــد محمــدة تذمُّــه

كطفــل راقــه تــرقيشُ صِــلٍّ فلــما مــسَّه أرداه سُــمُّه

٣٧٧ـ وإذا رأى أحبةً أو أقاربَ يتخاصمون أنشد:

إذا احتربت يومـاً ففاضـت دماؤهـا تـذكرت القربـى ففاضـت دموعهـا

٣٧٨ـ وإذا رأى أناساً يختلفون عند توافه الأمور أنشد:

ومــرادُ النفــوسِ أهــونُ مــن أن نتعــادى فيــه وأن نتفــانى

٣٧٩ـ وإذا رأى إنساناً يدخل بين الأقارب والأصدقاء بالشر أنشد:

لا تــدخلنَّ تكلفــاً بــين العــصا ولحائهــا

٣٨٠ـ وإذا رأى أحداً يَبُثُّ أسرار صاحبه بعد أن ساءت العلاقة بينهما أنشد:

لـيس الكـريم الـذي إن زل صـاحبه بــثَّ الـذي كـان مـن أسراره علـما

بـل الكـريم الـذي تبقـى مودتـه ويحفـظ الـسر إن صـافى وإن صرمـا

٣٨١ـ وإذا رأى إنساناً صارماً، مبالغاً في الجد أنشده:

أَفِـدْ طبعـك المكـدود بالجـدِّ راحـة يَجِـمَّ وعللْــه بــشيء مــن المــزح

ولكــن إذا أعطيتــه المــزح فلـيكن بمقـدار مـا تعطـي الطعـام مـن الملـح

٣٨٢ـ وإذا رأى أناساً متفاوتين في المواهب، متفاضلين في الأخلاق أنشد:

أعمــى وأعــشى ثــم ذو بــصرٍ وزرقــاء اليمامــة

ســبحان مــن قــسم الحظــو ظ فــلا عتــاب ولا ملامــة

أو أنشد:

ولم أرَ أمثالَ الرجال تفاوتت ... لدى الفضل حتى عُدَّ ألفٌ بواحدِ

أو أنشد:

ترى بين الرجالِ العينُ فضلاً ... وفيما أضمروا الفضل المبينُ

كلونِ الماء مشتبهاً وليست ... تخبِّرُ عن مذاقته العيونُ

٣٨٣ـ وإذا قال له أحد: لقد أعجبتني أخلاقُ فلانٍ أنشد:

إذا أعجبتك خصال امرئ ... فَكُنْهُ تكن مثل ما يعجبك

فليس على المجد والمكرمات ... إذا جئتها حاجبٌ يحجبك

٣٨٤ـ وإذا امتدح أحداً بخفة الرأس عند النوم أنشد:

لقد علمتْ أمُّ الصبيين أنني ... إلى الضيف قَوَّامُ السِّنات خَرَوج

معنى قوام السنات: يريد سريع الانتباه، والسِّنات: جمع سنة، والسنة: شدة النعاس.

٣٨٥ـ وإذا رغب في التذكير بنعمة العافية أنشد:

إني وإن كان جمعُ المال يعجبني ... فليس يعدِلُ عندي صحةَ الجسدِ

في المال زينٌ وفي الأولاد مكرمة ... والسقم ينسيك ذكر المال والولدِ

٣٨٦ـ وإذا سُئل عن عمره أنشد:

عمري بروحي لا بِعَدِّ سنيني ... فلأسخرنَّ غداً من التسعينِ

عمري إلى الخمسين يجري مسرعاً ... والروح واقفةٌ على العشرين

أو قال:

عمري إلى السبعين ....

٣٨٧ـ وإذا حثَّ على إحسان الظن بالله أنشد:

أحـــسنْ بربـــك ظنـــكْ فإنـــه عنـــد ظنـــكْ
واجعـــل مـــن الله حـــصناً فإنـــه خـــير حِـــصنِكْ

أو أنشد:

أحـسن الظـن بمـن قـد عـوَّدك كـــل إحـــسانٍ وســـوَّى أَوَدَكْ
إنَّ ربــاً كــان يكفيــك الــذي كــان بــالأمس ســيكفيك غــدكْ

٣٨٨ـ وإذا اعتذر عن زيارة مريض أنشد:

إن كنـت في تـرك العيـادة تاركـاً حظـي فـإني في الـدعاء لجاهـدُ

٣٨٩ـ وإذا سار إلى زيارة من يحب، ووجد خفة في سيره أنشد:

تـــالله مـــا جئـــتكم زائـــراً إلا رأيـــت الأرض تُطـــوى لِيْ
ولا انثنـى عزمـيْ عـلى بـابِكم إلا تعثـــرتُ بأذيـــالِيْ

أو أنشد:

أرى الرِّجْلَ قد تـسعى إلى مـن تحبُّـه وما الرجل إلا حيث يسعى بها القلبُ

٣٩٠ـ وإذا رأى أحداً سيفارق بلده عن قريب أنشد:

تمتَّـع مـن شـميم عـرار نجـدٍ فـما بعـد العـشية مـن عـرار

٣٩١ـ وإذا بعث السلام إلى أحد أحبته على البعد أنشد:

وســلامي مـن بعيـد كلـما عـزَّ إلقـاءُ سـلامي مـن قريـبِ

٣٩٢ـ وإذا ودَّع صاحباً قريباً من قلبه أنشد:

ودعتـه وبـودي لـو يـودعني طيـبُ الحيـاة وأني لا أودِّعـه

أو أنشد:

أيـا عجبـي ممـن يمـد يمينَـه إلى إلفِـهِ يـوم الـوداع فيـسرعُ

ضعفت عن التوديع لما رأيته فصافحته بالقلبِ والعينُ تدمعُ

أو أنشد:

وموقف للوداع ألبسني لباسَ همٍّ يسوءُ موقِعُه

والدمعُ قد شرقت به أستودع الله من أودِّعُه

٣٩٣ـ وإذا سار في توديع عزيز عليه أنشد:

ودَّع الصبر محبٌّ ودَّعك ذائع من سره ما استودعك

يقرع السنَّ على أن لم يكن زاد في تلك الخطا إذ شيَّعَك

٣٩٤ـ وإذا ودَّع أحبَّةً، وشعر بالشوق إليهم بعد الرحيل عنهم مباشرة أنشد:

أشوقاً ولما يَمْضِ بي غير ساعةٍ فكيف إذا سار المطيُّ بنا شهرا

٣٩٥ـ وإذا ودَّع أحبةً لفراق خارج عن إرادته، وليس له حَوْلٌ فيه أنشد:

أودِّعكم والله يعلم أنني شغوفٌ بكم لا أبتغي البعدَ عَنْكُمُ

وما من قِلىً كان الفراقُ وإنما دواعٍ تبدَّتْ فالسلام عليكمُ

٣٩٦ـ وإذا ودَّع أحداً، وأَمَّلَ في لقياه مرة أخرى أنشد:

لا تأسَ يا قلب من وداع فإن قلب الوداع عادوا

هذا ما تيسَّر إيرادهُ من ذيلِ أبياتِ الاستشهاد؛ فلعل فيه خيراً، وبركة.

الفهرس

ـ المقدمة:	٣
ـ مكانة الشعر، وأثره	٣
ـ بيان شيءٍ مما ورد في السيرة النبوية، وسيرة السلف بشأن الشعر	٣
ـ تعريف موجز بكتاب (أبيات الاستشهاد)	٦
ـ الباعث على نشر كتاب (أبيات الاستشهاد)	٦
ـ العمل في إخراج هذا الكتاب	١٢
القسم الأول: دراسة لابن فارس، وكتابه (أبيات الاستشهاد)	١٥
الفصل الأول: ترجمة ابن فارس	١٧
المبحث الأول: حياة ابن فارس، وسيرته:	١٩
أولاً: مولد ابن فارس، ونشأته	١٩
ثانياً: شيوخ ابن فارس	٢٠
ثالثاً: وفاة ابن فارس	٢١
رابعاً: أخلاق ابن فارس	٢١
المبحث الثاني: علوم ابن فارس، وتلاميذه:	٢٣
أولاً: علوم ابن فارس	٢٣
ثانياً: تلاميذ ابن فارس	٢٥
المبحث الثالث: آثار ابن فارس:	٢٦
أولاً: معالم بارزة في آثار ابن فارس	٢٦

ثانياً: آثار ابن فارس المطبوعة ٢٧
ثالثاً: آثار ابن فارس المخطوطة والمفقودة ٣٤
المبحث الرابع: شعر ابن فارس، ونظراته في النقد والأدب: ٣٦
أولاً: شعر ابن فارس ٣٦
ثانياً: نظرات ابن فارس في النقد والأدب ٣٩
نموذج من نظرات ابن فارس الأدبية والنقدية -رسالته إلى أبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب- ٣٩
الفصل الثاني: دراسة لكتاب (أبيات الاستشهاد) ٤٥
المبحث الأول: تعريف بكتاب (أبيات الاستشهاد) ٤٧
أولاً: عنوان الكتاب، وموضوعه ٤٧
ثانياً: عدد المضارب والأبيات ٤٨
ثالثاً: ملحوظات على كتاب (أبيات الاستشهاد) ٤٩
المبحث الثاني: مجمل ما احتوى عليه كتاب (أبيات الاستشهاد) ٥٢
١ ـ الحديث عن الصداقة والصديق ٥٢
٢ ـ الإشادة ببعض خصال الحمد ٥٢
٣ ـ التعرض لبعض الأخلاق المرذلة والتحذير والتنفير منها ٥٣
٤ ـ الولاية والعزل وتغير الأحوال ٥٣
٥ ـ مدح الرؤساء والأكابر ٥٣
٦ ـ كبر السن ٥٣
٧ ـ تذكر الماضي والحنين إليه ٥٣

٨ـ العداوة والأعداء ٥٣
٩ـ العتاب والشكوى ٥٣
١٠ـ التعرض لذكر المحادثة، والخصومة، والمناظرة ٥٣
١١ـ المرض،وعيادة المريض ٥٤
١٢ـ الآباء والأولاد ٥٤
١٣ـ الموت والتعزية ٥٤
١٤ـ الوعد والوعيد ٥٤
١٥ـ متفرقات ٥٤
المبحث الثالث: متن كتاب (أبيات الاستشهاد) ٥٥
القسم الثاني: شرح كتاب (أبيات الاستشهاد) ٧١
ـ شرح المضارب والشواهد ـ: ٧٣
١ـ كان إذا رأى ذا مَودةٍ قد حال عما عهدُه أنشده:
ـ شرح الشاهد، وأبيات في تلون أهل الودّ لشاعر، وأسامة بن منقذ، والبحتري، وابن الرومي ٧٣
٢ـ وإذا رأى محدِّثَه عابساً أنشد:....
ـ شرح الشاهد، وأبيات في العبوس والطلاقة ٧٥
٣ـ وإذا رأى واحداً يُحسِن عند الإحسان عليه، ويسيء القول إذا شُغل عن الإحسان إليه أنشد: ....
ـ شرح الشاهد، وأبيات في الإساءة لمن يحسن، وأبيات لمسلم بن الوليد، ومسكين الدارمي ٧٦

٤ـ وإذا رأى رجلاً راضياً بقليلٍ يصونُ وجهَه عن السؤال أنشد: ....
ـ شرح الشاهد، وأبيات في الرضا بالقليل الذي يصون الوجه لشعراء، ولعبدالله بن طاهر، والخريمي، وثعلب، وأبي فراس، والأبرش، وأبي تمام، وأبي الطيب ٧٧
٥ـ وإذا حُجِب عن باب دار قد أحسن إليه صاحبُها أنشد: ....
ـ شرح الشاهد، وأبيات لشعراء حول الحاجب لشعراء، ولأسامة ابن منقذ، ولأبي تمام، ونويت اليماني، وابن الرومي، وابن عبدل، وجحظة، والمكودي ٧٩
٦ـ وإذا رأى بشاشةً في وجه مُضِيف أنشد: ....
ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لشاعر، وأبي تمام، والبحتري، والمعري، وابن هَرمة، وآخر ٨١
٧ـ وإذا رأى رجلاً مِقلاً سخياً أنشد: ....
ـ شرح الشاهد الأول، وأبيات في المعنى لشاعرين ٨٢
ـ شرح الشاهد الثاني، وبيت في المعنى لشاعر ٨٣
٨ـ وإذا شم رائحةً كريهةً من جليسه أنشد: ....
ـ قصة الشاهد ـقوس حاجبـ، ومعنى الشاهد، وأبيات في المعنى لشاعر، وآخر، وحسان، وتعليق لأبي هلال على بيت حسان، وبيتٌ لشاعر في المعنى ٨٤
٩ـ وإذا رأى أناساً لا خير فيهم أنشد: ....
ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لشاعر، وابن أبي حصينة، وشاعر، وابن عبادة، وإلياس فرحات ٨٥

١٠ـ وإذا عارضه في كلامه أحدٌ أنشد:

ـ تعليق على المضرب، وقصة الشاهد، وشرحه، وبيتان لزهير في المعنى ٨٦

١١ـ وإذا جالس قوماً ليلَهُ مجالسةَ أهلِ الأدب ثم جاء الفجر أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات حول معنى الشاهد للمتنبي، وشاعر، وعمر ابن أبي ربيعة، وأبي تمام، وابن المعتز، وشاعرين آخرين ٨٧

١٢ـ وإذا وعده رفيق له بالسفر في غدٍ أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات قريبة في المعنى من الشاهد لأبي تمام، وعمر ابن أبي ربيعة، وشاعرين ٨٨

١٣ـ وإذا تألم من عشيرِهِ وصديقه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لشاعر، وللبارودي، وبيت قال عنه الثعالبي: «أحسن ما قيل في شكاية الإخوان» وبيت رابع لشاعر آخر ٨٩

١٤ـ وإذا عاتب ذا قرابةٍ له أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لشاعر، وآخر، والزبرقان بن بدر، وأبي نواس، والأعشى، والحارث بن كلدة، وأبيات لمعن بن أوس، وقصة حول أبياته ٩٠

١٥ـ وإذا عاتب مَن أخلف وعده أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لكثير عزة، وابن الخياط، وآخر، وهرم ابن غنام، والمثقب العبدي ٩٢

١٦ـ وإذا لم يعجبه إنسان أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لمتمم بن نويرة، ومحمد بن الجهم، وشاعر ٩٣

١٧ـ وإذا هجاه أحدٌ أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لشاعر، وآخرينِ ، ومسلم بن الوليد، والجاحظ، وغيره، وابن الرومي ٩٤

١٨ـ وإذا أحسَّ بتقصيرٍ في سياسة أمير لرعيته، نسب الأمْرَ لوزيره وأنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيت في معنى الشاهد ٩٥

١٩ـ وإذا ذُكِر له كِبَرُ سنِّه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيتان في المعنى لشاعر، ولأبي النجم ٩٦

٢٠ـ وإذا أثنى على محسن أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وقصته، وبيت قريب منه للمتنبي ٩٧

٢١ـ وإذا رأى من والٍ إساءةً على من وَلِيَ عليه أنشد:....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لشعراء ٩٨

٢٢ـ وإذا حضَر أناسٌ على أمرٍ ذي بال أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيت في المعنى لأبي الغول الطُّهوي، وبيتان للأعشى ٩٩

٢٣ـ وإذا سُرَّ بُلقيا صديقٍ له أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في معنى الشاهد لأبي دلف، وأبي الطيب، والقروي، وآخر ١٠٠

٢٤ـ وإذا أعار أخاً له دفتراً فأبطأ عليه بردِّه أنشد: ....

ـ شرح شاهدي المضرب، وأبيات لابن طباطبا، وآخرين في المعنى، وكلمة لوكيع، وأبيات لأبي الكرم الحوزي في الحث على إعارة الكتب، ١٠١

وقصة لابن تيمية في ذلك

٢٥ـ وإذا عاد مريضاً ذا مودّةٍ صادقة أنشده: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى للمتنبي والخضر ١٠٣

٢٦ـ وإن امرؤ جزِعَ على فائتٍ أنشده: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لامرئ القيس، والنابغة الجعدي، وأبي بكر بن النطاح، والبارودي ١٠٤

٢٧ـ وإذا عُوتِب على إهانته للمال، وكثرةِ بذلِهِ أنشد: ...

ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لجؤية بن النَّضْر، وحاتم الطائي، وآخر، وابن الرومي، وآخرينِ ١٠٥

٢٨ـ وإذا مشى لأخ في قضاء حاجة ووفى بحقه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لبشار، وشاعر آخر، وتعليق لأبي هلال العسكري على أبيات الشاعر ١٠٧

٢٩ـ وإذا أثنى على إنسان ورأى منه شروداً ونفرة أنشد:...

ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لشاعر، وأبي بكر الخوارزمي، وإبراهيم بن العباس، وأعرابي، وآخر، وآخر، ويزيد المهلبي ١٠٨

٣٠ـ وإذا أراد شيئاً عاناه ليلاً أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، و شواهد أخرى في المعنى للنابغة، وامرئ القيس، والبعيث، وخالد بن يزيد ١١٠

٣١ـ وإذا استبطأ صديقاً له وعاتبه على قعوده عنه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى للصولي، وابن الرومي، والمقنع الكندي، ١١١

وعكسها لآخر
٣٢ـ وإذا ذم أخاً له في إساءته إلى إخوانه أنشد: ....
ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى للصولي، وابن مُقَرّب، وآخر ١١٣
٣٣ـ وإذا شكا من جار له هجره أنشد: ....
ـ شرح الشاهد، و أبيات نحوه لعبيد بن الأبرص، وابن الدمينة، وآخر، ولبيد ١١٤
٣٤ـ وإذا تذكر أياماً مضت وكان يشكوها وهو اليوم يتمناها أنشد: ....
ـ شرح شاهدي المضرب، وأبيات في المعنى لسعيد بن حميد، ورجل من ولد عمر، وآخر، وابن أبي عداوة ١١٥
٣٥ـ وإذا عاتب أخاً له على هجره أنشد: ....
ـ شرح الشاهد، وبيتان في المعنى لشاعر ١١٦
٣٦ـ وإذا عوتب في خصلة أو بادرة بدرت منه أنشد: ....
ـ شرح الشاهد، وأبيات في المعنى لشاعر، ولبشار، وآخر ١١٧
٣٧ـ وإذا قيل له: قد أَسَنَّ فلانٌ وكَبِر أنشد: ....
ـ شرح الشاهد، وأبيات قريبة منه لشاعر، وللمتنبي، وعمرو بن زيد، ودعبل، وآخرينِ ١١٨
٣٨ـ وإذا فسد عند أخ له صحة ودِّه إياه أنشد: ....
ـ شرح شاهدي المضرب، وأبيات نحوه للمتنبي، وأسامة بن منقذ ١١٩
٣٩ـ وإذا مات له ولد أنشد: ....
ـ شرح شاهدي المضرب، وأبيات قريبة منه للعتبي، وابن الرومي، وأبي الحسن التهامي، والضبي ١٢٠

٤٠ـ وإذا حث إنساناً على الإحسان وخَوفَّه صروف الدهر أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في معنى الشاهد لشعراء، وأبي دُلَف، والشافعي ١٢٢

٤١ـ وإذا رأى خليلاً له قد حفت به أرباب الحاجات وكان أمره في الأول أقرب أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات نحوه للشافعي، وأسامة بن منقذ، والصولي ١٢٣

٤٢ـ وإذا رأى أحداً غضب من أمر ولم ينفعه غضبه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيتان قريبان منه ١٢٤

٤٣ـ وإذا رأى السلطان عزم على الغزو ونهض إلى العدو أنشد:....

ـ شرح الشاهد، وأبيات نحوه لابن الرومي، وابن هرمة، وآخر، ومحمد بن وهيب، ومحمد بن بشير، ومروان بن أبي حفصة، والأخطل، والحطيئة ١٢٥

٤٤ـ وإذا رأى أمراً معضلاً وصبر عليه وعوتب في ذلك أنشد:....

ـ شرح الشاهد، وأبيات قريبة منه لشاعر، وعنترة، وعبدالعزيز الكلابي ١٢٧

٤٥ـ وإذا قال له أخ: إنه اشتاق له اشتياقاً شديداً أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في معنى الشاهد لشاعر، وآخر، والشريف الرضي، والخراط ١٢٨

٤٦ـ وإذا مرَّ بأطلالٍ خَلَتْ من سكانها، وعفت، وبقي أثرها أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في معنى الشاهد للبيد، وعبيد بن الأبرص، والأعشى ١٢٩

٤٧ـ وإذا حضر مجلساً لمناظرة، وسئل عن حاله فيه بعده أنشد:....

ـ شرح الشاهد، وبيتان للبيد نحوه ١٣٠

٤٨ـ وإذا قيل له: رأيناك أعرضت عن فلان إعراض مسالمة أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وتعليق لأبي هلال العسكري عليه، وأبيات في معنى الشاهد لزهير، وشاعرين، وابن نباته ١٣١

٤٩ـ وإذا استشير في أمر ذي لبس أيقدم عليه أم يحجم عنه أنشد:....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في معناه لدعامة الطائي، وصالح ابن عبدالقدوس، وخبر وأبيات لعلي بن أبي طالب ١٣٢

٥٠ـ وإذا أكثر من ذكر أخ له غائب وقيل له في ذلك أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في معنى الشاهد لشاعرين، وبعض المولدين، وابن طباطبا، والبارودي، وشاعر ١٣٤

٥١ـ وإذا قال له صديق: تناسيتني كأنك لم تعرفني أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات نحوه لذي الرمة، وآخر، والعرجي، والبارودي ١٣٥

٥٢ـ وإذا حضر رئيس من الرؤساء وأراد مدحه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيتان في معنى الشاهد لزهير، وبيتان آخران له، ورأي عبدالملك بن مروان فيهما، وأبيات للأعشى، والخنساء، وابن الرومي، وأبي تمام، وبيتان لعلي بن جبله في أبي دلف، وتعليق أبي هلال عليها، وقول أعرابي ١٣٦

٥٣ـ وإذا عاتب أخاً له على هجرانه إياه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد الأول، وأبيات في معنى الشاهد لشاعر، وأبي فراس، و العمراني، وآخر، وشرح الشاهد الثاني ١٣٨

٥٤ـ وإذا رأى رجلاً يثني على أخيه، ويحضر له محضراً جميلاً أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيتان في معنى الشاهد لشاعرين، وبيت لشوقي ١٣٩

٥٥ـ وإذا قيل له: قد أقررت لمناظرك أنشد: ....

- شرح الشاهد، و بيت في معناه لشاعر، وأبيات للسان الدين ابن الخطيب، وبديع الزمان، والبارودي ١٤٠

٥٦- وإذا رأى رجلاً ينتقص فاضلاً أنشد: ....

- شرح الشاهد، وأبيات في معناه للفرزدق، وحسان، وآخر، وحطيم، وآخر، وأبي تمام، والطرماح ١٤١

٥٧- وإذا أقصاه رئيس بعد إنابته أنشد: ....

- شرح الشاهد، وأبيات في معناه للبستي، وبشار، وشاعر، وآخر ١٤٢

٥٨- وإذا كلفه امرؤٌ شيئاً لم يكن عنده بالمرضى أنشد: ....

- بيت قريب من الشاهد ١٤٣

٥٩- وإذا رأى أمراً فظيعاً تقضَّى ثم تجدد مثله أنشد: ....

- شرح الشاهد، و أبيات في معناه لسويد بن أبي كاهل، والبعيث، وعدي ابن الرتاع، والعمراني ١٤٤

٦٠- وإذا حضر محفلاً من محافل النظر وكلمه خصم فدفعه، وانبرى له خصم آخر أنشد: ....

- معنى الشاهد، وبيت قريب منه للعماني، وبيت لآخر ١٤٥

٦١- وإذا كثر الصياح في المحفل أنشد: ....

- شرح الشاهد، وبيت في معناه للخضر ١٤٦

٦٢- وإذا قيل له: كثر أخصامك أنشد: ....

- شرح الشاهد، وبيت في معناه لشاعر، وآخر، والصولي، وابن المعتز، وشاعر، وآخر، وآخر ١٤٧

٦٣ـ وإذا بدأه سائل بالسؤال مناظراً له أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيتان في معناه لشاعر وابن الرومي ١٤٨

٦٤ـ وإذا نُعي له حميم أو ذو مودة أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في معناه لشاعر، وآخر، وأبي تمام، وإبراهيم ابن إسماعيل، وشاعر ١٤٩

٦٥ـ وإذا حضر حَضْرَةَ ملك، وبالغ في الثناء عليه أنشد: ....

ـ وقفات حول الشاهد وهو بيت النابغة الذبياني، وكلام للعلماء عليه، وأبيات في معنى الشاهد للبحتري، والمتنبي، وابن الرقيات، وجرير، والأعرابي، وكشاجم، وجرير، وقصة حول بيته ١٥٠

٦٦ـ وإذا فخر بمن تقدم من العلماء والكبراء أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في معنى الشاهد في الفخر بمن تقدم للفرزدق، وعمرو ابن كلثوم، ولبيد، وحسان، وقوله في الغساسنة، وما قيل فيه: إنه أمدح ماقالته العرب، وتعليق أبي هلال عليها، وأبيات للحطيئة وقول ابن شبرمة عنها، تعليق أبي هلال عليها، وقصة للأصمعي مع حماد بن سلمة حولها، ونحوه في الفخر قول المزدلف، والحكم بن عبدالرحمن، وابي فراس، وآخر ١٥٢

٦٧ـ وإذا أثنى على رجل معطاء أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات في معنى الشاهد لبشار، وآخرين، والبحتري، وزهير، وتعليق أبي هلال على بيت زهير ١٥٥

٦٨ـ وإذا قصد امرأً في حاجة، وكرر الزيارة له، ولم يَرَ ما يحبه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات نحوه ١٥٧

٦٩ـ وإذا أخذ إنسان يَتَّهم أحداً غيره أنشد: ....

ـ تعليق على المضرب، وشرح الشواهد، وأبيات نحوها لامرئ القيس، وآخرين، والبحتري، والمساور ابن هند ١٥٨

٧٠ـ وإذا عارضه معارض في علة بلا علم أنشد: ....

ـ معنى الشاهد، و بيتان نحوه ١٦٠

٧١ـ وإذا ذكر قوماً أشحاء أنشد: ....

ـ معنى الشاهد، وأبيات نحوه لجحظة، وبشار، وجؤية بن النضر، والبحتري في الشح ١٦١

٧٢ـ وإذا قيل له: أرضيت بكذا وأنت أعلى منزلة منه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات نحوه لشاعر، وعبدالرحمن المري، وآخر، والربيع الفزاري ١٦٢

٧٣ـ وإذا زار مريضاً أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وقصته، وأحسن ما قيل في عيادة السادة ١٦٣

٧٤ـ وإذا حذر ناساً عدواً غفلوا عنه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وقصته، وأبيات نحو الشاهد لنصر بن سيار، وجرير ١٦٤

٧٥ـ وإذا ذكر صديقاً له بنقضه العهد أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات قريبة منه للفرزدق، ومكي بن زيان ١٦٥

٧٦ـ وإذا هدده عدو أو توعده أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، ونحوه لشاعر، وقريب منه لجرير ١٦٦

٧٧ـ وإذا شكي أخ له جنى عليه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد وقصته، وأبيات نحوه للعباس بن ريطة، وآخرين، وقول الجليلة ترثي كليباً، وتعليق ابن رشيق على قصيدتها ١٦٧

٧٨ـ وإذا رأى ذا بشاشة وظاهره يبدي خلافه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات قريبة منه للمثقب العبدي، والمتنبي، وآخرين، وبشار، وأبي ذؤيب، وجميل، وآخر، وأبي تمام، وقصة في عكس معنى المضرب لعبد الحميد الكاتب مع مروان ابن محمد ١٦٩

٧٩ـ وإذا أساء إليه صديق وحلم هو عنه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيت قريب منه ١٧١

٨٠ـ وإذا ذكر رجل ببعد الغور أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات قريبة منه لشاعر، وآخر، وأبي طاهر، وآخر ١٧٢

٨١ـ وإذا عزى إنساناً وآساه أنشد: ....

ـ معنى الشاهد، وقريب منه للبيد، وأبي الطيب، وأبي ذؤيب، وكعب بن زهير، وآخر ١٧٣

٨٢ـ وإذا كاتم إنساناً، وأضمر له ما يعرفه من التلون أنشد: ....

ـ بيت نحو الشاهد لزهير، وبيت لآخر ١٧٤

٨٣ـ وإذا رأى إنساناً تغيرت عن غِنَىً حاله أنشد: ....

ـ الشاهد، وأبيات قريبة منه لشاعر، والحسين بن مطير، وحرقة بنت النعمان، والأضبط بن قريع ١٧٥

٨٤ـ وإذا قيل له: مضى فلان وورث وارثه ماله أنشد: ....

ـ معنى الشاهد، وبيتان قريب منه لشاعرين ١٧٦

٨٥ـ وإذا رأى رجلاً أثنى على آخر وهو لا يعرفه أنشد: ....
ـ شرح الشاهد، وأبيات نحوه لأوس بن حجر، ومسكين الدارمي، وآخر، وبشار ١٧٧
٨٦ـ وإذا نعي له رجل عظيم الشأن أنشد: ....
ـ الشاهد، وقصته، وشرحه، وبيتان نحوه للمهلهل، وأبي تمام ١٧٨
٨٧ـ وإذا جهل عليه جاهل، وللجاهل عدو حاضر لايجترئ عليه أنشد: ....
ـ الشاهد، وأبيات نحوه لعمران بن حطان، وآخر، وشاعر، وآخر ١٧٩
٨٨ـ وإذا مات له خليل يعز عليه فقده أنشد: ....
ـ الشاهد، وأبيات نحوه لأعرابية، وأبي نواس، وعبدالملك ابن مروان، والنابغة ١٨٠
٨٩ـ وإذا قيل له: استتر لك فلان وخدعك أنشد: ....
ـ الشاهد، وبيت نحوه لمالك بن الريب ١٨١
٩٠ـ وإذا ذَكَر إخوانه الذين سلفوا أنشد: ....
ـ الشاهد، وأبيات نحوه للعباس بن عبدالمطلب، والصمة القشيري، والشريف الرضي، وابن الرومي، والشافعي ١٨٢
٩١ـ وإذا نَجب ابنُ امرئ بعد موته أنشد: ....
ـ الشاهد، وبيتان نحوه لشاعر، وابن الرومي ١٨٣
٩٢ـ وإذا رأى رجلاً يتكلف ما لا يستطيعه أنشد: ....
ـ الشاهد، وأبيات نحوه ليحيى بن زياد، وزياد بن منقذ ١٨٤
٩٣ـ وإذا استحقره قوم، وتعرضوا لأكبر منه أنشد: ....
ـ الشاهد، وقصة، وبيتان نحوه للشافعي، وبيت لشاعر ١٨٥

٩٤- وإذا تجاهل عليه متجاهل أنشد: ....

-الشاهد، وأبيات نحوه للفرزدق، ومروان بن أبي حفصة، وبشار، وشاعر قديم ١٨٦

٩٥- وإذا نُعي له رئيس من رؤساء أو عشيرته أنشد: ....

- شرح الشاهدين، وأبيات في معناهما لشعراء، وقصة لمسلمة بن عبدالملك حول بيت شعر ١٨٧

٩٦- وإذا مطل إنسان، ووعد بعدُ أنشد: ....

- شرح الشاهد، وأبيات في معناها للسابوري، والبحتري، وابن عسكر الموصلي، وشرح لكلمة البِدَر ١٨٨

٩٧- وإذا رأى قوماً ذوي صور ولا أحلام لهم أنشد: ....

- الشاهد، وأبيات نحوه لابن الرومي، ولشاعر، وعمرو ابن معد يكرب، وأبي الطيب، وآخر، والقاسم الواسطي، وآخر، والمعري، وآخرين ١٨٩

٩٨- وإذا اقتضى صديقاً وعداً أنشد: ....

- شرح الشاهد، وبيتان قريب منه لأبي تمام ١٩١

٩٩- وإذا شيع فريقين، وأخذ كل واحد غير طريق الآخر أنشد:....

- الشاهد، وبيت قريب منه لبشار ١٩٢

١٠٠- وإذا لم يزره أخوه زاره هو وأنشد: ....

- الشاهد الأول، وشرحه ١٩٤

- والشاهد الثاني، وأبيات قريبة منه لجحظة، وآخر، وابن المقري، ونَقْلٌ لأبي حيان عن أبي دلف ١٩٥

١٠١ـ وإذا وصف رجلاً بالعفة والإعراض عن الزنا أنشد: ....

ـ شرح المضرب، والشاهد، وأبيات نحوه للكريزي، والبحتري، والإبراهيمي ١٩٦

١٠٢ـ وإذا قيل له: إن أمثالك قليل أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات نحوه لشعراء ١٩٧

١٠٣ـ وإذا ولي رجل ولاية وأثنى عليه بها أنشد: ....

ـ الشاهد وقصة حوله، وبيت لابن الرومي نحوه، وآخر للمتنبي ١٩٨

١٠٤ـ وكان يتمثل لمناظره، ويعرض له أنه لم يبلغ المبلغ بقول الشاعر: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات نحوه لأبي الطيب، والعتابي، ولبيد ١٩٩

١٠٥ـ وإذا ذكر له رجل مضى، فذلت أتباعه وبنو عمه بعد عز أنشد: ....

شرح الشاهد، وأبيات نحوه لحميد بن ثور، وشاعر في رثاء قيس ابن عاصم، وبيت لأبي تمام ٢٠٠

١٠٦ـ وإذا رأى إنساناً ميسوراً له مطل ودفاع أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات قريبة منه لبشار، وآخر، وابن الرومي، وبعض المولَّدين ٢٠١

١٠٧ـ وإذا رأى رجلاً همه نفسه لا غيره أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيتان نحوه لحاتم الطائي، وآخر ٢٠٣

١٠٨ـ وإذا لاجَّه إنسان وطاوله أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيتان نحوه لزياد بن يزيد، وأعشى ربيعة ٢٠٤

١٠٩ـ وإذا رأى امرأً تأمل حاشية زائره وغاشيته أنشد: ....

ـ معنى الشاهد، وأبيات نحوه لشاعرين، وابن هرمة ٢٠٥

١١٠ـ وإذا رأى رجلاً انتمى إلى قوم غير كرام أنشد: ....

ـ الشاهد، وقصته، وما قيل فيه: إنه: أهجى بيت، وكلام لأبي هلال عنه، ومن ما قيل في أهجى الأبيات ٢٠٦

١١١ـ وإذا سبر حال صديق له فلم يحمده أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيت نحوه لشاعر، بيت نحوه لآخر ٢٠٨

١١٢ـ وإذا توعده مَنْ لا يصدق في وعده أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وشاهد نحوه للأعشى ٢٠٩

١١٣ـ وإذا نُعي له شخص أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيت في معناه لمتمم نويرة ٢١١

١١٤ـ وإذا رأى رجلاً اتهم بِدِعوة أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات قريبة منه للقمان بن الحويرث ٢١٢

١١٥ـ وإذا رأى عدواً مخاشناً أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وبيتان نحوه ٢١٣

١١٦ـ وإذا قعد عن صديق بعذر أنشد: ....

ـ معنى الشاهد، وأبيات نحوه لشعراء ٢١٤

١١٧ـ وربما وصل حديثة عن الزمن الأول أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات نحوه للبيد، وحسان، وأبي الطيب ٢١٥

١١٨ـ وإذا ذكر رجل بجود وسماحة أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات نحوه لشاعر، وللفرزدق وفيه قصة له مع يزيد بن المهلب، وبيت للأعشى في المحلق، وفيه قصة ٢١٦

١١٩ـ وإذا خبر أن ولد رجل نجب أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات قريبة لنهشل بن حري، والبحتري ٢١٨

١٢٠ـ وإذا أسعفه رجل في أمره أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات نحوه لإبراهيم بن العباس، وبشار، وشاعر، وأبيات لأبي هلال العسكري ٢١٩

١٢١ـ وإذا مر بدار صديق له أنشد: ....

ـ الشاهد، وأبيات نحوه للأحوص، وآخر، والشيخ الخضر ٢٢٠

١٢٢ـ وإذا حضر مجلس مناظرة وطلب منه الكلام جثا على ركبتيه وأنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وأبيات قريبة منه لسعيد بن مقروم الضبي، وإبراهيم الأصفهاني وآخر ٢٢١

١٢٣ـ وإذا ناظره فَتىً شاب أنشد: ....

ـ شرح الشاهد، وقريب منه لشاعر، والأعشى، وآخر ٢٢٢

١٢٤ـ وإذا زاحمه خصماؤه، وكثروا عليه أنشد: ....

ـ شرح الشاهدين، ومعناهما، وقصة في الشاهد الثاني، وأبيات نحو الشاهدين للعباس بن مرداس السلمي، وشاعر، وابن الرومي، وآخر استشهد به ابن عباس بعد مناظرته لابن الزبير ٢٢٣

١٢٥ـ وإذا قيل له: إن فلاناً في فضله فُضِّل عليه من دونه أنشد: ....

ـ شرح الشاهد الأول، وأبيات نحوه للحارث التنوخي، وآخر، وأبي تمام، والبحتري، وابن الرومي، والشيخ الخضر ٢٢٥

- شرح الشاهد الثاني، وبيتان قريبان منه ٢٢٧

١٢٦ـ وإذا استطال الليل أنشد: ....

- الشاهد، وقريب منه قول المهلهل، وجحظة، وسويد ابن أبي كاهل، وعدي بن الرقاع، وبشار ـ وقد أبدع وأحسن التعليل ـ ٢٢٨

١٢٧ـ وإذا مرض وعاده عُوَّاده أنشد: ....

- الشاهد، ومعناه، ونحوه بيت شعر كان سيبويه كثيراً ما يتمثل به، وقول أحدهم، وقول حميد بن ثور، والخريمي، وابن مناذر، وآخر، والنمر بن تولب لما قيل له: كيف أصبحت، ومعاوية لما رأى هزاله ٢٢٩

١٢٨ـ وإذا رأى رجالاً لا حمية ولا منعة فيهم أنشد: ....

- الشاهد، ومعناه، وأبيات قريبة منه لرجل من بني العنبر، وعويف القوافي ـ وقيل: أهجى ما قالته العرب ـ وقول النجاشي في بني العجلان، وقصة استعدائهم عمر بن الخطاب عليه ٢٣١

- عكس ما في الأبيات من قلة الحمية قول الأعشى في مدح قوم ٢٣٢

١٢٩ـ وإذا اشتكى إليه إنسان إقلالاً أنشد: ....

- الشاهد، ومعناه، ونحوه قول ابن طباطبا في بيتين، وقول الثعالبي عن البيتين ٢٣٣

١٣٠ـ وإذا رأى ذا ضغن صاحب آخر أنشد: ....

- الشاهد، ومعناه، ومنه قول أحدهم، وقول آخر، وعكسه لبشار، وأبي تمام ٢٣٤

١٣١ـ وإذا دخل عليه ثقيل أنشد : ....

- الشاهد، وقصته، وقريب من الشاهد في ذم الثقلاء قول البهاء زهير،

وآخر، وبشار، وقول الثعالبي في أحسن ما قيل في الثقيل، وقصة لـصدقة بن خالد مع أبي حنيفة في ذم الثقيل، وبيت لابن الرومي في الثقيل ٢٣٥

١٣٢ - وإذا جاد عليه بنزر يسير أنشد: ....

- الشاهد، وشرحه، وبيت نحوه ٢٣٨

- الخاتمة: ذيل أبيات الاستشهاد ٢٤١

- **الفهرس** ٣١٩